

# دور الأزهرف السودان



محمد سليمان



دار النشر: دار النشر

*Dr. Binibrahim Archive*



# تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِي السُّكُوتِ

محمود سليمان



الهيئة العامة للتعليم

١٩٨٥

الاخراج الفنى : كادل اشعيا  
تصميم الغلاف : أسامة سعيد

---

## تقديم

يرجع الفضل في كتابة هذه الدراسة التسجيلية الى الصديق  
الفاضل الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف الاسبق في مصر وكنت  
آنذاك سفيرا لبلادي لديها وكان الحديث قد دار بيننا حول الأزهر الشريف  
ودوره البناء في نشر العلم والثقافة الاسلامية وتمنى الصديق العلامة أن  
يرى في كل قطر عربي دراسة عن دور الأزهر وأثره فيه .

وللحقيقة فإن للأزهر وامتدحجه على السودان وغيره من البلاد ديننا  
في الاعتناق ونحن في السودان نعترف بذلك الفضل ونحفظ له وللمصر  
بكثير من الامتنان تلك اليد البيضاء والمأثرة الحميدة . فمنه تخرج ذلك  
النفر الكريم من السودانيين الذين عملوا جنبا الى جنب مع انخوانهم العلماء  
المصريين في نشر التعليم الديني النظامي وشرعية الاسلام السمحاء ولسان  
العرب والحضارة العربية الاسلامية ووفاء وعرفانا لهؤلاء وأولئك العلماء  
الكرام نقدم ونهدي هذه الدراسة التسجيلية الموجزة .

انه من حق أبنائنا وأحفادنا ومن حق الأمة العربية والاسلامية  
التعرف الى هذا السجل لادراك ما قدمه أولئك النفر من العلماء وما أسدوه  
من جميل للسودان وللأمة العربية جمعاء .

جزاهم الله عن أهل السودان قاطبة كل خير ، وطيب ثرى من رحلوا  
منهم الى الدار الباقية .

الخرطوم في فبراير ١٩٨٤ م

المؤلف



## ● العرب ووادي النيل

من قديم وقيل ظهور الاسلام كان العرب على صلة بوادي النيل وكان البحر الاحمر قناة تلك الصلة في جنوبه ميناء سواكن وفي شماله برزخ السويس ، وقد أنشأ العرب محطات تجارية هناك ومنهم من أقام وتزوج مع السكان المحليين وبلغت هجرات العرب مداها في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بنحو سبعة قرون وكذلك نشطت حركة التجارة بين العرب وأفريقيا في زمن البطالة والرومان وثالت هجراتهم نحو أفريقيا من جنوب شرق الجزيرة خاصة بني حمر في القرنين السابقين للميلاد . وقامت دولتا الحبشة واكنوم نتاجا لتلك الهجرات وذلك التمازج واستمر العرب المهاجرون يتجهون نحو قلب القارة وتايح بعضهم نهر عطبرة أحد روافد النيل الى أرض النوبة .

ولكن ظل طريق برزخ السويس هو الطريق الرئيسي الذي تدفقت عبره القبائل العربية نحو وادي النيل غير ان دخول العرب في السودان قبل الاسلام لم تترتب عليه آثار عميقة اذ انحصر وجودهم أغلب الظن في الجزء الشرقي ولم يضيفوا شيئا جديدا للحياة في تلك المنطقة لا من الناحية الثقافية ولا من حيث تغيير الخصائص الانثروبولوجية والاثنية على السكان المحليين .

ولكن بعد ظهور الاسلام وخاصة بعد فتح مصر تدفقت القبائل العربية نحو أفريقيا وأحدثت تغييرات هامة في وادي النيل وشمال أفريقيا على وجه الخصوص مما أدى الى ارتباط تاريخ تلك البقاع السياسي والفكري والاجتماعي منذ ذلك الوقت ببقية الوطن العربي .

كان فتح مصر يمثل إحدى طلائع الهجرات الكبرى التي انحدرت

من الجزيرة العربية الى أفريقيا عبر برزخ السويس وأخذت تهبط أرض مصر الطيبة تحمل معها رسالتها الجديدة ولسانها العربي وتوالت وفادة القبائل العربية وتواترت هجراتهم لمصر بغرض تعزيز الجند أو الاستيطان وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد منع أولئك المهاجرين من الاشتغال بالزراعة وحرّم عليهم تملك الأراضي وآلا تعنى بغير السياسة والحكم والحرب .

اتخذ العرب من مصر قاعدة لمزيد من الفتوحات والتوسّع جنوبا وغربا بل وشمالا عبر البحر الأبيض المتوسط فكانت الجيوش تخرج منها اما لتأمين حدودها وطرق تجارتها مثل تلك الحملات التي خرجت لفتح النوبة جنوبا وبرقة أو لغزو غرب أفريقيا في عهدي عثمان بن عفان ومعاوية .

لم تكن هذه الموجة العربية الكبرى التي جاءت مع الاسلام كسابق الموجات العربية التي خرجت تنشد أرضا جديدة وتستبدل بقعة بأخرى أو مدفوعة برداءة الاحوال أو كثافة السكان أو هربا من خطر معين ولكنها كانت موجات تحمل مفاهيم وقيما وانماطا للحياة جديدة والقرآن الكريم ينادى فيهم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وانها لم تكن موجات جزئية متقطعة كحال الهجرات العربية الاولى التي كانت تقتصر على جزء معين من وادي النيل أو ما بين النهرين أو على أطراف العراق والشام ولذلك كان أثرها عظيما على كل ما يسمى الآن بالوطن العربي حيث أضحت وحدة كاملة - لقد قضت الموجات العربية العارمة على الحضارات السابقة الهلينية والرومانية التي كانت تسود في تلك المنطقة وصهرتها في بوتقة واحدة مما أدى الى انحسار ثم اندثار اللغات اليونانية واللاتينية والآرامية والسريانية تباعا والتي كان يتكلمها السكان هناك وأصبحت اللغة العربية لغة البلاد ليومنا هذا .

لقد دانت أجزاء كثيرة من اطراف البسيطة للعرب منذ عهد معاوية فخضعت لهم البلاد الواقعة من سواحل الاطلنطي غربا الى بلاد الصين شرقا ومن جبال القوقاز شمالا الى خط الاستواء جنوبا ودخلت الاسلام شعوب كثيرة مثل السريان والكلدان والفرس واليونان والتتار والترك والبربر وغيرهم ، ويلاحظ ان العرب كونوا آنذاك طبقة ارسقراطية ارادت ان تخضع تلك الشعوب المحكومة من أهل الذمة بتوفير أسباب العيش والراحة ليا ورأى أولئك في الحكم العرب ملوكا لا خلفاء يسرون بهم على



نهج الاسلام بل اعادوا لهم نظام الحكم (١) الكسروي والقيصري وقلب  
بعض خلفاء بني أمية الحكم الى ملك عضوض كما يقول الجاحظ .

واستولى العباسيون على الحكم اثر ثورة عامة استجاب لها السكان  
وخاصة الموالي والمحرومين وكانت بالفعل ثورة ولم تكن مجرد تفويض حكم  
وزوال سيطرة أسرة واستبدالها بأخرى بل كانت نقطة تحول في تاريخ  
الاسلام غير أن الدولة العباسية نفسها لم تغير من أحوال المسلمين والرعايا  
المحرومين شسيتها يذكر فكانت بمثابة تغيير خليفة بخليفة ولهذا قامت  
الثورات هنا وهناك في الامبراطورية الاسلامية في مصر وفي المغرب  
العربي وكانت ثورة الزنج والقرامطة بل بدأت الثورة منذ قيام الدولة  
العباسية والتي كان على رأس ضحاياها أبو مسلم الخراساني القائد الذي  
قاد العباسيين الى النصر .

لقد أسهم المسلمون (٢) من غير العرب مساهمة فاقت مساهمة  
العرب في بناء الامبراطورية الاسلامية واثرء الحضارة الاسلامية فقد نشر  
الأتراك أولوية الاسلام في آسيا والهند والصين وفي أوروبا أيضا والبربر  
في شمال أفريقيا والاندلس وكذلك فعل الفرس وغيرهم وكان الخلفاء  
العباسيون يستعينون بهم وخاصة الموالي منهم في الدفاع عنهم والحفاظ  
على ملكهم غير أنه على أيديهم تقطعت أوصال الدولة الاسلامية حيث  
استقل الولاة بمقاطعاتهم وأقاموا دويلات لهم .

### الدولة الفاطمية :

على أن أقوى تلك الدويلات الاسلامية التي انسلخت من جسم الدولة  
العباسية وأخطرها أثرا هي الدولة الفاطمية ( نسبة الى السيدة فاطمة  
الزهراء ) في عام ٢٩٧ هـ - ٥٦٧ هـ الموافق ٩٦٩ م - ١١٧١ م ) في  
المغرب على يد داعيتها ومؤسسها عبيد الله المهدي - جد المعز لدين الله .

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب انتصارا للدعوة السرية  
القرمطية التي تأثر دعااتها منذ قيام الدولة العباسية بالفلسفات اليونانية  
والفارسية والهندية فكانوا أول الدعاة للجمهورية الاسلامية والاشتراكية  
الاسلامية - لقد كانت دعوة فكرية وفلسفية اتخذت أسلوب الخلايا السرية  
وتجنيد من سموهم بالمحرومين والمظلومين ووجدوا في سلوك العديد من

(١) الاسلام والحضارة - محمد كرد علي - صفحة ١٩٦ .

(٢) التمدن الاسلامي - الجزء الرابع - صفحة ٢٠٤ هامش - جرجي زيدان .

الخلفاء العباسيين مادة للتشديد بهم وإثارة الطبقات المحرومة من المسلمين ضدهم وكانت أعمال قادة الدعوة القرمطية ضد خلفاء بني العباس لا تخلو من العمل الارهابي والاعتداءات الأمر الذي دفع الدعاة الثوريين إلى الخروج منهم والتبرؤ من أعمالهم مع التمسك بتهجهم الفلسفي في الحكم وإقامة العدالة الاجتماعية في إطار إسلامي ويقال إن الدعوى الفاطمية انسلخت عن الدعوة القرمطية وكذلك نجد أن معظم الدعوات الفكرية الإسلامية ذات الطبيعة الفلسفية والصوفية قد نشأت وتفرعت من الدعوة القرمطية فظهرت الدعوة الشيعية بتهجها وأسلوبها وكذلك خرجت منهم الدعوة الصوفية الخ . . ودليلنا على ذلك وجود المراتب القيادية التي تكاد تكون واحدة بينهم كالإمام والسيد والشيخ والمقدم وحجة الإسلام والباب العالي الخ . .

لقد لقي دعاة تلك الدعوة السرية التي كانت تعمل في الخفاء قهرا وتكديلا وصلبا زهاء القرنين من الزمان على يد الحكام الأمويين والعباسيين وخاصة في عهد المنصور والرشيد والمتوكل وأحمد بن طولون في مصر ( ٢٥٤ هـ ) ومع ذلك واصل أولئك الدعاة دعوتهم وتوجهوا شرقا وغربا إلى أطراف الدولة الإسلامية في صبر وإناة حتى كملت بالنجاح .

وفي عهد السلطان المعز لدين الله الخليفة الرابع دخل جوهر الصقلي عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م مصر منتزعا الحكم من الأخشيديين وكان يقود جيشا لجبا وصفه ابن هانيء الأندلسي الشاعر الشيعي الذي يضعونه في مرتبة المتنبى في الشرق بقوله عند خروجه من القيروان : -

فقد ضرعت حتى الرواسي لما رأت  
فكيف قلوب الانس والانس اجزع  
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر  
تخب المطايا فيه عسرا وتوضع  
تسير الجبال الجامدات لسيبره  
وتسجد من أدنى الخفيف وترجع  
إذا حل في أرض بناها مدائن  
وإن سار عن أرض ثوث وهي بلقع

واختط جوهر مدينة القاهرة لتصبح عاصمة ملكهم وخلافتهم وانتقل إليها المعز لدين الله من المغرب بعد أربع سنوات من دخول قائده جوهر

وبعد أن اكتمل بناؤها وتوطئت دعائم حكمهم سار المعز في مركب صخم ليس كوال أو حاكم فقط وإنما كإمام ديني أيضا كعهد الشيعة ونظريهم إلى الإمام .

وكان القائد جوهر قد وضع أساس مسجد كبير في القاهرة في اليوم الرابع عشر من رمضان عام ٣٥٩ هـ الموافق لعام ٩٧١ م واستغرق بناؤه زهاء العامين وأقيمت فيه الصلاة لأول مرة في السابع من شهر رمضان ٣٦٠ هـ الموافق الثاني والعشرين من يونيو عام ٩٧١ م وهو ما عرف بالجامع الأزهر الشريف . إن اهتمام الولاة المسلمين ببناء مساجد إنما يعود لأنها ليست أماكن للعبادة وحسب وإنما للدرس والتحصيل ولأسباب سياسية واجتماعية أيضا إذ ليس ثمة فصل في الإسلام بين السياسة والدين ، لقد كان هناك المسجد الحرام أو البيت العتيق والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ولما خرج المسلمون في فتوحاتهم المعروفة كتب الخليفة (١) عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في البصرة وإلى سعد ابن أبي وقاص في الكوفة وعمرو بن العاص في مصر بأن يبنوا مساجد يجتمع فيها المسلمون كما كتب إلى أمراء أجناد الشام أن يتخذوا في كل مدينة مسجدا .

كانت مصر تمثل مجتمعا راقيا متمدنا صقلته التجارب وعركته الأحداث الدينية والفكر وتمازجت فيه الحضارات وقد تسوّت مصر (٢) مركزا ممتازا في الدولة الإسلامية وكان الخلفاء المسلمون يولونها اهتمامهم الخاص وقامت حركات دينية واسعة كان مركزها جامع عمرو بن العاص وأصبحت المقسطاط لدى حقبة طويلة من الزمن قلبا للحركة الإسلامية في مصر حيث كانت تعقد فيها حلقات الدراسة والمناقشة وما يشبه الصالونات الأدبية اليوم وكان يسهم فيها العلماء المصريون والوافدون التي يقصدها من البلاد العربية الأخرى .

لم يسرع الفاطميون بدفع الأزهر إلى غايته (٣) التي من أجلها أنشئ وهي الدعوة إلى الفقه الشيعي ومنافسة حلقات الدراسة الكبرى التي كانت تعقد في جامعي عمرو بن العاص وابن طولون بل اكتفوا بجعله مسجدا رسميا يقوم في عاصمة ملكهم الجديدة وتلقى من فوق منبره خطبة الجمعة

(١) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ١١٦ .

(٢) مصر في فجر الإسلام - سيد كاشف صفحة ٣٣٧ .

(٣) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٢٠٨ .

التي كانت بمثابة برنامج الدولة الرسمي وفصروا دعائهم والدعسوة  
لدهبهم وغاياتهم السياسية في مجالس خاصة .

وبعد أن نوطدت دعائم حكمهم واستتب لهم الأمر في مصر استأثر  
الأزهر برعاية الدولة حيث اهتم به الخلفاء الفاطميون اهتماما بالغاً وبعد  
أقل من عشرين عاماً وفي عهد الخليفة العزيز بالله فتحت أبواب الأزهر  
لدراسة العلوم الدينية والعقلية التي تقوم على أساس الفقه الشيعي  
واستجلبوا له حيرة فقهاء وعلماء الدعوة الشيعية وقضائها وأغدقوا عليهم  
المال والعطايا ونقلوا إلى الجامع الأزهر كثيراً (١) من الكتب من مختلف  
الخزائن وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى أسوة بالمصريين  
للالتحاق به وكانوا بين الوقت والآخر يجرون توسعاً في مبانيه للدراسة  
وأروقة للطلاب ودورا لجماعة الاساتذة والعقهاء وحصلوا أموالاً ثابتة  
للاعتاق على الجامع الأزهر كما أسهم رجال الدولة والأمراء وأهل البر  
في تخصيص جزء من أموالهم لتنفق على الأزهر وعلى الطلاب ، ومنذ ذلك  
الوقت ونتيجة لذلك الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح  
منارة علمية كبرى وجامعة عظمى وظل يحافظ على رسالته هذه على مر  
السنين وإلى يومنا هذا - ويكفي الدولة الفاطمية فخراً أنها شيدت الأزهر  
وأنشأت دار الحكمة .

لقد أصبحت القاهرة بفضل الدولة الفاطمية قضية للخلافة الإسلامية  
ومركزاً رئيسياً لها ومهما قيل عن ذلك العهد فقد كان عهداً ازدهرت فيه  
العمارة والفنون وحفل بمجتمع علمي نبغ فيه أعلام وعلماء في الفقه  
والفلسفة واللغة والرياضيات والهندسة وغيرها ، حيث لقوا الاحترام ،  
والمعاملة الكريمة من قبل الحكام . لقد استطاع ذلك العهد تحقيق كل  
ذلك بفضل ما اتبعوه من سياسة داخلية اتسمت بالعدل والحسنة فقد  
فرضوا البيع بالتسعيرة وراقبوا استعمال الموازين في الأسواق وأدخلوا  
الحد الأدنى من الأجور للطبقات الفقيرة في الأسواق وفي أقباء ، وحددوا  
ملكية الأراضي وغيرها من التشريعات التي كانت في كثير من الأحيان  
لمصلحة المستضعفين من الناس .

وعندما دالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي ( ٥٦٧ هـ  
- ٦٤٨ هـ الموافق ١١٧١ م - ١٢٥٠ م ) عادت مصر للاتجاه السني وأخذ  
صلاح الدين على عاتقه إزالة كل مظهر من مظاهر التشيع ولم ير في

(١) القرطبي - خط ٢ ص ٢٧٣/٢٧٤ .

الجامع الأزهر إلا منبرا للدعاية الفاطمية والدعوة الشيعية فاهملت الدراسة فيه وعطل نشاطه وتواضع شأنه ولم يكن كسابق عهده وبالرغم من ذلك ظلت أبوابه مفتوحة تدرس الفقه السننى على المذاهب الأربعة وفى آخر حكم الأيوبيين كان الأزهر مسرحا لنشاط بعض اعلام الفكر والأدب .

لكن الأزهر بعث من جديد فى عهد المماليك ( ٦٤٨ هـ - ٩٢٢ هـ الموافق ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م ) والذي دام ما يقارب الثلاثمائة عام وعادت اليه منزلته العالمية وأصبح جامعة اسلامية عظمى وفى ذلك العهد انقضى المغول على بغداد فى الشرق وأحدثوا بها وبتراتها وكتبها ما هو معروف فى التاريخ وفى المغرب العربى كانت دويلات العرب تنهأوى قلاعها وتسقط الاندلس وتركزت آمال المسلمين فى مصر وأصبحت قبلة للعلماء والفقهاء والنازحين اليها وكعادتها أفسحت لهم صدرها وآوتهم فى حنان ورفق وأخذ أولئك العلماء الوافدون يتعاونون مع رصفسائهم المصريين فى حمل رسالة العلم فى الأزهر المسمور وفى معاهد مصر الأخرى ، وقد وصف العلامة ابن خلدون ( ٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ - الموافق ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م ) مصر آنذاك وهو أحد العلماء العظام الذين وفدوا اليها وتولوا التدريس فى الأزهر بقوله : « لا أوفر (١) اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم واىوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع ... » .

ولكن بعد تلك الحقبة الغنية من النشاط الفكرى والروحى الذى حققه الأزهر ران عليه الجمود وأصابه العقم بعد أن جثم الانراك العثمانيون على صدر مصر ( ٩٢٢ هـ - ١٢٥٠ هـ الموافق ١٥١٧ م - ١٨٠٥ م ) فقد عمدوا الى اضعاف منزلة مصر ليجعلوها من مدينتهم اسطنبول قبلة للعالم الاسلامى وليسهل لهم حكم المسلمين فقبض السلطان العثمانى سليم على أكابر مصر وقضااتها ورجال المهن والفنون وبعث بهم الى اسطنبول وخرب مساجد مصر وانتزع نفائسها وكنوزها وما كانت تزخر به من كتب ومخطوطات وأرسلها لبلاده - لقد كان احتلال العثمانيين (٢) لمصر والبلاد الاسلامية نكبة ومحنة بل وتقويضا للمدنية الاسلامية .

(١) ابن خلدون - المقدمة - صفحة ٤٨٦ .

(٢) م - عبد الله عنان - مصر الاسلامية ٢٠٩ .

نجح الأتراك العثمانيون في مهمتهم ولم تعد مصر كما كانت عليه عظمة الجاه سامقة المكائنة حيث فقدت أهميتها السياسية والاجتماعية وانغمست مدارس الفكر والعلم الأخرى ولكن بقي بصيص (١) من النور يشع من الأزهر الشريف استطاع به أن يحفظ اللغة العربية والعلوم الإسلامية وبذلك حمى هذا التراث العظيم في وجه المتربصين به .

ولكن الأيام دول .

وقد دالت دولة الاتراك وولاتهم من الممالك وكذلك خرج نابليون وجيشه الغازي من مصر مذموما مدحورا بفضل تماسك المصريين ووقوفهم وراء زعماء الأزهر وتولى محمد علي باشا الحكم بعد أن اختاره شيوخ الأزهر واليا على مصر .

كان محمد علي باشا وأسرته من بعده ينظرون الى الأزهر كمؤسسة مصرية موهوبة الجانب وقد عاد عنصرا هاما في السياسة والشئون العامة وكانوا يسعون لضعاف نفوذ ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ولكنهم كانوا يضطرون لاجراء بعض الإصلاحات فيه رضوخا لم يكن في وسعهم تجنبها .

وظلت مصر كما كانت دائما أبدا كعبة العلماء والقصاص يهرعون اليها ليستظلوا بظليها الوارف ولينهلوا من نبعها الفياض وكان جمال الدين الافغانى قطب الرضى منذ أن حطت رحاله مصر عام ١٨٧١ والتفت حوله مجموعة من طلابه التابئين وقامت نهضة فكرية ميمونة ثم نفى جمال الدين وغادر مصر عام ١٨٧٩ ولكن الشعلة التي أوقدها ظلت تنقد حتى قامت الثورة العراقية وكان عرابي والبارودى ومحمد عبده وعبد الله التديم وقادة الثورة ومن قامت على أكتافهم نهضة مصر من متخرجي الأزهر .

لقد شهد الأزهر تطورا واصلاحا كبيرا منذ أواخر القرن التاسع عشر وهنا يقفز الى الذهن الامام محمد عبده فقد اقترح اسمه بما جرى للأزهر من اصلاح ونهضة في أداء رسالته ، كما ارتبط الأزهر باسماء نخبة كبرى من رجالات مصر أسهمت بنور كبير في تاريخ مصر السياسى والثقافى وفي ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩ ممن يعرفهم الصغير والكبير .

وبعد الحرب العالمية الثانية تطورت الاحداث العالمية ورغبت  
الشعوب تطالب بحق تقرير مصيرها وقامت ثورة يوليو في مصر عام  
١٩٥٢ فشملت يدها الأزهر وأجرت فيه اصلاحات جسيمة من حيث  
تنظيم هيئاته (١) واقامة كليات للدراسات الاسلامية والعربية والطب  
والعلوم والتجارة والهندسة واصبح الأزهر يعيش بالاسلام في واقع  
المجتمع ويبعث روح الدين في شتى مجالات العمل ويعيل مكانه في  
العالم كجامعة اسلامية مرموقة تأخذ بأسباب الدين والدنيا وحق للمفكر  
العربي الأستاذ (٢) عباس محمود العقاد ان يفر عينا في مرقده فيسبر  
النادى باصلاح الأزهر بقوله :

« حبر ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعة العلمية  
وان يرداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية ولن يحال بينه  
وبين العزلة والانقطاع »

ونحن مؤمنون بماضي الأزهر العظيم ولكننا أشد أيمانا بمستقبله  
لان وظيفته في الماضي كانت واحدة لا منازع فيها ولكنها في المستقبل  
وظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة العلم وحكمه  
الاسلام »

والجامع الأزهر أحق مكانة بأن يتدارك عيب العصر الحاضر الذي  
يتمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح فيتسلم فيه الرجل وهو  
مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم »

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٤٦٢ .  
(٢) سنية لراعة - تاريخ الأزهر في الف عام من ٣٨٩ .

## ● السودان وبداية انتشار الاسلام

يعرف شمال السودان في العصور الوسطى بالنوبة وكان أول من أطلق لفظة النوبة هو المؤرخ الاغريقى اراتوتينيس في القرن الثاني قبل الميلاد على المنطقة الواقعة على جانبي النيل بين أسوان ودنقلا وهو تعبير جغرافى حرف أخيرا ليصبح اسما للقبائل المستعربة هناك .

دخلت المسيحية الى شمال السودان منذ القرن السادس الميلادى وقامت فيه ثلاث ممالك مسيحية وهى مملكة النوباط في المنطقة الممتدة من الشمال الأول الى الشمال الثالث وعاصمتها فرس ( ٥٤٣ م ) وجنوبها مملكة المفرة وعاصمتها دنقلا حوالى ( ٥٦٩ م ) وامتدت هذه السولة جنوبا حتى كبوشية الحالية والتي سماها العرب بالأبواب ولكن دولتى النوباط والمفرة اندمجتا في مملكة واحدة قوية للوقوف في وجه الزحف العربى الاسلامى من مصر وبالفعل عاشت هذه الدولة الموحدة ما يقرب من سبعمئة عام . اما الدولة المسيحية الثالثة كانت تعرف بعلوة وعاصمتها سوبا ( ٥٨٠ م ) على بعد اثنى عشر ميلا جنوب الخرطوم على الضفة الشرقية للنيل الأزرق .

وما ان استتب الأمر لعمر بن العاص بعد فتح مصر عام ٦٤١ م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى سير حملة جنوبا لغزو النوبة المسيحية وفتحها باسم الاسلام ولتأمين حدود مصر الجنوبية ولكنها قوبلت بمقاومة عنيفة ولم تستطع التوغل جنوبا لاداء مهمتها ويبدو أن عمرو بن العاص شغل بمشاكل الحكم في مصر فترك النوبة وشأنهم



ولكن بعد أن تولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح حكم مصر خلفا لعمر  
ابن العاص سير جيشا ليها لفتح النوبة عام ٦٥١ م بعد عشر سنوات  
من فتح مصر وتقاتل الطرفان قتالا شديدا وصفه الشاعر (١) بقوله  
لم تر عيني مثل يوم دنقله      والخيل تعدو باندروع مثقله

واتفق الطرفان على هدنة بينهم عرفت بالبقط يفسرها المؤرخون  
بأنها معاهدة حسن جوار (٢) أو عدم اعتداء بتعبير حديث تحقق لمصر  
الامنيته على سلامة أراضيها من ناحية الجنوب والتبادل التجاري بين  
البلدين فنحصل مصر على الرقيق وسواعدهم القوية وعلى الماشية كما  
تحصل النوبة ( السودان اليوم ) على بعض الحبوب غير أن المعاهدة  
اشترطت على النوبة المسيحية حفظ مصالح المسلمين وحريتهم الدينية  
فيها والعناية بجامع دنقلا ونقلافتة واسراجة وكان هذا الجامع يجتمع  
فيه المسلمون الذين دخلوا الاسلام هناك لما بعد محاولة عمرو بن العاص  
غزو النوبة أو بفضل التجار والوافدين من مصر الاسلامية - لقد كانت  
تلك الاتفاقية تحظى بموافقة البلدين - مصر الاسلامية والسودان المسيحي  
- لحاجة كل منهما لذلك التعاون والتبادل التجاري ولذلك ظلت سارية  
المفعول أكثر من ستمائة عام دون ما انحلال بنصوصها الا في حالات  
قليلة .

كذلك وفي عهد الخليفة العباسي المأمون خضع البجة في شرق  
السودان للحكم الاسلامي أي بعد حوالي ثلثمائة عام من غزو ابن أبي  
السرحة للنوبة وأصبحت بذلك الأراضي الواقعة من جنوب أسسوان الى  
جنوب دهلك - مصوع جزءا من الدولة الاسلامية .

وبالرغم من بقاء مصر دولة اسلامية فقد ظل السودان ( النوبة )  
كما كان دولة مسيحية مئات السنين وكان ينظر الى ملوكها على قدم  
المساواة مع ملوك مصر وبلاد الشرق الأدنى . وقد أرسل (٣) ملك النوبة  
المسيحي زكريا ابنه جورج المعروف بغيرقي في الوثائق العربية الى  
بغداد عام ( ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ) في مهمة دبلوماسية لتسوية متأخرات  
الجزية التي فرضتها معاهدة البقط وقد استقبله الخليفة العباسي

(١) ابن عبد الحكم فتوح مصر - نقلا عن المكتبة السودانية العربية مجموعة النصوص  
والوثائق للدكتور مصطفى مسعد .

(٢) د. يوسف قبيل - دراسات في تاريخ السودان ج ١ - ص ٢٧ .

(٣) د. مصطفى مسعد - الاسلام النوبة ص ١٧١ .

المعصم استقبالا كريما في بغداد واستمع له ولشكواه من ان بعضا من المسلمين في أسوان أخذوا يشترون أراض من رعاياه المسيحيين وهي بمس الشكوى اننى كان قد تقدم بها ملك النوبة للخليفة (١) المأمون عند زيارته لمصر وبالرغم من الاستقبال الحافل الذى لقيه جورج فى بغداد واحابة بعض مطالبه الا أن شكواه بخصوص شراء المسلمين لأراضى النوبة ( السودان ) لم تقبل مع أن معاهدة البقظ لم تسمح للمسلمين بالاقامة فى ارض السودان المسيحية .

ثم خضعت مصر لحكم الماليك فى القرن التاسع الميلادى ولم يعد العرب كما كانوا حكاما بل رعايا ولم يكن لهم شأن فى الدولة كما كانوا (٢) ونسب الصراع بينهم وبين الحكام المسلمين غير العرب فى مصر وأصبح ينظر اليهم كمتطرفين وخارجين على القانون فازداد تدفق القبائل العربية تباعا لذلك على السودان الشمالى واختلطوا بالسكان المحليين وانشر لسانهم ودينهم .

وكان الحكام الماليك وبالدات الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون يرسلون حملات تأديبية على النوبة ( السودان الشمالى ) لامتناعهم عن دفع الجزية التى فرضتها معاهدة البقظ .

وأخيرا امام تكاثر الهجرات العربية للنوبة ( شمال السودان ) وحالة الفوضى التى كانت عليها المنطقة وصراعات الملوك حول السنطة وغزوات سلاطين مصر سقطت الدولة المسيحية فى دتقلا فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وانفتح الباب على مصراعيه للقبائل العربية فتدفقت جنوبا وأخذوا يكونون بيئاتهم ومجتمعاتهم القبليسة وكما قال ابن خلدون (٣) :

« وانتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وعلاوها عبثا وفسادا وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا الى مصالحتهم بالمصاهرة » .

هكذا سقطت دولة المغرة المسيحية فى دتقلا وبقيت دولة ( علوة

(١) السعوى - مروج الذهب - نقلا عن مصطفى مسعد المكتبة السودانية ص ٣٠ .

(٢) د. مصطفى مسعد - امتداد الاسلام والعروبة .

(٣) ابن خلدون - المعبر وهوون البحث والخبر نقلا عن المكتبة السودانية العربية

مجموعة النصوص ص ٢٨٠ - د. مصطفى مسعد .

المسيحية في سوبا تنتظر مصيرها المحتوم والقبائل العربية تتجمع وتتوحد بعد فترة زمنية تقرب من القرنين وتقيم تحالفا مع أسرة سودانية حاكمة وتسقط الدولة المسيحية على يد ذلك التحالف عام ١٥٠٤ م .

كان قيام الدولة المسيحية في السودان ايذانا ببداية تقدم سياسي وثقافي بعد ما أصاب السودان من ضعف وتدهور بعد سقوط دولته مروي في منتصف القرن الرابع للميلاد .

لقد امتدت فترة العهد المسيحي في السودان ما يقرب من الألف عام مما أثر تأثيرا مباشرا سياسيا وثقافيا وروحيا وساعسد في تكييف الحضارة المميزة للسودان حيث كانت الطقوس الدينية تؤدي في الكنائس باللغة اليونانية قبل الفتح الاسلامي ثم باللغة القبطية وأخيرا باللغة النوبية نفسها فقد ترجم اليها الكتاب المقدس نفسه .

اضحى للسودان المسيحي اسم كبير في الشرق الأدنى وكان ملوكه يعاملون على قدم المساواة مع حكام مصر وبيزنطة والبلاد الأخرى في تلك المنطقة .

وكانت للسودان علاقة طيبة بمصر الاسلامية الا في فترات بسيطة وقد قويت العلاقة بينه وبين الدولة الفاطمية في مصر بصفة خاصة وقد أرسل القائد جوهر الصقلي عقب فتح مصر رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني برسالة ودية لملك النوبة قيرقي ( جورج ) كان مما جاء فيها دعوته له لاعتناقه الاسلام .

كما أكثر الفاطميون من استجلاب السودانيين وتجنيسهم في صفوف الجيش الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية ويروى أنهم بلغوا الخمسين ألفا وأصبحوا قوة كبرى في مصر مما اضطر صلاح الدين الأيوبي أن يحاربهم ويقضي عليهم ليقيم دولة الأيوبيين .

لقد كان السودان أول بلد زنجي غرست فيه بذور المسيحية وقامت فيه دولة مسيحية وشهد السودان قيام دولة عربية اسلامية عرفت بسلطنة سنار أو سلطنة الفونج نسبة الى الاسرة السودانية الحاكمة ثم تبعها دولة دارفور ومملكة تغل في كردفان وكلها انضوت مؤخرا بعد فتح محمد علي باشا للسودان لتكون السودان اليوم في الجزء الشمالي الشرقي لأفريقيا دولة عربية أفريقية ذات سيادة كما قامت دول اسلامية

في أفريقيا الغربية وانتشر الاسلام من البحر الاحمر الى بحيرة تشاد ولم  
يبقى في أفريقيا دولة مسيحية غير الحبشة .

ومن الطريف أن معظم القبائل العربية التي دخلت السودان مازالت  
تحتفظ بأسمائها العربية الى اليوم مثل كنانة وسليم وفزاره وجهينه ورفاعة  
ونائل وبنى حنبل وهلال وجزام والضباينة ( محرفة من ذبيان ) ( ١ )  
وغيرها .

---

( ١ ) عبد الله عبد الرحمن - العربية في السودان طبعة بيروت .

## ● نواة التعليم الدينى المنتظم

كفلت اتفاقية البقط التى أشرنا إليها آنفا والتى عقدها عبد الله ابن سعد بن أبى السرح حاكم مصر آنذاك مع الدولة النوبية المسيحية . كفلت للمسلمين حرية ممارسة شعائرهم الدينية فى تلك الدولة المسيحية فقد جاء فيها بالنص :

« وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ( يقصد دنقلا عاصمة دولة النوبة المسيحية ) ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه الى أن ينصرف عنه وعليكم كنسه واسراجه وتكرمه » ١٠

كان ذلك أول اشارة تاريخية الى مسجد دنقلا العتيق الذى كان قائما قبل غزو ابن أبى السرح لأرض النوبة ( السودان الشمالى ) ربما بنسائه المسلمون الذين تخلقوا هناك بعد حملة عمرو بن العاص التى شنتها بعد عامين من توليه حكم مصر ( ٢٠ هـ - ٦٤١ م ) أو التجار أو الجنود أو الرعايا الذين اليها من مصر .

لم تكن القبائل العربية الوافدة تهتم بنشر الاسلام ربما لانشغالها بمشاكل الرعى فى وطنها الجديد ولجلها بأصوله خاصة بعد مصاهرتها للسكان المحليين الا فى حدود ضيقة حيث مكف بعض الرواد المسلمين ينشرون العقيدة الاسلامية فى بساطتها وسماحتها واتسع نفوذ المبشرين الاسلاميين بعد سقوط الدولة المسيحية فى الشمال كما ذكرنا آنفا وانفتح الطريق لكثير من العلماء المسلمين من مصر والحجاز

واليمن والمغرب للاقامة في السودان حيث أخذوا يدرسون للناس قواعد الاسلام وكان مسجد دنقلا بمثابة جامع عمرو بن العاص في مصر آنذاك يؤمه ويصلى ويجاور فيه مسلمو تلك المنطقة .

لقد بقيت دولة علوه المسيحية في سوبا وحدها تقاوم النفوذ العربي الاسلامي الذي كان يحيط بها حتى سقطت في عام ١٥٠٤ وقامت دولة سنار كما ذكرنا سابقا .

لقد صاغت دولة سنار - أو ما تسمى أيضا بسلطنة الفونج - اساس السودان العربي الافريقي الذي تزاوجت فيه الحضارة النوبية والفرعونية والزنجية لتصب في رافد الحضارة الاسلامية التي ازدهرت في السودان بفضل العلماء الوافدين اليه من البلاد العربية لا سيما مصر وبفضل العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الازهر وأتباعهم وتلاميذهم ويسكننا اذا ان نقول ان انتشار الاسلام في السودان تم على مرحلتين أحدهما تلقائية وبواسطة طلائع المهاجرين والأخرى منظمة وعلى اساس علمية عن طريق الازهر أساسا .

أخذت الحياة الدينية الاسلامية تأخذ طابعها العلمي المنتظم في عهد الشيخ عجيبي بن الشيخ عبد الله جماع أحد مؤسسي دولة سنار لقد أرسى ذلك العامل الذي جلس على كرسي الحكم مدة طويلة ( ٩٧٠ - ١٠١٦ هـ / ١٥٦٣ - ١٦١٠ م ) أسس الحياة الدينية في السودان حيث بنى المساجد ودور العلم في أنحاء البلاد وفي عهده الطويل أقبل كثير من العلماء المسلمين الى البلاد حيث لقوا من التكريم والقبول ما هم به حريون وهو الذي بنى دواقا في المدينة المنورة (١) لايواء السودانيين وآخر في مصر لطلاب العلم السودانيين في الازهر الشريف .

أقبل السودانيون على الدراسة والعلم في شغف ونهم وكانوا يهاجرون من شيخ الى شيخ في طلب المزيد منه ثم يولون وجههم شطر الازهر الشريف بالذات حيث صدق عليهم القول المأثور بأن للمسلمين قبلتين دينية وهي الكعبة الشريفة وعلمية وهي الازهر الشريف ، كانوا يسافرون الى الازهر وهم يحفظون القرآن وعلى دراية بعلوم اللغة والفقه .

---

(١) محمد محيي الدين - مشيخة العبدلات - ص ٢٦٢ .

محمد عفيف الله - الطبقات - ص ١١٧ نسخة ابراهيم صديق .

لقد ترك لنا أحد العلماء السودانيين وهو الشيخ عمار بن عبد الحفيظ وصفا لرحلته الى مصر والحجاز كعنتي العلم والدين أنقله  
بمنصه :

« كان سافرا من سنار لطلب العلم بالأزهر وللحج في يوم الجمعة بعد العصر خامس رمضان سنة سبعة وسبعين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولم ندخل مصر الا في أول شهر صفر في سنة ثمان وسبعين وجلسنا بالأزهر الى شوال ثم سافرنا الى الحج وحججنا حجة الاسلام في تلك السنة أي سنة ثمان وسبعين وفي شهر صفر سنة تسع وسبعين جلسنا بالأزهر بعد عودتنا من الحج ومكثنا بقية صفر والربيعين والجمادين ورجب وشعبان ورمضان ثم سافرنا للحج أي حج التطوع في شهر شوال مع الحجيج المصري وحججنا في سنة تسع وسبعين ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام ثم سافرنا الى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم سنة ثمانين وجلسنا في المدينة ماشاء الله ان نجلس ثم رجعنا الى مكة شرفها الله مجاورين بيت الله الحرام الى ان حضرنا مولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بمكة ودخلنا فيسه وصرنا ان شاء الله من الآمنين ثم سافرنا من مكة يوم سابع عشر من ربيع الأول الى جدة ومنها الى مصر بالسلامة في البحر في شهر رمضان من سنة ثمانين وألف ثم ادركتنا سنة واحد وثمانين بمصر وسافرنا منها الى البلد وكان حجنا حجة الاسلام سنة ثمان وسبعين وحجة التطوع سنة تسع وسبعين وكان يوم عرفة يوم الجمعة والحمد لله رب العالمين .  
ويقول عنه المؤرخ السوداني محمد ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤هـ - ١٨٠٩ م ضمن ما قال :

« ... ولد بسنار وسافر الى مصر والحجاز لطلب العلم والحج قرأ فيها العلوم الفقهية والنقلية والعقلية وعلم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف وسائر الفنون يقرأ الكتاب ختمة وختمة وتحصل على أكثر الشروح فاحضر معه رجلين أو ثلاثة كتب ٠٠٠ وعكف على تدريس مواطنيه » .

هكذا كان السودانيون يسافرون الى الأزهر غير عابئين بمشاق السفر ووعثائه وطوله وعنائه فقد كانت الرحلة من سننار الى مصر تستغرق آنذاك خمسة شهور يتعرض المسافرون فيها للمخاطر والأهوال

التي كانت تتمثل في غارات النهب والسلب ومن جراء الحروب القبلية  
العنيفة التي شهدتها البلاد في آخر عهد دولة متار .

وكما ترك لنا الشيخ عمار بن عبد الحفيظ وصفا لرحلته الى  
الازهر عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م كذلك سجل الشيخ محمد المبارك  
عبد الله شيخ علماء السودان رحلته الى الازهر عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م  
اي بعد مائتين وخمسة وستين عاما من رحلة الشيخ عمار - ويلاحظ  
ان السفر للازهر كان املا عظيما وهدفا كبيرا لدى طالبى العلم على  
بعد الزمان مع اختلاف في الظروف والمعوقات .

يقول الشيخ محمد المبارك عبد الله :

« ويتتابع الزمن اياما واسابيع وشهورا ، واسمع من الازهر  
الشريف ، واعلم علو شأنه في جامعات العالم واصالته في التعليم الدينى  
وان ما سواه راقد من روافده وتبع له في ذلك ، وانه منتهى مقاصد  
التناء يغدون اليه من كل فج عميق ، وغاية غايات طلاب العالم  
الاسلامى يهرمون اليه من كل حذب وصوب ، وانه كما قال شسرقى  
فى عليائه :

واخشع مليا واقض حق ائمة	طلعوا به زهرا وما جوا ابجرا
كانوا اجل من الملوك جلالة	واعز سلطانا واخبر مظهرهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الانسان وكان ظلم الذرة
من كل بحر فى الشريعة ذاخر	ويريكه الحلق العظيم غشفسرا

★ ★ ★

حتى ظنننا الشياعى ومالكا وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

فارغب مع الزمن فى السفر الى مصر اللاتحق بالازهر طلبا للعلم  
على اعلى مستوى ، واذكر مفتش مصلحة المعارف المصرى ، الذى كان  
يسر فى زيه الأزهرى الفاخر بالخلاوى يشرف نظمها وعدد طلابها ونتائجها  
ليقوم بتقويمها ويكتب عنها تقريرا يقدمه للمسئولين فى مصلحة  
المعارف تمهيدا لاعانة فقهاؤها كما أخبرنا بذلك الفكى جلدان مسرورا  
عندما مر بخلوتنا وقدمنى اليه الفكى فتناول لوحى ونظر خطى فاعجبه  
واخذ يسألنى وأجيب فيستحسن أجوبتى كيف كان وقورا حسنا  
الهندام رفيع المقام جليل الشأن يقوم الناس على اختلاف مكاناتهم  
اجلالا له ليتلقونه بالشكر والتبجيل فى كاكولته الازهرية الخضراء  
وعمامته ناصعة البياض على طربوشه الاحمر القانى .



ويجيء الشيخ حمد ادريس من اهالى جزيرة توتي وكان قد سافر الى الازهر وحصل على اهلوية الغريباء ومعه مؤلفه فى العروض الذى سماه ( التذكرة التوتية ) فيحدثنا من التعليم فى الازهر ووزارة علم علمائه وعبقرياتهم وقدراتهم الفسائقة على كشف التشبهات وحل المشكلات وتوضيح العضلات ، وعن سر الالتحاق بالازهر وعن رواق السنارية ( داخلية السودانين ) ونزلهم هناك ويجيء بعض السودانين من الازهر غير الشيخ حمد الشيخ ادريس يحملون مختلف الشهادات الازهرية على تفاوتهم فى التحصيل واختلاف مراتبهم فى الملكات العلمية فتفتح لبعضهم ابواب وظائف الحكومة فى القضاء والتدريس وتكون لهم المكانة الاجتماعية المرموقة فيزيد كل ذلك من رغبتى ، فحسب ان رغبتى كلما قويت تصطبغ بصخرة صلبة أقوى منها ، هى توقع عدم موافقة والدى على سفرى وخوفى من أن يكون والدى كما يجب العلم يحب اقامتى بجسانبه وأن تكون اقامتى بجانبه أحب اليه من العلم فأسف لذلك كثيرا ، واعانى منه كثيرا .

ويختلف الليل والنهار وننتقل من السنة الدراسية الثانية الى السنة الدراسية الثالثة وتشجعنى الاولية فى نتيجة الامتحان ، وتتدخل دوافع أخرى تحملنى على السفر غير مجرد الرغبة فيه ، فهذا زميل واحد منافسى فى السنة الدراسية يسافر الى الازهر ويلتحق به شاردًا من غير اذن والده ، وهامهم أولاء جماعة من طلاب كلية غردون يابقون لطلب العلم بمصر ويساعدهم على هذا الاباق أعضاء جمعية اللواء الأبيض وكم ند غيرهم من الطلاب كما يند البعير والتحق بالازهر متحملاً مشقة السفر مع المواشى فى عربات الحيوانات بقطارات البضاعة فحسن حاله وصار له شأن فالفاية شريفة والسفر فى طاعة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وربما يكون صاحبى قد افقتى نفسه من هنا بجواز ذلك .

ولكن اليس فى المعهد من العلم ما يكفى طلاب الفقه فى الدين ؟ والمنهج واحد والكتب المقررة هنا هى الكتب المقررة هناك ، وقد اقتبس الشيخ أبو القاسم هذا النظام من نظام الازهر بواسطة الشيخ محمد شاكر وكيل الازهر الذى كان قاضيا للقضاة بالسودان كما سمعنا ذلك من مشايخنا اكثر من مرة فى معرض الحديث عن نشأة المعهد والثناء

عليه ، على كل حال طلب الزيادة على العلم الواجب ان لم يكن واجبا  
عنيا فهو واجب كفائي أو مندوب اليه ، وقد كان الصحابة والسلف  
الصالح رضوان الله عليهم يرحلون طلبا لتفسير آية من كتاب الله أو  
رواية حديث من أحاديث رسوله إلى أقاصي البلاد فضلا عن أنه لا يمكن  
أن يكون المعهد - كالآزهر - وهذه الكتب المقررة كلها أو أكثرها من تأليف  
علماء الأزهر ، والمسألة ليست مسألة مماثلة في المقررات والكتب ، وإنما  
هي مسألة رجال يشرحون هذه الكتب ويبينون ما غمض منها ،  
ومشايخنا وإن كانوا علماء كيلة إلا أنه ما من كمال إلا وعند الله ما هو  
أكمل منه ، وغرق كل ذي علم عليم ومن قصد البحر استقل السواقيا .

وهكذا تتداعى الأفكار المتعاقبة وتوارد الخواطر والمواثبات  
والمعادلات في ذهني فأعاود الحديث مع والدي بشيء من الصراحة : اني  
أريد أن أسافر إلى مصر السنة الآتية بعد أداء الامتحان وانتهاء العام  
الدراسي الحالي إن شاء الله وأريد أن أسافر وأنت راض عني لا كما  
فعل فلان وفلان ، وما دمت سأقضي اثنتي عشرة سنة في طلب العلم  
بالمعهد هنا لأحصل على العالمية فخير لي أن أقضي هذه المدة بالآزهر  
وأحصل على العالمية من هناك .

ولكن ليس رغبنا والدي وحده هو كل شيء في عدة السفر إلى  
مصر للتعليم ، وليس كل ما قام به نحوي من أعداد وزاد يكفي لسفري  
مالم يأذن السكرتير الإداري أو مكتب المخابرات في ذلك الوقت أو دون  
أن أحصل على تأشيرة الخروج كما بسمونها الآن ، ومن لي بأن يأذن  
السكرتير الإداري بسفري إلى مصر للتعليم في تلك الظروف التي نشطت  
فيها الحركة الوطنية ضد المستعمرين ، وتواطأت في مصر والسودان ،  
وانتجنت أهدافها ، وتجاوب القائمون بها ، وأخذ أعضاء جمعية اللواء  
الابيض يهربون طلاب كلية غردون الوطنيين إلى مصر لإكمال دراستهم  
في المدارس الثانوية ، وجامعة القاهرة ، وأعدادهم للنضال ، كما تهرب  
المنوعات ، فالحج إلى الوساطة الكريمة في هذا أيضا .

ولنتهي الوساطة إلى اليوزباشي عبد الخالق حسن مأمور مركز  
أم درمان حينذاك ، غير أن وساطة عبد الخالق بك تزيد الأمر تعقيدا  
فيما يبدو من غير قصد ، وتثير منافسة في موضوع سفري بين  
عبد الخالق بك ومكتب السكرتير الإداري : يسر عبد الخالق الرجل  
المصري الوطني المسلم ، أن أسافر لأطلب العلم بالآزهر الشريف ، وأن  
يشجع مثل هذه الهجرة إلى مصر في طلب العلم بالآزهر بين طلاب

المعهد ، كما تشجع الهجرة الى مصر طلبا للعلم في مسندارس وزارة المعارف المصرية بين طلاب كلية غردون ، ويختص مكتب السكرتير الادارى ان اذن لى ان يفتح باب السفر الى مصر لطلب العلم امام طلاب المعهد فينتهالوا عليه ، وهو ما لا تريده حكومة السودان ويعتبر في سياستها لنوهين العلاقات الثقافية بين مصر والسودان اخطر شيء ، ويسألنى كبير الموظفين فى مكتب السكرتير الادارى لماذا لا ألتحق بقسم القضاء الشرعى فى كلية غردون أو اطلب التعيين فى المحاكم الشرعية فى الوظيفة التى تناسب معلوماتى ان كنت لا أريد مواصلة الدراسة بالمعهد ؟ ولماذا أعرض نفسى بالسفر الى مصر فى هذه الظروف للحرمان من العودة الى بلدى ، والالتحاق بوظائف الحكومة محاولا صرفى عن السفر بالترغيب تارة ، والترهيب أخرى ، غير أنى أصر على طلب الاذن بالسفر مهما كلفنى ، ومهما كان من نتائج القربة والباعدة وأظفر بعد البيت والننى كما يقولون بجواز السفر المطبوع والمعد للسفر بين مصر والسودان فى تلك الأيام . وهو ورقة واحدة بها بيان حال المسافر وأوصافه وعنوانه هنا وهناك والضامن على صفحة باللغة العربية ، وعلى الاخرى باللغة الانجليزية مقابل خمسة قروش ، ولا اذكر الآن انى فرحت منذ ولدت ووعيت الى ذلك التاريخ بشيء فرحى بالحصول على هذه الورقة التى تسمح لى بالسفر الى غايتى « (١) » .

لقد حصل الشيخ محمد المبارك عبد الله على الشهادة الابتدائية النظامية فى نفس السام الذى التحق فيه بالازهر وكان يحمل شهادة النقل من السنة الثالثة الى السنة الرابعة الابتدائية من معهد أم درمان العلمى الذى انشئ عام ١٩١٢ م على غرار الازهر كما ستري فيما بعد .

ولعله من المفارقات القربة ان المواطنين وعلى رأسهم سلاطين وحكام سنار كانوا يحتفلون بالطلاب السودانيين القاصدين الازهر ويودعونهم وداعا حارا على النقيض مما كان يجرى للطلاب بعد ثلثمائة سنة ابان الحكم البريطانى على السودان اذ كان أولئك الطلاب يتخفون فى زى رعاة البقر الذين يرافقون الأبقار والماشية التى يصدرها أصحابها الى مصر لبيعها هناك .

---

(١) محمد المبارك عبد الله مذكرات وذكريات من ٢٥ .

## ● الرواد السودانيون من متخرجي الأزهر

سلطنة سنار ( ١٥٠٤ - ١٨٢١ م ) .

اول من وفد الى مصر من السودان للدراسة في الأزهر كما تسجله  
وثائق التاريخ هو الشيخ محمود احمد العركي الذي تعلم على الشيخين  
شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني في ما بين ١٢٥٠/١٢٤٠ هـ -  
الموافق ١٥٢٩/١٥٣٤ م وهما من شيوخ المالكية المعروفين .

وعندما عاد الشيخ محمود انشأ خمس عشرة مدرسة على النمط  
الابيض في منطقة الكوة ( اليس ) على بعد ١٢٠ ميلا جنوب الخرطوم  
ولنا ان نعرف مبلغ الجهد والدور الكبير الذي قام به اذ لم تشتهر  
قبله في البلاد مدرسة علم ولا قرآن وعدد المواطنين الذين درسوا عليه  
واتشروا يحملون رسالة النور لمواطنيهم الآخرين فوق التقدير .

وهناك اولاد جابر الأربعة وهم ينحدرون من أسرة دينية معروفة  
كان عميدها العالم غلام الله بن عابد الذي وفد السودان من اليمن في  
آخر القرن الخامس عشر الميلادي . كان أكبرهم ابراهيم جابر وقد  
درس في الأزهر على الشيخ محمد البنوقري وغيره من اعلام المالكية  
في مصر الفقه المالكي وأصول اللغة والنحو وعاد الى بلاده ويقال انه  
أول من درس مختصر خليل بن اسحق المالكي ورسالة ابن أبي زيد  
القميواني في السودان . ويعرف الشيخ ابراهيم بالولاد (١) ووراء

---

(١) ود ضيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق - ص ٦

هذا اللقب قصة اذ يقال ان رجلا أقسم أن يدخل بيته جميع ما خلقه الله فافتاه الشيخ ابراهيم بوضع المصحف على سريره مستندلا بقوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ولما سمع الشيخ البنوفرى تلك الفتوى قال لتلميذه ابراهيم « انت بولاد البر » ويقصد بالبر السودان كما كان بعضهم يسميه . ويروى أن الشيخ ابراهيم قد تعلم عليه أربعون رجلا أصبحوا أقطابا في الدين واعتبر ذلك العدد المناسب الذي يتولاه الشيخ بالتدريس والباقون من الطلاب يتولى تدريسهم حواريون للشيخ ويعرف الواحد منهم بالعريف كما هو معروف في مصر وأصبح ذلك تقليدا سار عليه العلماء اذ يتخرج على يد كل منهم أربعون قطبا في الدين وهم بدورهم ينتشرون في أنحاء البلاد ليعلموا الناس أيضا .

وكان من تلاميذ الشيخ ابراهيم أخوه عبد الرحمن (١) وقد ذهب أيضا لمصر للاستزادة من العلم في الأزهر على الشيخ البنوفرى وقد أظهر نبوغا كأخيه ابراهيم وعاد الى بلاده وتولى التدريس بعد وفاة أخيه ابراهيم وأنشأ ثلاثة مساجد أحدها في دار الشايقية والثاني في كورنى والثالث في الدفار وكان يدرس في كل مسجد أربعة شهور مقننيا في ذلك التنقل بين المساجد بأستاذة الشيخ محمد البنوفرى الذي كان يمضى أربعة شهور في القاهرة ومثلها في الاسكندرية ثم الأربعة شهور الأخيرة يقضيها في الحجاز حيث اعتاد أن يحج سنويا الى بيت الله الحرام ويروى أن الشيخ عبد الرحمن بن جابر درس مختصر خليل المالكي في تلك المساجد أربعين مرة .

ومن الشيوخ العلماء الذين درسوا على الشيخ عبد الرحمن ابن جابر الشيخ عبد الله بن دفع (٢) الله العركى الذي عساده الى اقليم الجزيرة في أواسط السودان وأخذ ينشر العلم هناك في تلك الربوع مترسما خطى استاذة في العلم وتولى مهمة القضاء أيضا . وقد ذهب الشيخ عبد الله العركى الى الحجاز وتولى تدريس الناس هناك في مقام الامام مالك ثم عاد الى بلاده رغم الحاج أهالي مكة للبقاء معهم ومواصلة تدريسه لهم .

ومن درسوا على الشيخ عبد الرحمن بن جابر الشيخ

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١١ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٢ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد ليتشر العلم بدوره  
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عثيب الذي درس  
على الشيخ البنوفري وولي القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف  
بحلاوي والذي كانت له دراية بالفتاوى والأحكام نوردتهم على سبيل المثال  
لا الحصر . .

ماد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم في  
الازهر ما تيسر لهم من العلم وما أهلهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا  
وكل منهم يحمل اجازة علمية من استاذة أو اساتذته كما جرت العادة  
آنذاك ولم تكن تلك الاجازات تمنح الا لتوابخ الطلاب فما كان الأستاذ يقبل  
لنفسه أن يمنح اجازة لغير مستحقها إذ يرتبط اسمه بهذه الاجازة  
مثل ما جاء في الاجازة التي منحها العلامة ابن الملحق للعالم القلقشندي  
اذ تنتهي الاجازة بقوله :

« . . واجزت له مع ذلك أن يروي عني من التأليف ومنها جامع  
الجوامع أعانه الله على أكماله وكذا شرح « صحيح الامام أبي عبد الله  
محمد بن اسماعيل البخاري » ومنها « البدر المنير في تخريج الأحاديث  
والآثار الواقعة في الشرح الكبير للامام أبي القاسم الرافي » وبه تكتمل  
معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها .

واجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله زاده  
الله وإبائى من فضله ومنها الكتب الستة - البخاري ومسلم وأبو داود  
والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسائيد - مسند أحمد ومسند الشافعي  
وغير ذلك . .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الازهر المصريين  
وتلامذتهم نواة المجتمع ودعامته فأقبل عليهم الطلاب من كل فج وأخذوا  
يتلقون العلم عليهم ونسوق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سنار  
( ١٥٠٤ - ١٨٢١ م ) عن أحد العلمساء السودانيين الذين علا صيتهم  
وهو الشيخ الزين بن صغيرون وكان قد درس على والده الشيخ صغيرون  
الذي درس على الشيخ محمد البنوفري في الازهر فقد قيل أن الشيخ

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٤ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ٧١ .

من هذه الاسرة - اسرة اولاد جابر . يقول احسب المؤرخين السودانيين (١) ( انهم وضعوا أساسا قويا للحياة الاسلامية في السودان فقد نشروا العلوم الاسلامية ووضعوها منهجا للدراسة وتضاعف مجهودهم على مدى السنين عن طريق الطلاب الذين تلقوا العلم عليهم ثم نشره بدورهم في أرجاء مختلفة من السودان كما قام هؤلاء الطلاب بتطوير رسالة مشايخهم اولاد جابر وذلك بادخال مواد اسلامية في خالوتهم ومساجدهم كما اتصفوا بالاجتهاد الذي تدل عليه الكتب المختلفة التي ألفوها في شتى ضروب المعرفة الاسلامية .

ولم يكن نشاط تلاميذ اولاد جابر يقتصر على التدريس أو التمرس بالتصوف بل مارسوا أيضا القضاء الشرعي وبرهنوا من خلال ممارسته على تمكنهم من العلم والمسام واسع عميق به ومثلما كان لأولاد جابر منهج في التعليم فقد كان لهم أيضا منهج في التربية تمثل في نظرتهم للحياة ومفاهيمهم للحياة الدينية » .

ومن العلماء السودانيين الذين واصلوا تعليمهم في الأزهر الشيخ عبد الرحمن (٢) حمدتو الخطيب الذي تتلمذ على الشيخ البنوفري وعاد للسودان ليقوم بتدريس مواطنيه وقد تخرج على يديه عدد من العلماء نذكر منهم الشيخ عبد الله الأغيش عميد أسرة الغيش والذي قدم أهله من دنقلا في الشمال ولد في بربر جنوبها وأنشأ فيها مسجدا مازالت شعلة العلم تنقد فيه منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا .

من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن حمدتو الشيخ ابراهيم (٣) بن عبودي المعروف بالغرضي وسمى كذلك لطول بابه في علم الفرائض الذي ألف فيه حاشية عرفت بالفرضية وظل عاكفا على تدريس الناس في منطقة النيل الأبيض الى أن توفاه الله .

ومن الذين تخرجوا في الأزهر كذلك في تلك الفترة من الزمن الشيخ عبد الرحمن (٤) بن ابراهيم بن أبي ملاح الكنانى والد الشيخ خوجلي العالم المشهور في تونى . درس الشيخ عبسك الرحمن مختصر خليل

(١) د . سر الختم عثمان = اولاد جابر - ص ٢٥ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

(٣) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ٢٢ .

(٤) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد لينشر العلم بدوره  
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عشيبي الذي درس  
على الشيخ البنوفري وولي القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف  
بجلاوي والذي كانت له دراية بالفتاوى والأحكام نوردهم على سبيل المثال  
لا الحصر . .

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم في  
الأزهر ما تيسر لهم من العلم وما ألهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا  
وكل منهم يحمل اجلزة علمية من أستاذه أو أساتذته كما جرت العادة  
آنذاك ولم تكن تلك الاجازات تمنح الا لنوابغ الطلاب فما كان الأستاذ يقبل  
لنفسه أن يمنح اجزارة لغير مستحقها إذ يرتبط اسمه بهذه الاجازة  
مثل ما جاء في الاجازة التي منحها العلامة ابن الخلقن للعالم القلقشندي  
اذ تشتمى الاجازة بقوله :

« . . واجزت له مع ذلك أن يروى عنى من التأليف ومنها جامع  
الجوامع أعانه الله على أكمله وكذا شرح « صحيح الامام أبي عبد الله  
محمد بن اسماعيل البخاري » ومنها « البدر المنير في تخريج الأحاديث  
والأثر الواقعة في الشرح الكبير للامام أبي القاسم الرافعي » وبه تكتمل  
معرفة الفقيه وبصير محدثا فقيها .

واجزت له مع ذلك ما جاز لي وعنى روايته بشرطه عند أهله زاده  
الله وإياي من فضله ومنها الكتب الستة - البخاري ومسلم وأبو داود  
والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسائيد - مسند أحمد ومسند الشافعي  
وغير ذلك » .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الأزهر المصريين  
وتلامذتهم نواة المجتمع ودعامته فاقبل عليهم الطلاب من كل فج وأخذوا  
يتلقون العلم عليهم ونسوق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سمنار  
( ١٥٠٤ - ١٨٢١م ) عن أحد العلماء السودانيين الذين علا صيتهم  
وهو الشيخ الزين بن صغيرون وكان قد درس على والده الشيخ صغيرون  
الذي درس على الشيخ محمد البنوفري في الأزهر فقد قيل أن الشيخ

(١) محمد عشيبي الله - الطبقات - ص ١١٤ .

(٢) محمد عشيبي الله - الطبقات - ص ٧١ .



الزین » جلس فی حلقة أبيه من بعده وشدت اليه الرحال وضربت آباط  
الابل وطال عمره واشتهر ذكره وأخذت عليه الأبناء والآباء والأحفاد  
والاجداد وبلغ تدريسه خمسين ختمة وبلغت حلقاته ألف طالب وتلامذته  
أصبحوا شيوخ الاسلام .

وهكذا نشأت المدن والقرى حول أولئك العلماء وتولت يسوت  
دينية بعينها تأسيس المدارس وإيواء الطلاب ونشر العلم في البلاد  
منذ ذلك العهد الى يومنا هذا كمدارس الشافعية في دنقلا والغبش في  
بربر والمجاذيب في الدامر وقوز العلم في شندى وتوى والعليفون  
وكترانج وابى حراز وام ضوابان وكثير غيرها .

## ● العلماء المصريون الأزهريون في السودان

ولم يكن العلماء السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر هم وحدهم حملة رسالته في السودان في ذلك العهد فقد كان هناك نفر من علماء المصريين الذين اسهموا بقسط واغر في نشر العلم في ربوع بلادنا نذكر منهم :

### الشيخ محمد (١) المصري القناوى :

واصله من مدينة ادفو بصعيد مصر درس على الشيوخين سالم السنهورى مفتى المالكية ويوسف الزرقانى والد الشيخ عبد الباقي شارج مختصر خليل وكان زميلا للشيخ ابي الحسن الشاذلى المصرى - قدم السودان في منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق القسرن السادس عشر الميلادى وتنقل بين مدنه واستقر في مدينة بربر القديمة المعروفة آنذاك بالمخيف بعد أن طاب له المقام فيها لجودة مناخها .

كان دافع الشيخ المصرى القناوى لزيارة السودان والاقامة فيه نشر العلم بين أبنائه اجتفاء وجه الله واحتسابا فبادر بتشسييد مسجد بالمخيف واقبل عليه طلاب العلم من كل صوب وحذب كما ترك مؤلفات في الشرح على عقيدة السنوسى الصغرى وكتاب العشماوية ورسالة في البسطة وشرح على الشمسية في علم المنطق وتبوا منصب القضاء

---

(١) محمد شيب الله - الطبقات - ص ٣٩ .

الذى باشره بنزاهه وعدل وعرف بالتقوى والورع وكان قد عمر طويلا .

وقد تتلمذ عليه الشيخ محمد (١) بن عيسى بن صالح المعروف بسوار الذهب الذى قرأ عليه العقائد والمنطق وعلوم القرآن وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان .

ومن تخرج على الشيخ المصرى القساوى حفيده الشيخ محمد المضوى (٢) ولحقه هذا مؤلفات منها شرح القصيدة المنظومة فى فن التوحيد وهو شرح مطول يكثر فيه من النقل عن كتب لها مكانتها فى فن التوحيد ويعتبر هذا الشرح أوسع من شرح الشيخ سعد الدين التفتازانى على العقائد النسفية . ومن تلاميذ الشيخ محمد المضوى الشيخ خوجلى عبد الرحمن أبو الجاز المعروف بأزرق توتى ومنهم أيضا أولاد سوار الذهب الذين قدموا اليه من دنقلا وهم بدورهم رجعوا لمنطقتهم يدرسون العلم هناك .

ثم انتقل الشيخ المضوى الى شندى جنوبا وأقام فيها هناك يدرس للناس الفقه المالكى - المختصر وشرح المختصر والرسالة وعلوم اللغة والبلاغة والتفسير والحديث وقد بلغ عدد طلبته ثلثمائة طالب .

الشيخ محمد بن علي (٣) بن قورم الكيماني :

وهو من العلماء المصريين - قدم البلاد حوالى ٩٧٠ هـ / ١٥٦٣ وزار اريجى فى منطقة الجزيرة وسنار ثم بربر حيث استقر بها ويقال انه اول من درس المذهب الشافعى فى السودان وقد تتلمذ عليه كثيرون منهم الشيخ عبد الله العركى والقاضى دشين المنقلب بقاضى العدالة والشيخ ابراهيم القرصى .

وكان الشيخ بن قورم قد درس فى مصر على الشيخ محمد الخطيب الشربيني احد اعلام الشافعية هناك .

---

(١) محمد طيب الله - الطبقات - ص ١٦٥ .

(٢) محمد طيب الله - الطبقات - ص ١٩٢ .

(٣) محمد طيب الله - الطبقات - ص ١٦٩ .

## ● مؤلفات العلماء السودانيين

لقد عني بعض أولئك العلماء السودانيين بتأليف الكتب الدينية (١) والفقوية أسوة برصفتهم في مصر والشام والمغرب والبلاد الإسلامية الأخرى نذكر منهم الشيخ أرباب بن عون المعروف بأرباب العقائد المتوفى عام ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م مؤلف كتاب الجواهر في أركان الإيمان ووصف الكتاب بأنه كان ذا نفع عظيم وقد علمت أن نسخة منه موجودة اليوم في المغرب ضمن مخطوطات أخرى كثيرة وأرباب هذا درس الفقه على الشيخ الزين بن صغيرون الذي درس على أبيه صغيرون وهو الذي قرأ على أخواله أولاد جابر وعلى الشيخ محمد البنوفري في مصر كما درس أرباب العقائد علم التوحيد على الشيخ علي ودبري المتوفى عام ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٣ م / والذي درس على الشيخ صغيرون الذي ورد اسمه آنفا .

كذلك ألف الشيخ إبراهيم بن عبودي المعروف بالعرضي كتاباً في علم الفرائض وقد درس على الشيخ عبد الرحمن بن حمد تو الذي درس في الأزهر على الشيخ البنوفري - غير أن أولئك العلماء أكثروا من شرح بعض الكتب التي كانوا يدرسونها طلابهم لتفاسد المستوى العلمي أو المرحلي لطلابهم إذ أن بعض الشروح المجلوبة كانت مستبقة العبارة وغريبة المبنى فبسطوها بما يلائم بيئتهم وفي ذلك ما يدل على طول ناعيم في المعرفة وإصالة التفكير التربوي ومدى انضباطهم في سبيل البحوث العلمي .

ومن بعض تصانيف أولئك الفضلاء والتي جاء ذكرها في كتاب الطبقات :

---

(١) راجع يوسف فضل - دراسات في تاريخ السودان ج ١ ص ١١١ إلى ١١٨ .

- شرح مختصر خليل لكل من ضيف الله بن علي ومختار بن جوده الله .
- حاشية علي مختصر خليل لمحمد بن عبد الله بن حمد الاغبش .
- حاشية علي خليل لمجوده التنقار .
- رسالة في الفتاوى والاحكام لعبد الرحمن بن جابر .
- شرح الرسالة لمكي النحوي الرباطي .

### في علم التوحيد :

- شرح أم البراهين الصغرى والكبرى لعلي بن برى وقيل انها سار بذكرتها الركبان .
- الحاشية علي أم البراهين - الوسطى والصغرى والعمدة لمحمد بن المضوى كما كتب شرحا في بدء الأمال لسراج الدين بن عثمان الاوشى وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة المعهد العلمى بام درمان كانت ملكا للعالم السودانى الشيخ يوسف الطريفى المعروف بابى شرا المتوفى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ م / وقد وصف صاحب الطبقات هذه الشروح والحواشى بقوله « شأنها ان تكتب بماء الذهب » .

وقد شرح عقيدة رسالة ابن أبى زيد القيروانى كل من محمد المضوى ومكي النحوي الرباطي .

كما شرح مقدمة السنوسى كل من علي حموده الكاحل ( شرسان ) وغانم أبو شمال وعبد القادر البكاي ومحمد بن عدلان الشايتي ( شرسان ) ومكي النحوي الرباطي الذى شرحها في أربعين كراما ونظام عبد الله ابن دفع الله العركي تلميذ علي كبرى السنوسية ومقدمات الأشعرية .

وألّف مالك بن عبد الرحمن ولد حمدة ثلاث حواشى على المرات كبرى ووسطى وصغرى وقد وصفت بأنهن كن في غاية الابداع .

وقد قام بشرح الجزرية وهى منظومة مشهورة في التجويد لشمس الدين أبى الخير بن ياسين الدمشقى القرشى الجزرى من أئمة الحفاظ وعلماء القراءات المتوفى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م كل من للمضوى محمد المضوى وعبد الرحمن بن حمد الاغبش .

وحقيقة لقد سار أولئك العلماء على نهج أساتذتهم ومن سبقوهم من فقهاء المسلمين في الاكثار من الشروح عند سقوط بغداد في أيدي المغول وعهد المساليك ( ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م ) والحكم العثماني في مصر ( ١٥١٧ هـ - ١٨٠٥ م ) اذ نجد العلماء أكثروا من الشروح بل وشرح الشروح واختصروها والتحشية عليها وتهيفها والتنبيه على ما فات واضعها .

لقد عاش العلماء السودانيون في فترة كان الحكم العثماني يجثم على صدر الأمة الاسلامية وبالذات مصر وهو عصر يمكن ان نسميه دون مبالغة عصر انحطاط وضعف الثقافة الاسلامية واللغة العربية واذا رجعتا اتي علماء الأزهر في تلك الفترة لا نجد منهم من بلغ شهرة وشاوا بالمقارنة مع مجموع العلماء الافذاذ الذين قادوا الفكر الاسلامي في مختلف فروعه كالבוصري واليوري والسبكي والعمري وابن عقييل والبلقيني وابن خلدون والقدشندي والمقريري والحافظ بن حجر والعيني والسيوطي وابن ابي عمير وغيرهم .

لقد كانت مكتبات أولئك العلماء تمتلئ بالنفيس من الكتب اقتنوها وجمعوها بعد جهد ومشقة ودفعوا ثمنها كل ما كانوا يملكون وكان جلها ان لم تكن كلها تأنيهم من مصر على يد الراحدين في طلب العلم فكانت مصر مهبط كثير من هؤلاء الطلبة كما كانت مصدرا هاما للهجرات العربية وللرواد من العلماء الذين وضعوا الأساس الثقافي لهذه البلاد ومن طريف ما يروى ان العقيد حامد الدين بن سليمان باع عبدا ليشترى بشفه كتاب الشبراخيتي على خليل وكان أول من أحضر شرح عبد الباقي على خليل الى السودان وعبد الباقي هذا هو عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي والذي كان يدرس في الأزهر وشهد له بالتميز في العلم والفقه وقد توفي عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨ م .

ويروى أيضا عن الشيخ عبد الرحمن بن صالح بن بان النقا المتوفى عام ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م اهتمامه باقتناء الكتب المتنوعة ولما فرغ من نسخ كل ما عثر عليه في داخل البلاد أرسل الى مصر والحجاز ليشترى غيرها فتكونت له مكتبة ذات ست خزانات كما أحضر العالم عمار بن عبد الحفيظ الخطيب الذي ورد ذكره في غير هذا المكان رحلين أو ثلاثة من الكتب من مصر وكذلك كان للشيخ ابراهيم العودي خطيب سنار ومدرسه على مذهب الشافعي خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم .

لقد ترك لنا أحد فقهاء السودان دراسة عن سير لاثنتين وسبعين من علماء السودان في ذلك العهد ( ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م الى ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م ) تدل على سعة معارفهم ونبوغهم في مختلف صنوف العلم ويقول مثلاً عن الشيخ حجازي انه كان طبيباً ماهراً كانه ابن سينا في حكمته وشاعراً حاذقاً كانه كعب بن زهير في شعره وله معرفة بالخط الحسن كانه ابن مقله في خطه ويعرف جميع الاقلام العبرانية والسريانية واليونانية وله معرفة بصناعة الكيمياء كانه جابر في صنعتته وهذا الوصف وان كانت تشوبه المبالغة الا انه يلقي ضوءاً على نبوغ الشيخ حجازي كما يدل على ان قراء ذلك العهد يعرفون شيئا عن الاعلام الذين ورد ذكرهم .

وهذا المعجم الذي نحن بصددده هو كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصلحاء والعلماء والشعراء في السودان للفقير العالم محمد ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى المولود بحلفاية الملوك عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ م والمتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م وهو يتحدث عن سيرة علماء وفقهاء ومتصوفة ذلك العصر والمنهل الثقافي والفكري الذي استقروا عنه وهو بطبيعة الحال سجل هام لحياة السودانيين الدينية والثقافية والأدبية والاجتماعية والسياسية في دولة سنار .

ويستهل المؤلف معجمه بمقدمة جاء فيها : « . . . وبعد فقد سألني جماعة من الاخوان أفاض الله علينا وعليهم سحائب الاحسان واسكننا وياهم أعلى فرديس الجنان بحرمه سيد ولد عدنان فأجبت سؤلهم بعد الاستخارة الواردة في السنة وبعد الالهام مع انه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع في هذا الشأن الا أن اخبارهم متواترة عند الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر عندهم فأجبت ان أذكر ما تواتر واشتهر من تلك الاخبار وذلك لأن الخبر المتواتر عند الأصوليين من الأقسام اليقينية التي تفيد العلم بالشئ وتنفي عنه الشك والظن والوهم وقد اقتديت بجماعة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين فانهم الفوا في التاريخ والمناقب كالامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور والجلال السيوطي في كتاب حسن المحاضرة في أخبار عصر والقاهرة والحافظ بن حجر ألف كتاباً في علماء عصره سماه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والشيخ أحمد المقرئ ألف كتاباً سماه نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب . . . » .

اهتم علماء المسلمين بعد ان وقعت البلاد الاسلامية في يد التتار بالتأليف وخاصة كتب التاريخ وتراجم الاعلام كما هو معروف وربما أخذ

مقدمته تلك من كتاب حسى المحاضرة للسيوطى الذى يذكر انه اقتضى  
فى كتابه ببعض من تقدمه ممن ترجموا لأنفسهم ومنهم عبد الغافر الفارسى  
فى تاريخ نيسابور وياقوت الحموى فى معجم الأدياء ولسان الدين الخطيب  
فى تاريخ غرناطة والحافظ تقي الدين الفارسى فى تاريخ مكة وابن حجر  
المسقلانى فى قضاة مصر وأبو شامة فى الروضتين - ولكن يبدو انه  
تأثر فى منهج الكتاب بالشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه : -

( الطبقات الكبرى ) .

ونحن لا نود ان نقف موقف الناقد للكتاب فهو على أى حال سمر  
عظيم عن فترة هامة فى تاريخ الثقافة والفسكر فى السودان . لا غنى  
لأى باحث عنه . لقد وضعه مؤلفه باللغة السودانية الدارجة وحققه العالم  
السودانى دكتور يوسف فضل وعلق عليه وكتب عنه مقدمة مستفيضة  
لا غنى لأى باحث فى تاريخ تلك الحقبة عنها .

كان ملوك سنار وسلاطينها يعظمون العلماء ويجلونهم وينزلونهم  
مكانة كبرى فى نفوسهم وقد كان أولئك الملوك على قدر كبير من العلم والفقه  
ويروى ان الملك السنارى (١) ناصر بن بادي الذى حكم من ١١٧٥ هـ /  
١٧٦٩ م الى ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م قتل وكان المصحف على يمينه والموطأ  
كتاب الامام مالك على شماله .

كان سلاطين سنار يسيرون وفدا محملا بالمال والذهب الى الأزهر  
بعد الحصاد من كل عام كما كان بعضهم يرسل علماء الأزهر ويجزل  
لهم العطاء كما سجل ذلك العالم الأزهري عمر (٢) المغربى فى قصيدة  
بعث بها الى السلطان بادي بن رباط المعروف بأبى دقن - والذى حكم  
ثمانية وثلاثين عاما ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٥ م يمدحه ويشكره على هداياه له  
نذكر منها فى وصف سنار عاصمة الملك .

<p>ايا راكباً يسرى على متن خسامر ويطوى اليه شقة البعد والنوى وينهض من مصر وشاطئ نيلها لك الخير ان وافيت سنارقف بها والق عصا التسيار في سوح أنسها</p>	<p>الى صاحب العلياء والجود والبر ويقتحم الاوعسار فى المهمة القفسر وازهرها المعمور بالعلم والذكر وقوف محب وانتهاز فرصة الدهر تجد كل ما تهوى النفوس من الامر</p>
--	--

(١) نعيم شقير - جغرافية وتاريخ السودان - طبعة دار الثقافة بيروت - ص ٣٩٨ .

(٢) أحمد بن الحاج - كاتب الشوفا - ص ١١ تحقيق الشاطر بسيل .



وعندما دالت دوله سنار بكى عليها شاعرها ونعاهها بتقصيدة  
نماثل مرثية أبى البقاء صالح الرندى المشهورة منذ سقوط مدن الأندلس  
والتي جاء فيها :

<p>لكل شيء إذا ما تم نقصان هي الأمور كما شاهدتها دول أين الملوكة ذوو التيجان من يمن وأين ما شاهده شهاد من أدم وأين ما حازه قارون من ذهب أتى على الكل أمر لا مرد له دها الجزيرة أمر لا عزاء له نبكى الحديقة البيضاء من على ديار من الأسس خالصة بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم</p>	<p>فلا يفر بطيب العيش انسان من سره زمن ساءله انسان وأين فيهم أكاييل وتيجان وأين ما ساءه في الفرس ساسان وأين عساد وشهاد وقحطان حتى قتلوا وكفن القوم ما كانوا هوى له أحد وانهد ثيلان أصف كما بكى لفرار الألف هيمان قد أفقرت وأهسا بالكفر عمران واليوم هم في بلاد الكفر عبادان</p>
---	---

قال الشاعر السوداني يبكى (١) على سنار ويصف مشاعر اللوعة  
والحزن ويرسل أحكاما عامة وزوال النعم وان الدنيا دار رحيل لا تدوم ،  
الى غير ذلك -

<p>أرى تدهرى أقبالا وادبارا يوما يريه من الأفراح اكملها والدهر هذا فلا تبقى محاسنه فأين عاد وشهاد وما ملكوا وأين كسرى وأين الوالى وقصرهم أه على زمن قد كان فى طرب آن على بلد الخيرات منشأنا فأوحشت بعد ذاك الانس وارتحلنا وصار عمرانها الخسوف منارنا وابدلت دولة الاعزاز من همج فمنصب الملك والتعظيم منظمس بالمجد كانوا كرام الناس منقبة فلو رأيت بهم ما حل من ضرر</p>	<p>فكل حين يرى للمرء أخبارا يوما يريه من الاحزان اكسادا فيبدل المرء احسانا واضارا وأين فرعون والنمروذ اذجارا وأين جمعهم فقد صار اخبارا كنا بجمع من الأحباب سمارا أعنى بذلك دار الفونج سنارا عنها الامائل بدوانا وحضارا يصبح يوم به فى الليل حرارا كانهم لم يكونوا الدهر اوزارا كانه لم ينل بالفخر اظهسارا بسيرة كاملي الفضل احرارا أجريت دمك اعلانا واسرارا</p>
--	---

(١) أحمد بن الحاج كاتب الشوكة - مخطوطة - تحقيق الشاعر بوسيل ، ص ٨١ .

فليهم حكموا الرصاص والنار  
ترمى عليهم دموع الحزن انطارا  
فقد حظيتم بخير النزل اجسادا  
تبكى مفاخرهم تنبئك أخبارا

أئمة الدين يا هذا لهم شرف  
تبكى مساجد أهل الله خادمة  
فاشروا بفضل الله ساداتنا  
تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم

ويلاحظ ضعف القصيدة والاختلاف بها فهي من نوع الشعر الضعيف  
الذي سبق نهضة الشعر في العالم العربي ولكنها تمتاز بحرارة عاطفتها  
وهي قطع من أدق اشعار ذلك العهد .

وبعد أكثر من مائة عام بكى سنار الشاعر السوداني محمد سعيد  
العباس بقوله :

زفرت هدت قوى الصبر هدا  
كانت مرادا للمعتفين وخلصنا  
كهمولا حموا حماك ومردا  
رخيا خيلهم ومندي  
زان ارجاءها مليك مفدى  
لم يعفر لشير مسولا خسا  
فتباروا في الحرب والسلام جننا  
ومسا خلفوا لعسرى ندا  
يا كرام الحمى من الهول وردا

زوت سنار والجسوانج أسرى  
أن محبا الدهر حسنها فنفسد  
لهف نفسي ففسدت يا قبلة الخير  
كنت مشوى للاكرمين وميدانا  
ورحبا فسد زيت وقبابا  
عاش ما عاش وهو جسد أبى  
ارخصوا في هواك كل عزيز  
فرقتهم يبد الزمان اناديسد  
قد شققنا من بعدكم فسوردنا

## ● الأزهر والقضاء والفتاوى فى سلطنة سنار

انتظم القضاء والفصل فى النزاعات المدنية والأحوال الشخصية عند قيام سلطنة سنار - فى عهد الشيخ عجيب ( ١٥٦٣ - ١٦١٠ م ) زعيم القبائل العربية المتحدة آنذاك وأحد حكام دولة سنار على أسس الشريعة الإسلامية أسوة بما كان يجرى فى مصر والشام والحجاز فى القرن العاشر الهجرى هذا مع تطبيق لبعض القوانين العرقية .

كان هناك قاض يحكم فى (١) جميع المنازعات بالقانون السماوى - القرآن الكريم ولم يكن موزعا الى مدنى وجنائى وأحوال شخصية وكان يشترط على القاضى أن يكون : -

حافظا للقرآن الكريم عارفا لأحكامه مجودا له وإن يكون قد ألم بطرف غير يسير من علم الكلام أى التوحيد . وإن يكون متبحرا فى علوم الفقه وإن تكون دراسته على مذهب الإمام مالك اذ هو السائد فى السودان منذئذ وإلى اليوم . كما يشترط بعضهم أن يكون القاضى سالكا للطريق الصوفى وهو فى الأغلب الطريقة القادرية ومشتقاتها . كما يتعين عليه أن يعرف اللغة العربية ويلم بها اللما كالميا .

وقد يلجأ أحد المتقاضين اذا لم يكن راضيا عن حكم صدر عليه من أحد القضاة لقاض آخر ويعرض عليه قضيته فيما يشبه الاستئناف وهنا قد تجرى مناظرات ومحاورات بين القضاة يكون الحكم فيها على ما استقر عليه رأى القضاة وفى بعض الأحيان يحتكمون الى علماء مصر فيما نشأ

---

(١) محمد محيى الدين - مشيخة السداد ص ٤٢٨ .

بينهم من خلاف (١) . كما حدث في قضية حكم فيها القاضي السوداني عبد الرحمن بن مشيخ التويري متخرج الأزهر على امرأة تبرعت بثلاث ماله قاصدة بذلك ضرر زوجها حكم برد المبلغ ونأزعه فقها زمانه وكانوا الشيخ الاجهوري العالم المالكي في الأزهر فاجابهم بصحة الحكم مراعاة للعرف والمصلحة .

كذلك عندما دخل التبغ في مصر وبدأ انتشاره في العالم العربي ومنه السودان في نهاية القرن العاشر الهجري اختلف العلماء السودانيون فيما بينهم فمنهم من اباحه ومنهم من حرمه تماما مثل ما جرى في مصر وقد وقف الشيخ (٢) ادريس الارياب العالم والمتصوف السوداني معارضا الشيخ عليا الاجهوري الذي اُفتى باباحته ومؤيدا الشيخ ابراهيم اللقاني صاحب جوهرة التوحيد في حرمة . أما العالم السوداني الشيخ عبد الوهاب رجل أم سنبل . فقد عارض الشيخ ادريس وأيد الشيخ اللقاني محرما استعمال التبغ وجرت مناظرات عدة بين العالمين السودانيين في ذلك ثم أرسل الشيخ ادريس رسالة خاصة الى الشيخ الاجهوري حملها رسول منه هو حمد ولد أبي عقرب يعارضه فيها ويورد له حججه في تحريم التبغ وكانت بينهما مراسلات ودية من قبل . كذلك كانت هناك صلات ورسائل مودة بين بعض علماء السودان وعلماء الأزهر منها ما كان بين الشيخ محمد الحراشي امام المالكية في مصر وأول امام للأزهر وبين العالم السوداني الشيخ ابراهيم صفيرون وقد أهدى العالم السوداني جارية الى الشيخ الحراشي الذي بعث له بدوره نسخة من شرحه الكبير على مختصر خليل في مذهب مالك الذي عم النفع به شرقا وغربا كما يقول المؤرخ السوداني محمد ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨١٣ م .

وتوجد الآن بعض الأحكام التي صدرت في العهد السناري ( ١٥٠٥ هـ - ١٨٢١ م ) في نزاعات حول الأرض ما زال أصحابها يحتفظون بها ويتخذونها وثائق لاثبات ملكيتهم للأرض وقد قدمت للقضاء السوداني في الحكم البريطاني وسجلت لهم أراضيهم بمقتضى تلك الأحكام وهي تدل على ما كان عليه القضاء آنذاك من نزاهة وقهم للمسائل العلمية (٣) .

(١) د. ضيف الله - الطبقات - ص ٩٩٤ .

(٢) د. ضيف الله - الطبقات - ص ٩ .

(٣) القاضي يوسف ابراهيم النور - صفحة من تاريخ السودان القديم - القضاء -

مقال في مجلة الفجر السودانية مارس ١٩٣٧ .

كان جل الفقهاء الذين تولوا القضاء في سلطنة ستر من متخرجي الأزهر أو ممن درسوا على متخرجيه ولم تكن تصرف لهم مرتبسات بل السلاطين يجزلونهم العطاء ويمنحونهم أراض يمشون منها وكانت أموالهم معفاة من الضرائب والعشور ، كما لم يكن الحاكم يتدخل في أحكام القضاة لأنها كانت قائمة على القانون السماوي ولم يكن أحد يخالفها وبالذات فيما يختص بالأحوال الشخصية إذ يعتبر فسيقا وخروجا عن حكم الشريعة .

## ● سلطنة دارفور والأزهر

أسس هذه السلطنة الإسلامية السلطان سليمان صولون عام ١٦٤٠ ميلادياً وبلغت النهضة الإسلامية في هذه السلطنة أوجها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وقد اتسعت رقعتها حتى شملت إقليم دارفور بأكمله وجزءاً من كردفان ثم سقطت في فترة الحكم التركي على السودان عام ١٨٧٤ وأصبحت جزءاً منه .

لقد عمل سلاطين دارفور منذ عهد مؤسس الدولة الإسلامية سليمان صولون ( ١٦٤٠ ) م على تشجيع العلماء من مصر وسنار وتونس ودعوتهم للإقامة في بلادهم لتدريس أهلها أصول الدين الإسلامي كما شجعوا مواطنيهم للسفر إلى مصر طلباً للعلم في الأزهر وأقاموا لهم رواقاً هو رواق دارفور . وكانوا هم أنفسهم يمثلون القدوة الحسنة لمواطنيهم فلم يكن يتولى الحكم أي منهم إلا إذا كان حافظاً للقرآن . لقد أقام أولئك السلاطين مساجد عديدة يكاد يكون في كل بلدة مسجد أو أكثر يتعلم فيه الصبية الكتابة والقرآن ومع كل مسجد زوايا ومسكن للمجاورين لدراسة العلوم الشرعية ومن أشهر تلك المؤسسات العلمية خلاوى طره وشوبا والطينة وجوامع الفاشر وكوبى وجديد السيل وكان فقهاء تلك الدور العلمية من الأئمة المتفهمين في الإسلام .

وكان السلاطين يهبون العلماء لقطاعات من الأرض يعيشون عليها من ريعها هم وتلاميذهم .

لقد انتقل إلى دارفور من سنار علماء سودانيون تخرجوا في الأزهر أو درسوا على علماء من متخرجي الأزهر أفادت منهم البلاد هناك ولقوا

حظوة عند سلاطينها نذكر منهم الشيخ أبا سرور الفضلي الجعفي وكذلك الشيخ أبا زيد بن الشيخ عبد القادر والشيخ حسن ولد عماري \*

ومن أشهر ملوك دارفور الذين شجعوا هجرة العلماء لدارفور هو السلطان عبد الرحمن الرشيد ( ١٢٠١ - ١٢١٥ هـ / ١٧٨٧ - ١٨٠١ م ) لما عرف عنه من علمه وحبّه للعلماء وقد وفد عليه عدد كبير نذكر منهم من قبيل المثال الشيخ عمر التونسي الذي تخرج في الأزهر وكان قد قدم سنار أولا ثم دارفور حيث لقي هناك رهطا من علماء دارفور اجتمعوا به وأكرموه منهم الفقيه مالك الذي وصفه محمد بن التونسي بأنه أعظم الوزراء العرب ومنهم الفقيه محمد كريتيم والشريف سرور بن أبي الجود وعبد الكريم بن الفقيه حسن ود عروضة وأحزابهم ومنهم الشيخ عز الدين الجامعي وحسين ود عماري وهما من متخرجي الأزهر والشيخ غرباوي وغيرهم \*

لقد قويت شوكة الاسلام في دارفور في عهد هذا السلطان وأولئك العلماء ويقال ان السلطان بنى تسعة وتسعين جامعا في سلطنته اصبحت موللا لطلاب العلم والدرس \*

وبعد وفاة السلطان عبد الرحمن الرشيد خلفه ابنه محمد الفضل ( ١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ / ١٨٠١ - ١٨٣٩ م ) الذي تولى تربيته وتعليمه هو وأولاده الفقيه الأزهرى حسين ولد عماري ولعله من المناسب ان ننقل نص الكتاب (١) الذي رد به السلطان محمد الفضل على رسالة محمد علي باشا عام ١٨٣٠ يدعو فيه للتسليم والخضوع له أسوة ببقية بلاد السودان وقد حرر ذلك الكتاب العالم الأزهرى ود عماري :

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعا سبحانه يجزى كل نفس بما تسعى واليه المعاد والرجعى وهو حسبي وكفى . من حضرة من آمن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعا من كل أحد وصيره في قلوب الأعداء نارا تستنير وحجرا يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغي وتمرد ومن ضل وتعد وهو شاب صغير السن ولو صار كهلا خضعت له الانس والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بعوارضه انجم السعود وان قامت الهيحاء بنفسه يجود ويصل الى الأعداء بقواطع الهندود وينتصر بعون الله على كل موجود \*

(١) نعوم شقير - جغرافية وتاريخ السودان طبعة دار الثقافة بيروت ص ٤٦٣ -

هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله .

« الى حضرة الكوكب العالي والنير المتلالي بهجة الانام وقدوة الليالي صاحب العز والافتخار اخينا العزيز محمد علي باشا سلمكم الله تعالى من المحذورات واستعملكم بالباقيات الصالحات يمنه وكرمه . »

أما بعد :

فسلام عليكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم اوصدكم الله الى رضوانه وفهمنا خطابكم وبمقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم يستحق جوابها المفهوم ولكن يكفي من ذلك كلمة الى القيوم حيث قال ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء لسان غاف وما هو ببالغ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ) . . « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

انكم طالبون دولتنا وانقيادنا لكم هل بلغكم انفسا كفار وجب لكم قتالنا وأبيع ضرب الجزية علينا او غركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية فنحن السلاطين وهم الرعية ؟ اورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك أم ورد لك حديث من رسول الله تجد فيه تمليك أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك ربا قويا ولنا رب صغير الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون فدين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نؤدى الفرائض ونترك المحرمات ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر والذي لم يصل تأمره بالصلاة والذي لم يزك فآخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا ندخرها ونرد الأمانات الى أهلها ونعطى كل ذي حق حقه حتى دامت لنا القبايل العظام ومن أتى دولتنا يرجع مكرما بأذن الله تعالى ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف ألم تر الى قوله صلعم « لو بغى جبل على جبل لك الباغى » أما علمت ان دارفور محروسة محمية بسيوف قطع هندية وخيول جرد أدهمية وعليها كهولة وشبان يسرعون الى الهيجاء بكرة وعشمية . أما علمت ان عندنا العباد والزهاد والاقطاب والاولياء والصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا هم بيننا يدفعون شر نازكم فتصير رمادا ويرجع الملك الى أهله ويكفى من بعد ذلك والله يكفى شر الظالمين » .

استلم محمد علي باشا الرسالة ولم يشأ ان يجازف ويرسل قواته لغزو دارفور وانتهى بذلك الأمر الى ان سقطت عام ١٨٧٤ على يد القائد



السوداني الزبير رحمة باشا وضمها للسودان في عهد الحسك التركي والكتاب يصور في ايجاز ما كان عليه الحال والحكم في دارفور من عمل بالسنة والكتاب وأثر العلماء والفقهاء في المجتمع الديني بطبيعة الحال -

وفي عهد السلطان محمد الفضل أتى العلامة الأزهرى محمد عمر التونسي الى دارفور عام ١٨٠٣ ليحقق بوالده هناك والذي ورد ذكره آنفا عندما هم والده بالعودة الى بلاده تونس طلب منه السلطان محمد الفضل ان يبقى معه في دارفور بدلا عن أبيه - أقام محمد التونسي في دارفور سبع سنوات ألف بعد عودته لمصر كتاب « تشجيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » والكتاب يعتبر مرجعا هاما عن دارفور في تلك الفترة . تحدث عن القبائل هناك وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقدات بعضهم وكل ما يتصل بمجتمعاتهم وبالرقم مما حواه الكتاب من مبالغاة وتحامل على المرأة السودانية الأمر الذي لفت النظر اليه المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم الا انه أسدى خدمة جليلة للعلماء ومؤرخي ذلك العهد في دارفور .

يعتبر محمد عمر التونسي أحد رجال الأزهر الذين نهضت الصحافة والتأليف الأدبي على أكتافهم وهو المحقق الغوى والعارف بالمصطلحات العلمية ومؤلف الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية .

كما زار السودان العالم التونسي الأزهرى محمد زين الدين (١) وأضى فيه عشر سنوات كان يعلم الناس ويصبرهم بمشئون دينهم وينقل في ربوع البلاد في سنار وكردفان ودارفور ووداي وكتب مخطوطا عن رحلاته هذه ولكنها فقدت ونشرت ترجمة لها باللغة التركية في اسطنبول عام ١٨٤٦ وصف فيها حضارتي دارفور ووداي وأنظمتها الاجتماعية وأورد بيانات مفصلة عن حياة القبائل هناك وتقاليدها وتجاريتها ويعتبر ذلك الكتاب ثمرة قيمة لكتاب التونسي عن دارفور الذي سماه تشجيد الأذهان .

كان زين الدين هذا على اتصال وثيق بالعلماء الأوروبيين الذين أقاموا في مصر في عهد محمد علي باشا .

لقد كانت في دارفور فعلا نهضة دينية مرموقة وكانت البنت هناك تتعلم قبل الولد بل كان شرطا أساسيا للزواج ان يكون الزوجان متعلمين ولذلك ليس قريبا ان نجد معظم نساء دارفور من كبار السن يعرفن

(١) الأصول التاريخية للعلاقات العربية من ٢٦٣ - ٥٥ كمال زكريا قاسم - المنظمة العربية للثقافة والعلوم - معهد البحوث .

القراءة والكتابة ويحفظن القرآن وكان مما أخذ على القسائنه السوداني  
الزبير باشا رحمة أنه حارب وقضى على دولة تدين بالاسلام وتتمسك  
به ويحرص نساؤها على حفظ القرآن كرجالهم بالفعل .

كان في دارفور انذاك علماء وفقهاء معروفون قبل سقوطها على يد  
الزبير رحمة عام ١٨٧٤ وكانوا يحظون بمكانة رفيعة في بلادهم وقسم  
وصفهم الزبير رحمة بأنهم اجل علماء دارفور وكان قد كتب اليهم راجيا  
التوسط بينه وبين السلطان ابراهيم حتى لا تقع حرب بينهما حقنا لدماء  
المسلمين ، هؤلاء الفقهاء هم سلامة بن الفقيه مالك وفخر الدين بن الفقيه  
محمد سالم والفقيه سالم والامام الضو بن الامام المصري امام السلطان  
ابراهيم ولعلمهم من متخرجي الازهر كما علمت . وعندما ضمت دارفور  
للسودان في عهد الحكم التركي كما ذكرنا توافد اليها وعمل فيها فقهاء  
ازهريون نذكر منهم العلامة أحمد محمد الجداوي الذي عمل في القضاء  
ثم نقل مدرسا لمدرسة الخرطوم وكذلك العالم السوداني محمد البدوي  
متخرج الازهر وتلميذ الشيخ عليش والذي أصبح فيما بعد شيخ علماء  
السودان والشيخ عبد القادر اسماعيل الكردفاني وقد ورد ذكرهم آنفا .

كانت لدارفور محاكم شرعية تحكم على كتاب الله وسنة رسوله  
صلعم ويقضى فيها علماء على مذهب الامام مالك وكان جل قضاتها من (١)  
متخرجي الازهر كما كانت لها محاكم عرفية تقوم على أساس العسرف  
القسائنه آنذاك .

وليس من السهل تحديد العلماء النابهيين الذين لعبوا دورا محمودا  
في نهضة دارفور في العصر الحديث الا أننا نذكر منهم الشريف محمد  
الامين كزار والشيخ محمد أحمد آدم تيراب والاستاذ محمد أحمد سوار  
والشيخ يعقوب حسين .

---

(١) القاضي حسين سيد أحمد المني - تطور القضاء في السودان ص ٥٩ .

## ● الحكم التركي في السودان

( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )

نادى الشعب المصري بمحمد علي باشا واليا على مصر بعد ثورة كبرى في مايو عام ١٨٠٥ م الموافق لصفر سنة ١٢٢٠ هـ وما ان دانت له البلاد حتى بدأ يصفى الثورة شيئا فشيئا ويظهر زعماءها وينغيهم ويسخر طاقات الشعب المصري تحقيقا لمصالحه ومآربه . وقد تورط في حروب لا حاجة له بها وكان أشدها إيلا ما تلك التي شنها على الثورة الوهابية في الجزيرة العربية والتي كانت لنادى بيقظة اسلامية وبثحرير الشعوب من الاستبداد التركي .

١ - كان الرجل يرنو ببصره الى السودان كغيره من حكام مصر منذ فجر التاريخ فأرسل وفدا الى ملك سنار ( السودان ) كمظهر لودته ومدخلا لصداقته وملتصبا منه طرد المماليك الذين لجأوا الى السودان بعد أن فتك بهم في مصر وقطع أوصالهم ولكن مهمة الوفد الحقيقية كانت التعرف على أحوال البلاد وتقدير ما يلزمه من جيوش وعتاد لغزوها وعاد الوفد موضحا حالة الانقسام والتفكك الذي اعترى جسم دولة سنار وقد شجعه احد زعماء القبائل السودانية وهو الملك نصر الدين زعيم قبيلة الميرفاب فدعاه لغزو البلاد .

وكانت الفرصة مواتية لمحمد علي لتحقيق مخططة فبادر باستصدار فتوى تسوغ له فتح السودان حيث ان الشرع الاسلامي لا يبيح حروب المسلمين للمسلم كما اتصل بسلطان تركيا ولعله السلطان محمود الثاني يستأذنه في فتح السودان وضحه الى مصر وقد وافق السلطان على ان يكون الفتح باسم خليفة المسلمين .

وأسرع محمد علي باشا فسير في عام ١٨٢٠ جيشا بقيادة ابنه اسماعيل باشا لفتح البلاد وإظهارا لحسن نواياه واستغلالا لعواطف الناس الدينية أرسل مع الجيش الفاتح ثلاثة من نخبة علماء الأزهر يمثلون المذاهب الدينية وهم القاضي محمد الاسيوطي الحنفى والسيد أحمد البقل الشافعى والشيخ أحمد السلاوى المشرى المالكى وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الاستسلام والطاعة دون حرب بحجة أنهم مسلمون وإن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب دينى وقد سهل هؤلاء له مهمته لما عرف عن أهل السودان من نزعة دينية مضافا الى حالة التفكك القبلى الذى كانت تعاقبه البلاد وأصبح السودان أو كما كان يعرف بسنار خاضعا لمحمد على وعرف ذلك العهد الذى امتد من عام ١٨٢١ الى ١٨٨٥ م بالحكم التركى .

## ● اغتيال اسماعيل باشا (١)

بعد أن تم لاسماعيل باشا بن محمد علي باشا فتح السودان قفل راجعا الى مصر وفي طريقه اليها وعند مدينة شندي ترك الباشا خياله في مكان يبعد نحو عشرين ميلا جنوب شندي واسرع مع نفر من مماليكه الخواص وطبيبه وخازناده الى شندي وما ان دخلها حتى استدعى الملكين نمر والمساعد ملكي قبيلة الجعليين وطلب منهما أن يحضروا من النقبود والماشية والجمال ما يقدر بنحو عشرين ألف جنيه حسب بعض الروايات أو على وجه العموم مبلغا تقصر مواردهم عن أدائه .

كان اسماعيل يرهب والده ويخافه وقد عرف من الخطابات التي بعث بها اليه ان ما وصل مصر لم يكن بالشئ المنتظر من بلاد عرفت بخيراتها الوفيرة فهو يريد أن يقدم لوالده هدايا قيمة من اقليمه الذي فتحه وان ينال الرضاء والتقدير وهو لم يسر من الملكين نمر والمساعد منذ ان قابلهما لأول مرة ولم يرض الا بتسليم الملك نمر نفسه حين بعث هذا بأبنة لمرافقته وجيشه الغازي في طريقه لسنار ثم انه لم ينعم عليهما بسيف علامة الحلف والمعاونة ولم يأنس لهما حين غادر شندي جنوبا بل أخذهما في ركابه تحت المراقبة وأوكل بحراستهما المنسك شاويش ملك الشايقية وخيالته .

---

(١) د - على شبيكة - السودان في قرن - كذلك راجع محمد عبد الرحيم النداء في دلع الاثراء ص ١٠٤ .

دهش نمر لهذه المطالب وأبدى اعتراضه في لغة وقوة لم يرض عنها الباشا وما كان لنمر أن يخاطب بغير هذه اللغة لأنه نشأ على أن يأمر وتعود الخضوع والطاعة مع التقدير من شعبه وما كان للملك وملك الجعليين خاصة أن يراوغ في كلامه أو أن يتحدث بلغة الدبلوماسية وكانت لحظة حاسمة ، هذا اسماعيل يبلغ سبعة وعشرين عاما في عنفوان شبابه وابن عزيز مصر وفاتح مملكة سنار والقاضي على حكمها وهذا نمر عامل أولاد جمل أعز القبائل في السودان والمنحدرة من سلالة العباس عم النبي ( صلعم ) ولا مجال للتحقيق في صحة نسبتهم أو شعورهم بالنسامي والتفوق لأنهم نشأوا على هذه العقيدة ويستجيبون للمؤثرات ويتفاعلون مع الحوادث على هذه الأفكار والآراء وإذا اضطرت الاقدار - القاسية نمر لأن يجلس أمام الباشا في ذل وانكسار فإن لهجة الأمر التي كان اسماعيل يخاطبها بها وثقل المطالب زادت نار الثورة المخبوءة بين الجوانح تأججا واشتعالا ومارد الباشا على اعتراض نمر بكلمة قد تحتمل مهما كان وقعها ولكنه صفع الملك على وجهه بغليونه الطويل .

طبيعي لثل نمر وهو كما وصفناه عزة وقبيلة أن يرد الاسماعة التي لحقته في الحال وفعل كما روى قد هم بسحب سيفه غير أن المساعد قد غمزه بيده في رواية وتحدث معه بلغة البشاريين في رواية أخرى بأن يرجيء الانتقام للفرصة أخرى ولو عرف اسماعيل طباع الشعب الذي أخضعه لم يرتكب هذه الغلطة ولكان مد في عمره أياما أخرى وانقذ البلاد مما أعقبه مقتلته من خراب ودمار ولكن هكذا أرادت مشيئة الخالق .

دبرت المؤامرة منذ تلك اللحظة بأن تغيرت سحنة نمر وأظهر القبول وتسليم المطلوب غدا وجهزت الدلوكة ( الطبل ) لتضرب احتفاء بالباشا وأسكر القوم حتى ناموا وأثناء المرور والانشراح وضع القصب الجاف حول مقام الباشا وأشعلت النار في بهيم الليل ووقف الجعليون بسيوفهم يقضون على من يخرق النيران ويخرج إلى الفضاء ويقال أن المماليك أظهروا إخلاصا لسيدهم بأن ترامسوا عليه فمات بالاختناق لا بالاحتراق في ليلة ١٧ صفر ١٢٣٩ هـ ( أكتوبر ١٨٢٢ م ) هكذا تروى القصة بتفاصيلها وقد تختلف في بعض أجزائها من رواية آخرين ولكنها في جدها تقول بأن الأسباب هي مطالب باهظة مصحوبة بامانة بالغة وإن الرد كان اغتياالا دبر وأحكم تدبيره والوثائق الرسمية لا تنير الطريق في هذه المسألة فهي تتركنا واسماعيل قد غادر ود مدني إلى الشمال في طريق عودته لمصر .

وسرعان ما انتشر خبر مقتل اسماعيل باشا وتحركت البلاد في ثورة كانت تحتبس في الصدور زهاء عامين من الزمان فقد دخل اسماعيل باشا السودان فاتحا له باسم خليفة المسلمين ولم يجد مقاومة تذكر بل سارت حملة الفتح كما وصفها مؤرخ سوداني كسير السائح لاكسبير الفاتح ولكن في مدى العامين ظهر الحكم على حقيقته وغلظته وكشر عن غايته .

ولم تحتل حاميات الحكم الجديد الهجوم عليها من قبل الثوار في كرري والحلفاية والخرطوم والعليفون والكاملين واخطرت المحروسة ( مصر ) .

وكان محمد خسرو العملي والمعروف بالدقتردار في كردفان بعد ان اخضعه للحكم الجديد وهو صهر محمد علي باشا زوج ابنته بازي هاشم وتولى قيادة الجيش الفاتح بعد مقتل اسماعيل باشا وطلب منه ان يقمع الثورة الناشئة آنذاك فهب من حينه متوجها الى الأبيض يقتسل ويسفك ويحرق القرى واحتلت القبائل بالجزر على النيل وتوجه شمالا فقتل أهلها ولم تسلم منه حتى بيوت الله فخر بها وحرقت من احتموا بها وهزم الملكين نمر والمساعد وتمقبهما حتى دخلا حدود الحبشة . وقتل في المتمة (١) من الأسرى ثلاثة آلاف اذ حاول واحد منهم تسديد ضربة له بالحربة ، احرقت المتمة وشغندي وكبوشية والدامر في الشمال واستمر شهورا يجوب البلاد وشياطين الدمار والخراب تسير في ركابه ناشرا الدعر والرعب في نفوس المواطنين حيث فتك وقتل سكان الحلفاية وتوتى والعليفون .

لقد جمع الأسرى عشرات الآلاف رجالا ونساء في زرائب وجعل يدخل لهم الماء بالجداول وفيهم أبناء الملوك وذرائع الائمة الاعلام فمهم من مات في الحبشة ومنهم من أرسل الى مصر بما فيهم عدد من نساء الملك سر وبناته وخالاته وعماته ليباعوا هناك في سوق الرقيق .

ولم ينج من سيف الدقتردار أحد حتى العلماء فقد قتل في المتمة الشيخ الريح السنهوري العالم وأكثر من مائة طالب أعامه كانوا يدرسون عليه الفقه المالكي وقتل العالم قمر الدين حفيد الشيخ مجذوب وحرقت

---

(١) راجع كتاب الثورة - مخطوطة - تحقيق الناصر بصيل من ٩٢ - ٩٧ ومرار صالح شرار وتاريخ السودان الحديث .

مسجد الدامر كذلك قتل بالمدفع الشيخ ارباب الكامل خليفة ارباب  
العقائد مؤسس مدينة الخرطوم كما قتل الشيخ صالح ولد بانقا العالم  
الذي ورد ذكره آنفا وقبض على العلامة الفقيه ابراهيم عيسى مؤسس  
المسجد المعروف وضرب ضربا مبرحا .

لقد قدر مجموع من قتلوا في حملة الدفتردار الانتقامية بثلاثين  
ألفا وانتهت بذلك صفحة دموية لم تشهد السودان مثلها تركت جرحا  
غائرا في قلوب المواطنين سنوات عديدة وفر منهم من فر الى حدود  
البلاد الشرقية وتركوا المدن والقرى خالية خاوية ويروى أن من ضمن  
الاسباب التي دفعت محمد علي باشا الى زيارة السودان عام ١٨٣٩ م  
محاولة لرأب ما صدعه (١) الدفتردار ولم يدع سبيلا لادضاء السودانيين  
الا سلكه .

---

(١) ابراهيم فوزى - السودان بين يدى فرعون وكفتنر .



## ● الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر

لقد توفي القاضي محمد الأسبوطي الحنفي في مدينة ود مدني بعد عام من فتح البلاد أما الشيخان أحمد البقل وأحمد السلوي المالكي فقد رجعا إلى مصر .

وبذلك شهد السودان عهدا ارتبط بمصر ارتباطا وثيقا في كل المجالات بعد أن قامت لأول مرة في البلاد حكومة مركزية وانتظمت فيها كل أسباب السلام وازداد اقبال السودانيين على مصر للاستزادة من العلم في رحاب الأزهر وحاجر الكثيرون بما لا يتسع المجال لذكرهم هنا وأقام بعضهم بمصر واستقر بها وعاد الآخرون إلى بلادهم للعمل في نشر العلم وتبصير الناس بشئون دينهم .

ويروي أن سودانيا اسمه محمد علي وداعة قد حضر إلى مصر طلبا للعلم في الأزهر ووجد هناك ستة من الطلاب السودانيين وبعد خمس سنوات من مواصلة دراسته في الأزهر تقدم نيابة عنهم لوالى مصر بإنشاء (١) رواق خاص بهم وقد وافق محمد علي بإنشاء على طلبه وأنشئ الرواق عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م وقد حمل اسم رواق السنارية نسبة إلى سنار الاسم الذي يطلق على السودان وكان الشيخ عجيب أحد ولاة دولة سنار ( ١٥٠٥ - ١٨٢١ م ) قد أنشأ رواقا لهم توقف عنه العدد منذ آخر دولة سنار .

---

(١) عهد التبريز عبد المجيد - التربية في السودان - ج ٢ ص ١٦ .

كان الطلاب السودانيون من أبي محمد ( المصير ) فجنوبا وشرقا هم الذين يلتحقون بالرواق ثم انشئ فيما بعد رواقان - رواق دارفور وكانت دارفور سنطنة منفصلة عن سنار ورواق (١) البرابرة وهو خاص بالطلاب النوبيين السودانيين وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة ابداهما السيد عبد الرحمن المهدي للشيخ مصطفى المراغي شيخ الازهر عند زيارته له في الازهر في مطلع الثلاثينيات .

اهتم محمد علي باشا وخفيده اسماعيل باشا بالتعليم الديني في السودان فخصصا المنح والاعانات المالية للعلماء والفقهاء كما شيدت وعمرت في عهديهما كثير من المساجد والخلاوي والزوايا التي كانت بحق مراكز للاشعاع العلمي والديني . في طول البلاد وعرضها كما شجعوا التحاق السودانيين بالازهر وقد كان هناك من حكام السودان في ذلك العهد من أبدى اهتماما بالغا بايقاد السودانيين للازهر لواصله تعليمهم مثل الحكمدار جعفر مظهر ( ١٨٦٦ م - ١٨٧١ م ) المصري الجنسية والذي كان ذا ثقافة واسعة وعلم نافع وقد وصفه الرحالة الفرنسي ف . لافاركو بأنه « رجل كتاب ومسجد » (٢) وكان يقرب اليه العلماء السودانيون مما جعلهم يلتفون حوله وكانت تربطه صداقة بالشيخ الأمين الضريير معين علماء السودان .

كتب الحكمدار جعفر مظهر لحصر يطلب الموافقة على ارسال بعثات من الطلاب السودانيين لحظرة القرآن وممن حصلوا على بعض مبادئ النحو والفقه بغية الانتساب للازهر لفترة ثلاث سنوات يعودون بعدها لأهلهم رسل ثقافة دينية سليمة ودعاة دين قويم ولعل مما حدا به لذلك خشيته من اتساع نفوذ رجال التصوف الذين انتشروا في ربوع البلاد بعد أن سميت مكائهم وأصبح لهم أثر كبير وسط المواطنين .

وقد صاحب معه طالبين سودانيين من كسلا (٣) عندما غادر البلاد ليواصل تعليمهما في الازهر وقام بتقديمهما بنفسه للشيخ مصطفى المرسي شيخ الازهر حينذاك وأوصاه بهما خيرا .

(١) هذه الدراسة لصفا عن الشيخ محمد المبارك عبد الله شيخ علماء السودان الاسبق .

(٢) د . حوئي الجبل - تاريخ السودان وادي النيل ج ٢ ص ١٤٦ .

(٣) د . عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٦١ .

وخلاصة القول شهد ذلك العهد هجرات متلاحقة ومتصلة للأزهر  
وتوسعا ملحوظا في التعليم الديني وانتظام العلماء السودانيين في سلك  
التدريس والقضاء الشرعي .

ثم أدخل التعليم المدني الحديث وعرفت البلاد لأول مرة مدارس  
في بعض مدنها على غرار ما كان يجري في مصر وكانت تدرس فيها اللغة  
التركية وبعضها الفرنسية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ كما كان  
يدرس فيها علماء من الأزهر علوم اللغة والدين كشرح الكفراوى وشرح  
الشيخ خالد أو شرح الأزهري وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك  
ويمكننا من ذلك أن ندرك المستوى العلمي الرفيع الذي بلغته تلك  
المدارس .

## ● متخرجو الأزهر السودانيون في العهد التركي ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )

ومن الرعيل الأول من السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر وعادوا لينشروا العلم في بلادهم أسرة عيسى بشارة الانصارى : وعيسى بشارة هذا هو أحد أئمة الدين والعلماء العاملين ولد في المدينة المنورة في أوائل القرن العاشر الهجرى وفيها حفظ القرآن ثم سافر الى مصر في طلب العلم وتفقه في الأزهر على شيوخ الاسلام - الشيخ ذكريا (١) الانصارى الشافعى الذى وصفه ابن اياس في بدائع بأنه « الامام العالم العامل شيخ الاسلام والمسلمين مفتى الانام في العالمين بقية السلف وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق ومن ذكره شاع في الافاق » المتوفى عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م وكذلك على الشيخين محمسة البنوفرى المالكى وبرهان الدين بن أبى شريف قدم الشيخ عيسى السسودان وتزوج بنت ملك الجموعية وأنشأ مسجداً في قرية كترانج التى تقع في الضفة اليمنى للنيل الازرق على بعد ٣٦ ميلا جنوب الخرطوم وقد اقبل الناس على الشيخ عيسى وأبنائه وأحفاده يتلقسون عليهم العلم وكان الشيخ عيسى بارعا في المذهبين المالكى والشافعى وناظرا في العلوم المعقولة والمنقولة .

يعتبر مسجد كترانج أول معهد علمي في السودان الاوسط ومازال يؤدي رسالته الى اليوم أى ما يقرب من خمسة قرون وقسد الحق به مسجداً آخران بعد أن ضاقت مساحته بوفود الطلاب والدارسين والمهاجرين .

---

(١) عز الدين الأمين - قرية كترانج وأولها العلمى في السودان .

أقبل بعض من أفراد أسرة الشيخ عيسى على الدراسة في الأزهر وتلقوا العلم على أيدي نفر من أساتذته النابهين حيث منحوهم إجازات علمية تشهد بعلو كعبهم في العلوم الشرعية والفتاوى على المذاهب الثلاثة - المالكي والشافعي والحنفي .

لقد كان فضل هذه الأسرة على السودان كبيرا فقد وهبت البسلامة أكثر من أربعين عالما وفقهيا عملوا في نشر التعليم في مختلف العهود إبان سلطنة سنار وإثناء الحكم التركي وفي فترة الحسكم البريطاني على السودان وبالطبع فقد تفاوتت منازل هؤلاء العلماء من حيث حصيلتهم الدينية ومن حيث عطاياهم ولكنهم أسهموا جميعا في بناء ذلك الصرح الديني العتيق الذي كان أول مركز إسلامي يشيد في السودان الأوسط .

من علماء هذه الأسرة البارزين الشيخ أحمد بن عيسى المتوفى في سنار عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان قد حفظ القرآن في كترانج ثم سافر إلى مصر ودرس على شيوخ الإسلام أحمد الدردير ومحمد الامير الشريف مرتضى الزبيدي وغيرهم ثم عاد واشتغل بالتدريس في مسجد جده عيسى بن بشارة ويعتبر وبحق أعظم علماء السودان في عصره وأكثرهم جدقا للعلم وكان لا يكتفى بالتدريس في مسجد كترانج بل ينتقل إلى سنار قسبة البلاد آنذاك حيث كانت حلقة درسه يؤمها طلاب العلم من كل ربوع السودان ومن الاقطار المجاورة .

وعند وفاة الشيخ أحمد ود عيسى رثاه الشيخ أحمد السلاوي العالم المالكي والذي قدم السودان مع الجيش التركي الفاتح وقصد عين قاضي قضاء السودان بقصيدة طويلة وتحدث عنه بقوله : -

« ..... وبالحسنة فما وجدت في بلاد السودان عالما أعلم ولا أروع منه ومن تلامذته ولا وجدت عندهم علما انطق ولا أصفى من علمه ..... وتلامذته عندي مقدمون على سائر علماء السودان حتى وليتهم جميعا نياية القضاء والافتاء والتدريس في أماكنهم في الجزيرة ..... » وكذلك نعاه الشيخ أحمد كاتب الشونة في مخطوطته تاريخ (١) مدينة سنار بقوله : -

« توفي في تلك السنة شيخ الإسلام العالم العامل مرشد الطالبين ومحبي شريعة سيد المرسلين من أفنى عمره في طاعة الله وإصلاح المسلمين

---

(١) أحمد بن الحاج كاتب الشونة - مخطوطة - تطبيق الشاطر بصولي من ١٠٦ .

الفقيه أحمد بن عيسى وذلك في آخر السنة في شهر الحجة الحرام ورحمة الله آمين وله مناقب كثيرة وفضائل شهيرة ويكفي منها بذله للعلم وصبره على الأذى وذلك أجل مناقب الكرام . .

نلقى العلم على الشيخ أحمد عيسى نخبة من حيرة العلماء والفقهاء نذكر منهم ابنه الشيخ إبراهيم والشيخ محمد بن بدر المعروف بالعبيد منشىء مدينة أم ضوا بان العلمية والتي تخرج فيها ومازال آلاف من طلاب العلم . وظلت نار القرآن (١) موقدة فيها لم ينطفئ أبدا منذ انشاء المدينة العلمية أي منذ أكثر من مائة وستين عاما ومنهم أيضا الشيخ بدوي أبو صفية البديري المدفون في مدينة الأبيض عاصمة إقليم كردفان وهو صاحب الأثر المحمود في نشر الإسلام في جبال النوبة في غرب السودان وكان يأتي بالنوبة من جبالهم ويعلمهم القرآن والحد الأدنى والضروري من الفقه والتوحيد ثم يصيدهم الى مناطقهم لينشروا الدين بين قبائلهم ومن العلماء الذين درسوا عليه العلامة الأديب والمؤرخ إبراهيم عبد الدافع أوّل من تقلد منصب الافتاء في العهد التركي ومنهم الفقيه والكاتب حسين ود عماري من دارفور ومنهم الفقيه محمد الجبيل نسبة الى موطنه جبيل أم على في شمال السودان والأديب الفقيه الشيخ قرح ود تكتوك في سنار .

ولكى نلقى مزيدا من الضوء على أثر أسرة الشيخ عيسى الانصاري نذكر كبار من تخرجوا في مساحدها من العلماء والفقهاء في مختلف الاوقات .

كان الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عيسى قد حل محل أبيه بعد وفاته بل وقبل ذلك عندما رحل الشيخ أحمد الى سنار ليعلم الناس هناك . لقد بنى الشيخ إبراهيم المسجد المعروف الى اليوم « مسجد ود عيسى » بعد ان تكاثرت عدد الطلاب في كترانج وكذلك بنى الشيخ محمد أحمد البدوي مسجدا ثالثا في قرية السعودية بالقرب من كترانج ومسجد هنا يعنى مركزا اسلاميا أو مدينة بعوث بلغة اليوم بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكان محمد على باشا عند زيارته للسودان عام ١٨٣٨ قد أمر بتجديد بناء المسجد بالطوب المحروق الاحمر وأصبحت الدولة تقسوم بالصرف عليه .

---

(١) المقصود هنا ان الطلاب يدرسون في الغراء على ضوء نار يوقدونها من حطب يجمعونه بانفسهم وهذا تقليد سار عليه خلاص القرآن منذ عدة قرون والى يومنا هذا .

وهم من درسوا في مساجد كترائج على أسرة عيسى ود بشارة الاتصاري :  
 الامام محمد أحمد المهدي قائد الثورة المهدية ومحرر السودان فقد تلقى  
 عنهم بعض علوم اللغة والدين ككتابي « قطر الندى وبل الصدى » وشذور  
 الذهب في معرفة كلام العرب « للعلامة النحوي المصري ابن هشام »  
 ( ١٣٠٨ - ١٣٦٠ م ) الذي كان يقارن بـسيبويه وفي الدين رسالة أبي  
 زيد القيرواني وجوهرة التوحيد وبعدها ارتحل الامام المهدي ليؤالي  
 دراسته على الاستاذ محمد الخير في بربر وكان الامام (١) المهدي نفسه  
 ينوي السفر لمر للدراسة في الازهر .

لقد تخرج في الازهر أيضا في ذلك العهد علماء نذكر منهم :

#### ١. الشريف محمد الامين الهندي :

وهو عميد أسرة الهندي المعروفة في السودان ومؤسس الطريقة  
 الهندية واصل الشريف محمد الامين دراسته في الازهر حيث قرأ القرآن  
 بالتجويد وحفظ الشاطبية واتقن فهمها كما قرأ كتاب غيث النفسح في  
 القراءات السبع ثم عاد وفتح مسجدا بقرية نواره على نهر الرهد أحمد  
 روافد النيل الازرق فأمه الطلاب من جميع الجهات يحفظون فيه القرآن  
 ويقرأون علم التجويد والقراءات بالكتابين المذكورين وتوفي في الرهد  
 عام ١٨٨٣ م .

#### ٢. الشيخ البشير ود نعمة :

وقد تخرج في الازهر ودرس أيضا على جمال الدين الافغانى وكان  
 زميلا للشيخ محمد عبده وكان نابضا في الفلسفة وعاد ليدرس مواطنيه  
 في مدينة رفاعة على النيل الازرق غير ان مدرسته اغلقت كغيرها من  
 المدارس في عهد الثورة المهدية .

#### ٣. الشيخ أحمد الازهرى :

وهو ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردفاني وقد تلقى الشيخ أحمد  
 علومه في الازهر حوالي عام ١٨٣٠/٤٠ م وأصبح مدرسا فيه ثم عاد الى  
 الأبيض عاصمة كردفان وبني فيها جامعا ومنازل لإقامة الطلاب الذين

(١) جهاد في سبيل الله - اعلمك عبد الله محمد أحمد من ٤ .

وفدوا من كل البقاع للدراسة على يديه وكانوا يتلقون في تلك المنشآت العلمية القرآن واللغة والفقه والتوحيد وغيرها وعمل قاضيا في غرب السودان وقد قتله انصار المهدي في أحد المعارك عام ١٨٨٢ م وعُرف بالازهرى وقد سار هذا اللقب على أسرته من بعده ومنهم حفيده اسماعيل الازهرى أحد قادة الحركة الوطنية وأول رئيس وزراء في السودان .

وبجانب هؤلاء العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الازهر في العهد التركي ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م ) هناك علماء ازهريون ادركوا الثورة المهدية وانخرطوا في صفوفها وشغلوا مناصب فيها سييرد ذكرهم فيما بعد .



## ● مدرسة الخرطوم الابتدائية

أولى تلك المدارس وأهمها على الإطلاق مدرسة الخرطوم التي فتحت في عهد الخديوي عباس ويجدر بنا أن نتحدث عنها ببعض الاسباب . . اختيار لتلك المدرسة العلامة المصري الأزهرى رفاعة رافع الطهطاوى وهو من اعلام النهضة المصرية ان لم يكن شيخهم وكان قد عاد من أول بعثة بعثها محمد على باشا الى فرنسا وهو الذى أسس مدرسة الآلسن فى مصر والتي اضطلعت بترجمة كثير من الكتب الافرنجية وقلة بلسخ مجموع ما ترجمه رفاعة وطلابه الفى كتاب وكتيبات فى مختلف المواضيع ونستطيع ان نقول ان رفاعة رافع هو صاحب الفضل فى نقل الثقافة الغربية وتبسيطها وتعريفها فى اذهان المصريين اذ لم تكن معروفة لديهم من قبل وكان على حقل كبير من العلم والمعرفة وتأثر بفولتير وروسو وألف كتباً كثيرة أهمها تخلص الابريز فى تلخيص باريز الذى يوضح انطباعاته فى فرنسا ويحوى آراء ومبادئ ديمقراطية لم يكن يرضى عنها الحاكم المستبد ويقال انه ارسل الى السودان منفيًا بسبب ذلك ولا غرابة فعباس باشا الذى أغلق المدارس فى مصر وعطل دور العلم فيها لم يكن حريصا على فتحها فى السودان بطبيعة الحال .

عهد لرفاعة باختيار المعلمين ليفتح المدرسة ( طبق الترتيبات الجارية بالمدارس المصرية ولا سيما الأصول الجارية بمدرستى الابتدائى والنهجيية ) اختار رفاعة أحد عشر معلما وطبيباً هم :

( ١ ) القائم مقام محمد بيومي أفندي (١) :

وهو من تلامذة البعثة الأولى ولما عاد من فرنسا عين مدرسا بمدرسة المهندسخانة ببولاق وكان أستاذا ومرجعا لكثير من نوابغ المهندسين المصريين وصار كبير الأساتذة بمدرسة المهندسخانة في عهد نظارة لامبير بك ثم انتقل من التدريس الى قلم الترجمة بديسوان المدارس اشترك مع رفاعة بك رافع في العمل واشتغل بترجمة الكتب في الفن الذي اقبله وعين في عهد عباس باشا مدرسا للحساب في مدرسة الخرطوم الابتدائية وتوفي في الخرطوم عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م .

وما يلي بعض الكتب التي ترجمها :

١ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب عن الفرنسية طبع عام ١٢٥٦ هـ .

٢ - كتابي الجبر والمقابلة طبع عام ١٢٥٦ هـ .

٣ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب جزآن في مجلد واحد طبع عام ١٢٦٣ هـ .

٤ - الهندسة الوصفية ( مجلدان ) طبع عام ١٢٦٣ هـ .

٥ - جامع الثمرات في حساب المثلثات ترجم بأمر مدير المدارس وهو يشمل حساب المثلثات المستقيمة والكروية طبع عام ١٢٦٤ هـ .

٦ - مثلثات مستوية وكروية - ترجم بالاشتراك مع أحمد طاويل .

٧ - ميكانيكية أي علم جر الأثقال ترجمة بالاشتراك مع أحمد طاويل .

( ٢ ) الصاغ أحمد طائل أو طاويل (١) :

تلقى العلم بمدارس مصر وألحق بالبعثة المصرية وعين إثر عودته من فرنسا بمدرسة المهندسخانة مساعدا لمدرس ومعيدا لدروس الاستاذ محمد بيومي الى أن صار مدرسا للعلوم الميكانيكية بـ اشتراك مع بيومي

(١) جاك تاجر - حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ص ٦٤ .

فى ترجمة مؤلفين وترجم كتابا اسمه ( تركيب آلات ) وقد أخذ منه أكثر من مهندس فى ذلك العهد :

- |   |   |                                    |
|---|---|------------------------------------|
| يرجع أنهم<br>من تلاميذ رفاعه<br>فى مدرسة الألسن . | { | ٣ - الملازم أول على محمد أفندى (١) |
|   |   | ٤ - الملازم ثان على عثمان أفندى    |
|   |   | ٥ - الملازم ثان إبراهيم محمد أفندى |
|   |   | ٦ - الملازم ثان محمد مرسى أفندى    |
|   |   | ٧ - الملازم ثان أمير أفندى         |
| كانوا عالمين بالأزهر                              | { | ٨ - الملازم ثانى الشيخ رجب         |
|   |   | ٩ - الملازم ثانى الشيخ مكاوى       |
|   |   | ١٠ - الملازم ثان سليمان السيوطى    |
- .. طيب ..

هؤلاء هم هيئة التدريس التى رافقت رفاعه للعمل فى مدرسة الخرطوم وهم يمثلون نخبة من الأساتذة الذين أسهموا بنصيب وافر فى تاريخ التعليم فى مصر آنذاك ويلاحظ أنهم كانوا يمنحون رتباً عسكرية وكذلك الطلاب كانوا يسبغون على التخرج العسكرية غير أن المدرسة لم تفتح الا فى عام ١٨٥٣ م أى بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من علوم رفاعه ومعاونيه الى البلاد وقد أنحى أحد المؤرخين المصريين باللجنة على رفاعه بل اتهمه بالتراخي والبطء فى القيام بما كلف به طيلة هذه المدة وقد أغلقت المدرسة بعد عام من افتتاحها بسبب عدم اهتمام الخديوى سعيد الذى خلف عباساً أو من جراء تدهور أو شكوى رفاعه .

وحقيقة لم يكن رفاعه متحمساً للعمل فى السودان إذ كان ظنه انه بعث اليه متفياً وكان يجار بالشكوى وينظم الشعر واصفاً سوء حاله فى السودان بقوله (٢) :

وما السودان قط مقام مثلى	ولا سـلـمـاى فيه ولا سعادى
وقسـد فارقت اطفالا صغارا	بطهـمـا دون عسـودى واعتـيـاى
أفـكـسر فيهم سرا وجـهـرا	ولا سـهـوى يـطـيب ولا رقادى

(١) عبد الميز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) عبد الميز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ نقلا عن منابع الباب .

مع انه هو نفسه القاتل على لسان مصر والسودان :

نحن غصنان ضمتنا عاطف الوجد      جميعا في الحب ضم النطساق  
في جبين الزمان هنك ومنى      غسرة كوكبيسة الانطساق

كانت سن القبول في المدرسة تتراوح بين السابعة والثانية عشرة وكان المأمول أن تطور وترقى على غرار مثيلاتها من المدارس في مصر غير أن أغلب طلابها كانوا من أبناء الاتراك والمصريين العاملين والمقيمين في السودان وذلك لعزوف السودانيين عن ارسال أبنائهم لهذا النوع من التعليم النظامي الحديث الذي لم يعهدوه من قبل وكانوا يفضلون عليه التعليم الديني . كان الطالب المسوداني آنذاك يلتحق بالحلوة لحفظ القرآن أساسا والعمليات الأربع ( الجمع والطرح والضرب والقسمة ) .

وفي مدة بقائه بالخرطوم ترجم رفاعة من الفرنسية كتاب « مواقع الافلاك في اخبار تليماك » وهو كتاب لقس كان مرييا لحفيد لويس الرابع عشر استفاد من الميثولوجية اليونانية ليقرأ الأمير الشاب فتتمو فضائله ويقوم اعوجاجه وكذلك شرع في تأليف كتابه القيم « مباحج الالباب المصرية ومناهج الآداب العصرية » وقد سجل فيه رأيه عن السودانيين بقوله (١) ان لهم « قابلية للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم فان أكثرهم قبائل عربية لا سيما الجعنين والشايقية وغيرهم واشتغالهم بما أغوه من العلوم الشرعية عن رغبة واجتهاد ولهم نأثر عظيم في حسن التعليم والتعلم حتى ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الفقير فيعيينه أهل بلده على ذلك بتوزيع المجاورين ( أى الطلبة ) على البيوت بحسب الاستطاعة فكل واحد من الأهالي يخصه الواحد أو الاثنان فيقومون بشئونهم مدة التعليم والتعلم » .

ويروي أحد (٢) الكتاب السودانيين الذين درسوا في مدرسة الخرطوم عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م انه سمع من بعض فضلاء السودانيين وكذلك من على باشا رفاعة بن رفاعة ووكيل نظارة المعارف آنذاك ومن عامر بك سعد وهو من أعظم المدرسين من معاصري رفاعة ان رفاعة شرع في

(١) رفاعة رافع الطباطبائي . مناهج الالباب . ص ٢٦٢ .

(٢) من مقال لسليمان كشة عن مدينة الخرطوم في جريدة الثورة بتاريخ ٢٨/٧/١٩٦٤ وأشار اليه ها هو المواطن محمود القباني .

تخميس البردة للبوصيري التي مدح فيها النبي ( صلعم ) وعندما فرغ منها أقام حفلا كبيرا دعا له كبار السودانيين وعلماء حيث سهرت الخرطوم ليلة من أتهج لياليها وقبل أن يطلع الفجر رأى رفاة النبي ( صلعم ) بين اليقظة والنوم مصافحا ومخاطبا له :

« قلت هذا التخميس وأجريك عليه بالعودة إلى القاهرة وسيصلىك الأمر بتاريخ هذا اليوم » وبعد أربعة أسابيع وصل البريد والأمر مؤرخا بتاريخ اليوم وقد قرأه الناس بعد أن سمعوا بخديت الرؤية صبيحة يوم الحفل .

عاد رفاة إلى مصر وتوفي فيها عام ١٨٧٣ م .

هذا وقد أصدر الخديوي اسماعيل ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ) أمراً إلى مدير ديوان المدارس بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ ( ١٨٦٧ م ) بأنه « بناء على التماس حاكم دار السودان يكلف رفاة بك بترجمة الباقي من كتابه ملطبرون ( الجغرافى ) ويعهد إليه أيضا أمر ترجمة كتاب الربان اسميك الانجليزى المرسل منه نسخة فرنسية والباحث فى شئون سكان وادى النيل من منبئه الى مصبه لترسل بعد طبعه خمسون نسخة عربية منه لتتولى تلاميذ المدارس السودانية وتوزيعها على الضباط والمواطنين الملكيين » .

ومهما يكن من أمر فقد حظى السودان بوجود ذلك العالم بين طرائفه زهاء الأربع سنوات على رأس تلك المدرسة التى هى الأولى من نوعها إذ كانت تسير على النهج النظامى الحديث كما أفاد المواطنون من معاونيه إذ قرر رفاة فى كتابه « قد تعلم فقهاء الخرطوم ممن همى من المشايخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك » .

وفى عام ١٨٦٣ فى عهد الخديوي اسماعيل أعيد فتح مدرسة الخرطوم كما فتحت مدارس أخرى فى عواصم المديرىات فى بربر ودنقلا والأبيض وكسلا . ويقول أحد تلامذة مدرسة الخرطوم وهو الشيخ (١) محمود القباني الذى ولد عام ١٨٧٣ وقد التحق بها عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م :

---

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ ص ٢٦ .

« كان ناظر المدرسة آنذاك اليوزباشى الحسن طه أفندى خليل من مديرية البحيرة وهو من أسرة فتح الله بركات باشا وكان من بين مدرسيها العلامة أحمد محمد الجداوى الاسوانى متخرج الأزهر وكسان يعمل قبل ذلك قاضيا على عموم دارفور في غرب السودان وقد خلفه الشيخ حسين مجدى الدمياطى الأزهرى والشيخ محمد إبراهيم عبد الدافع بن إبراهيم عبد الدافع أول سودانى تولى منصب المفتى وكان مدرسا للحساب والشيخ على التمرجى مدرس الخط وهو من أصل مصرى مولود فى الخرطوم ومن تلاميذ رفاعسة مثل محمد إبراهيم عبد الدافع ومدرس الفرنسية السيد أفندى نعيم الذى أصبح بعد ذلك السيد بك نعيم وهو اسكندري تخرج من مدارس باريس وكان صيدليا لعموم السودان وهناك مدرسون آخرون .ام اقرأ عليهم .

وكان يتبع هذه المدرسة خلوة من فصلين لتعليم القرآن وكسان الاولاد داخلية وبها مدرس الفصل الأول الشيخ على طلبة المعروف فى السودان بأنه فقيه مصرى وكان له صوت جميل وفى الفصل الثانى الشيخ بكري الجرجاوى والشيخ محمد عبد القادر التربى من نسل مصرى ومولود فى الخرطوم .

كان فى المدرسة قسمان قسم برانى ( خارجى ) يدفع مصاريف وأنا من القسم البرانى وقسم داخلى عدده مائتان ونظامه عسكري ويصرف للسلامة أكلا وملابس ومرتبات عسكرية وكانت أعمارهم تتفاوت من ١٢ الى أكثر من عشرين وكانوا يتعلمون فيها .

وكان الداخلى والبرانى يتعلمون معا فى فصول واحدة ويتلقون نفس المواد إلا الفرنسية فاتها كانت اختيارية للقسم البرانى وكنت أنا ممن يتلقون اللغة الفرنسية وكانت بجانبى بنت المدرس وهى البنت الوحيدة التى كانت تحضر الدروس دروس والدما السيد نعيم وهذه البنت اسمها فاطمة ونقلت من الخرطوم قبل حصار المهدي للخرطوم وأتمت دروسها فى أوروبا وتزوجها المرحوم محمد بك مسعود المؤرخ .

كان عدد التلاميذ البرانى أكثر من ٣٠٠ وكسان مئى فى درس الفرنسية تلميذ من اولاد البرانى هو محمود سامى بن أحمد فهمى الصيفى الثانى مع السيد نعيم .

وكان كل التلاميذ الداخلية ٢٠٠ والبرانى ٣٠٠ فى وقت الدرس

يجلسون على الأرض ويكونون أربعة فصول أما في درس الفرنسية .  
فنجلس على تخت ومكاتب أمامنا .

كما نتعلم الحساب واللغة العربية والفرنسية للبعض والتركية  
وكانوا يعتنون جدا بالخط الفارسي ( وكان يسقط في الامتحان من  
يسقط في الخط ) .

كانت مصاريف البراني في الشهر ريال مجيدي أي ١٦ قرشا -  
وكان التلاميذ الداخلية يلبسون لبسا عسكريا أما البراني فكانوا  
أحرارا يلبسون كما يشاءون .

كان في الخرطوم فقهاء يقرأون القرآن باللغة المصرية وتراهم بين  
أسود ومشايخ وهم لم يجيئوا من مصر ولكنهم تعلموا على يد شيوخ  
مصريين في الخرطوم وكان يوجد في الخرطوم شيخ للفقهاء كما في مصر  
يعطى راتبا ويعلم الناس التجويد ومنهم الشيخ محمد السقا الذي قتل  
في سقوط الخرطوم .

وكذلك يوجد نساء مقرئات للقرآن كما في مصر يصلمن بنات  
الأكابر في بيوتهن القرآن والدين والخط .

## ● احتفال مدرسة الخرطوم فى الوقائع المصرية

كانت مجلة الوقائع المصرية تنشر حفل امتحان المدرسة السنوى وانلى انقل هنا بعض ما جاء فى عدد رقم ١١٩٤ بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٨٨١ م عن حفل الامتحان عن تلك السنة .

فى يوم الاثنين المبارك ٣١ شعبان المعظم سنة ١٢٩٨ هـ احتفل فى هذه المدرسة لامتحان تلاميذها كما جرت به العادة المألوفة فى كل عام فكان هذا الاحتفال جميل الهيئة جليل المنظر حضره جمع غفير من رؤساء الحكومة الكرام ووجوه العلماء الاعلام وعدد كثير من السدوات الفخام وتحلى جيد هذا المحفل بواسطة هذا المقدم النصيد سعادة محمد رءوف باشا حكامدار السودان ولما أن تم الاحتفال على هذا الوجه الفائق افتتح التلميذ الأول طه أفندى زكى الامتحان بتلاوة خطبة رائعة وقصيدة فائقة وهى من انشاء حضرة الفاضل أحمد أفندى جدوى الاسوانى اول خوجات المدرسة ثم بعد أن فرغ من تلاوتها قام هو والتلميذ الثانى حسن أفندى صبرى فابروا بديع تخيلات الحريرى الى حيز الوجود وأرقيا صنيع مخترعات مقساماته الى مقام الشهود فبينما مافى المقامة الفقهية من عجائب وكشفا عن غوامض ما أحرزته فتواها من الغرائب فكان أحدهما سائلا والثانى مجيبا وكلاهما موفق ومصيب وقد ابتهج سرورا بذكائهما جميع الحاضرين وشهدوا لهما بأنهما من انجب المشتغلين ثم سئلا فى علم العربية عن جملة أبيات من شواهدا وعن كثير من قواعدا ثم فى اللغة الفرنسية والفنون الحسابية فاجابا فى



كل ذلك بما دلى على انهما من البارعين وصدحت لهما الموسيقى بنغمات الفرح والاعجاب ثم قام بعدهما بقية التلاميذ وسئلوا واحدا واحدا فيما حصلوه من العلوم واللغات فكانت اجساية الجميع بما تقر العين وتسرع الفؤاد وتدل على ان مستقبل هذه المدرسة سيكون لى في نيا عظيم وكان الفراغ من اختيار جميع الطلبة في الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء فقام كل الحاضرين فرحين مسرورين بما شاعدهم من براعة هؤلاء التلامذة مشين على معلمهم وأساتذتهم وحضرة الناظر بالثناء الجميل على ما بذلوه من الهمة والنشاط في التعليم داعين للجناب الخديوى المعظم ولرجسالة حكومته الكرام بأن ينفع بعنايتهم الوطن وان يديم شمس وجودهم في آفاق البلاد فيتحقق لابنائها الراحة والاسعاد وان يمتنع جنابه الكريم ببقاء أبنائه ما لاح بدر الكمال وفاح مسك الختام .

لقد أدت هذه المدارس النظامية خدمات (١) للإدارة التركية فمدتها بالكتاب والمحاسين وعمال التلغراف وأحدثت نهوضا في الثقافة والادب في ربوع البلاد جنبا الى جنب مع خلاوى القرآن ومجائس العلوم الشرعية .

كما لم يتوقف اقبال العلماء الأزهريين الى السودان ولم ينل من عزمهم على مواصلة اداء رسالتهم في مرقى التدريس والقضاء . وقد ظلوا على ذلك الحال الى نهاية الحكم التركي على البلاد عام ١٨٨٥ - فقد كانت نخبة ممتازة نذكر منها على سبيل المثال الشيخ حسين المجدى والشيخ شاكر المفتى والشيخ محمد موسى مفتى المحاكم الشرعية والشيخ محمد السقا شيخ القراء وهؤلاء قتلوا جميعهم عندما فتح المهدي الخرطوم صباح ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ م ونذكر أيضا من هؤلاء العلماء الشيخ أحمد محمد الجداوى الأسوانى الذى كان يعمل قاضيا في دارفور ثم نقل كبرا لمدرسى مدرسة الخرطوم والفريرف المعروفى الشاذلى وكافوا يدرسون بالاضافة الى أعمالهم الرسمية الاخرى في جامع الخرطوم العتيق مع اقرانهم العلماء السودانيين .

## ● القضاء في العهد التركي

عكفت الإدارة الجديدة في السودان على تنظيم القضاء مع غيره من مرافق الدولة فانشأت المحاكم الشرعية في المراكز والمدريات وعينت قاضيا سمي بقاضي عموم السودان ليختار القضاة الشرعيين ويكون المسئول الأول عن القضاء في البلاد وكان قاضي عموم السودان ومفتي مجلس الاستئناف وشيخ العلماء يعيّنون بأمر خديوي مصر أما غيرهم من القضاة يرشحهم قاضي عموم السودان ويعيّنهم حكامدار البلاد .

كان أول من شغل منصب قاضي عموم السودان هو (١) الشيخ محمد الأسيوطي الذي كان أحد الأئمة الثلاثة الذين رافقوا حملة الفتح كما أشرنا إلى ذلك سابقا وكان من علماء الحنفية المعروفين في مصر وتوفي في ود مدني عام ١٨٢٣ .

ثم أسند هذا المنصب إلى مسعوداني هو الشيخ ادريس من أسرة البيعوبات المعروفة في السودان وتوفي عام ١٨٢٦ م .

ثم تولى هذا المنصب الشيخ أحمد السلاوي المالكي الذي كان ثالث الثلاثة الفقهاء الذين رافقوا حملة الفتح وقد عاد من مصر عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م وقد شدد الوالي محمد علي باشا على حكامدار السودان خورشيد باشا ألا يقطع أمرا دون مشاورة الشيخ السلاوي .

---

(١) القاضي حسين سيد أحمد المكي - تطور القضاء في السودان ص ٨٩ .

كانت بعض القضايا تحول في يادي الأمر الى ديوان الافتاء في مصر وكانت احكام اولئك القضاة توضح ما كان للقضاء من قوة في ذلك العهد وفي نفس الوقت تثبت للعلماء السودانيين مقدرة في العلم والبحث يصح الافتخار بها (١) .

كان الشيخ أحمد السلاوي عالما وشاعرا ويوصف بأن له عارضة قوية في المسائل العلمية ويقال ان له تأليفا سماه المحاكمة حكم فيه بين المفتي والصبيان في حاشيتهما على الاشمونى على الخلاصة وهذا طريق شائك لا يتوخسه الا متبحر في العلم (٢) .

ثم تولى منصب قاضى عموم السودان الشيخ ابراهيم الهيتى عام ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م وكان من كبار علماء المنصب المالكي في الازهر .  
ثم خلفه الشيخ مصطفى السلاوي نجل الشيخ أحمد السلاوي المغربي وقد ولد في الخرطوم وكان شاعرا وأديبا ولكنه عرل من منصبه وأودع سجن طره في مصر وتوفي عام ١٨٨٧ م .

وكان آخر من اسند اليه منصب قاضى عموم السودان المواطن العلامة الشيخ محمد خوجلي حثيك عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م وهو من متخرجي الازهر وظل في هذا المنصب حتى نهاية الحكم التركي حيث قتل مع من قتل عندما فتح المهدي الخرطوم عام ١٨٨٥ م .

ومن أشهر قضاة المديريات آنذاك العلامة البدوي القرافى (٣) الذى عين قاضيا لمديرية دنقلا ويروى انه رفض ان يأخذ مرتبسا على منصبه واشترط الا يقيد نفسه باللوائح والمنشورات بل يقضى بكتاب الله وسنة رسوله وكذلك الشيخ عربى الهوارى قاضى مديرية كردفان وكان عالما وشاعرا والشيخ عبد الغنى السلاوي وهو مغربى الاصل سودانى المولد وكان أيضا شاعرا مرموقا والشيخ أحمد الازهرى قاضى على كردفان .

كان جميع قضاة المديريات من المواطنين السودانيين عدا مديريتي سنار فقد كان قاضيهما الشيخ مكى حسن الاحمولى وبربر حيث جلس

---

(٢٠١) من مقال للقاضى يوسف ابراهيم النور - مجلة الفجر السودانية العدد الاول مارس ١٩٣٧ عن صحيفة من تاريخ السودان القديم القضاء .

(٢) حسين سيد احمد المفتى - تطور القضاء في السودان ص (١٠٩) .

للقضاء فيها الاستاذ الشيخ حسن الخطيب المصرى وهما بطبيعة الحال من متخرجى الازهر .

### الافتاء :

كانت الصلة قائمة بين علماء مصر والسودان منذ عهد سلطنة سمنار ودارفور كما آوردنا سابقا وكان علماء السودان يرفعون اليهم ويحاورونهم فى بعض الحوادث والقضايا التى تعرض عليهم وفى فترة الحكم التركى على السودان توثقت الصلة وخاصة مع الشيخ العلامة ابنى عبد الله الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الملقب بعليش الذى تقلد مشيخة المالكية ووظيفة الافتاء فى مصر وكان لفتاوى الشيخ عليش (١) عظيم الاثر الدينى فى السودان فقد كان مرجع الشعب والحكومة فى الافتاء . لقد درس كثير من السودانيين على الشيخ عليش المتوفى عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م ومنهم شيخ علماء السودان محمد ولد البدوى .

كان اول من عين مفتيا للسودان آنذاك الشيخ محمد السليدى عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان من علماء مصر العاملين وتوفى عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ وخلفه فى هذا المنصب الشيخ ابراهيم عبد الدافع الذى ورد ذكره آنفا والمتوفى عام ١٨٥٤ م .

تم جعلت الادارة التركية مفتيا لكل مديرية لانه (٢) اتضح لها عمليا صعوبة الاكتفاء بمفت عام لكل البلاد ومن هؤلاء نذكر الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى على كردفان والشيخ عبد الحى الطرابلسى على مديرية بربر والشيخ عمر حامد البديرى على دنقلا والاستاذ الشيخ زروق الحلتقى على مديرية التاكا والاستاذ السيد أحمد الشنقيطى على محافظة سواكن وكلهم من متخرجى الازهر .

وكانت مسئولية مفتى المديرية افتاء أهل مديريته فى العبادات والمعاملات كما كان من اختصاصه النظر فى استئناف أحكام قضاة مديريته وكان مدير المديرية لا يقدم على عمل يتعلق بالاسلام والمسلمين الا اذا اتصل بمفتى مديريته وتحصل على فتوى منه .

---

(٢.١) القاضي حسين سيد أحمد المفتى - تطور القضاء فى السودان ص (١٠٩) .

## ● علماء سودانيون توابع درسوا على متخرجي الأزهر

هذا وقد نبغ في العهد التركي ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م ) في السودان عدد من العلماء الذين درسوا على متخرجي الأزهر نذكر منهم الشيخ الأمين الضرير العالم والأديب وعاهل الأسرة الدينية والاجتماعية المعروفة في السودان وهو ينحدر من قبيلة المحسن التي لها فضل لا ينكر في نشر العلم في البلاد .

تلقى الشيخ الأمين (١) الضرير تعليمه على الشيخ إبراهيم بن عيسى حفيد الشيخ عيسى بشارة الانصاري في كترانج وقد تنازل الشيخ إبراهيم للشيخ الأمين الضرير عن شهادته العلمية التي تلقاها من والده العالم الجليل الشيخ أحمد بن عيسى ومنحها له تقديرا لعلمه ونبوغه .

كان الشيخ الأمين الضرير بحق نايبة عصره وزمائه في بلاده ولقب بشيخ الاسلام ورئيس ومميز علماء السودان وكانت له مدارس في توتي ورفاعة والخرطوم وكان ينتقل اليها ويدرس في كل منها الفقه المالكي والتوحيد وتفسير القرآن والأحاديث النبوية والفقه بن مالك في النحو وقد تتلمذ عليه كثيرون نذكر منهم علي سبيل المثال الشيخ محمد عمر البنسا والشيخ يوسف ولد نعمة والفكي أحمد عوض الله وأحمد نور السرورابي والشيخ محمد ود الجريف وكلهم عرفوا فيما بعد علماء وفقهاء أدوا واجبا كبيرا في نشر الدين والعلم في مختلف بقاع السودان .

---

(١) إبراهيم عبد الرزاق - شيخ الاسلام الفكي الأمين الضرير .

كان للشيخ الأمين مؤلفات في علم الفرائض والميراث وبحوث دينية أخرى أدبية وتاريخية نشر بعضها في مجلة الجوائب في مصر لصاحبها أحمد فارس الشدياق ومجلة الوقائع المصرية وروضة المدارس .

وعندما قام الامام محمد أحمد المهدي بالثورة ونادى بأنه المهدي المنتظر أصدر بعض من علماء السودان آنذاك رسائل تكذيب وبطلان في دعوة المهدي وطالبوا المواطنين بالا يتبعوه من بين أولئك العلماء كان الشيخ الأمين الضير وكانت رسالته بعنوان « هدى المستهدي الى بيان المهدي والمتهدي » ورد عليهم الامام المهدي بمنشور وسماههم بعلماء السوء وذكر اسماءهم ما هذا الشيخ الأمين اذ قال :

« ... فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد يدخر للمتأخرين ما عسر على المتقدمين لا تغتروا بالخطب التي ألفها في ذمنا وتكذيبنا علماء السوء كاحمد بن اسماعيل الولي وحسين مجتهدى والفتى شاكر ومحمد ود حتيك وود الدليل وامثالهم من وقع في عرضنا فهؤلاء ممن ادخل الله في قلوبهم النفاق بحب المال والبجاه ... »

وعندما سقطت الخرطوم عاصمة الحكم التركي في السودان في ٢٦ يناير ١٨٨٥ بيد المهدي قتل العلماء الذين سماهم المهدي بعلماء السوء ما هذا الشيخ أحمد بن اسماعيل المعروف بأحمد الأزهرى الذي كان قد قتل في معركة ضد قوات المهدي في كردفان عام ١٨٨٣ .

توفي الشيخ الأمين الضير عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ ودفن في أم درمان وقد صلى عليه الامام المهدي .

كان الشيخ الأمير الضير شاعرا أيضا وقد فاز بالمرتبة الثانية في مسابقة نظمها مجلة الجوائب وعند اعلان النتيجة علق صاحبها أحمد فارس الشدياق على فوز الشيخ الضير بقوله :

« ... من الغريب أن يكون من أبناء حام من يتفوق على أبناء سام » ولما علم الشيخ الضير بهذا التعليق رد عليه ببحث مستفيض عن عروبة السودان . وللشيخ الضير قصيدة معروفة مدح فيها الخديوى حينما أسس الخديوى جمعية معارف مصرية للتعاون على نشر العلوم برعاية نجله - الأمير توفيق - وتزويد البلاد بالكتب القيمة وقد أشار الشيخ الضير في تلك القصيدة مثنيا على صديقه حكمدار السودان جعفر مظهر الذي كان يكرم العلماء والأدباء ووصف بأنه رجل كئاب ومسجد .

نشرت هذه القصيدة في مجلة الوقائع المصرية وقدم لها الشيخ  
الأمين الضريع بقوله :

« لما اطلعت في نمرة ٣٠١ من الوقائع المصرية المشكفة ينشر المنافع  
المصرية على ما صورته من جميل الآثار التي حلت بها هذه الأعصار  
وتجملت بها مصر بين الأمصار في ظل الحضرة العلية الخديوية الاسماعيلية  
انه تأسست جمعية معارف مصرية للتعاون على نشر العلوم كمرغوب  
الحضرة الداورية تحت حماية حضرة العزيز الأصيل والمشهور الجليل  
دولتو محمد توفيق باشا أكبر أنجال الخديوي الاكرم وولي عهد جنابه  
أبقاهم الله رمزا للمعارف وعزا لكل عارف انشا لسان المقال قاضيا لسان  
الحال وتاليا ما يقتضى تأكيدا لحب الحال مبتدئا بعد بث أحوال الزمان  
بما لتلك الجمعية من الأوصاف الحسان مترقبا الى مدح ولادة ذلك الاحسان  
لا سيما صاحب تلك الحماية والتفضيل بهاتيك الرعاية ثم ختمت ذلك  
بتاريخ غاية في المرام به حسن الختام . . . »  
وهذه بعض من أبياتها :

الود مآديه والصمدى اخوان  
والصادقون لدى الآداب اخوان  
أشعارهم ذات اشعار بحالهم  
فهى الشعار حفظوا بالوصل او بانوا  
خان الاخلاء حتى قال واصفهم  
ما للأمين بهذا الدهر خلائان  
فقلت لاح لى والله ذو كسر  
وجملر الفيض بالخيرات ملاان  
حسن التخلص فى أهل الزمان بمن  
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمسان  
فيا أولى الجمع أهل العلم انكموا  
فى نشر ما يرتقيه الله اخوان  
ومصركم مصر والتوفيق حافظكم  
والمعنى عارف والوقت ايسان  
الم تسوزع عليكم كلكم كتب  
فى العلم نافعة بالطبع تزدان

الم يسكن جمعكم ارفعى بصفتها  
الم تيسر على التدرج ائمان  
ولم ييسر لكم فيها تنساوبكم  
اذ ليس يمتنع لها رام انسان  
فحاصل القول ان العلم قد سهلت  
اسبابه اذ بدت للخير اعوان

والطريف ان مجلة الوقائع المصرية علقت في عددها ٣٢٠ المؤرخ  
الخميس جماد الاول ١٢٨٦ بقولها :

« كثيرا ما نشرت مقالات زاردة من السودان بعضها لحضرة حكمدارها  
المجيد وبعضها لحضرة نجله النجيب السعيد وبعضها لمن يستدل بكلامهم  
على تمدن تلك الجهات وتنوير قلوبهم بالمعارف وتحليلهم بجميل الصفات  
في هذا العصر المبارك والعهد الذي لا يشارك من بعد ان كان لا ينصرف  
عند الاطلاق لفظ السودان الا لما حوى أمة متبربرة كأنها ليست من نوع  
الانسان بعدم عن العلماء لما بين الارض والسماء وعدم اشتغالهم الا بما  
نسعه عليه الوجدانيات كالبلوع والتعلش واشباه ذلك من الضروريات على  
خلاف ما هم عليه الآن من الاجتهاد والتشبيث بالعرفان الدالة عليه مقالاتهم  
الواردة المشتملة على كل شارة ، ومن ذلك ما بعث به هذه المرة حضرة  
ذلك الحكمدار الذي هو في وجه بلادهم غرة ونسبه الى حضرة عالمهم الشيعي  
الشيخ الامين الضريير يريد به زيادة بيان فضله وبراعته من أمثاله ونباه  
والدرجة التي وصلت اليها هاتيك البلاد والماق علمائهم بعلماء الدين في  
الاستعداد وفرحهم بطبع الكتب واستسبال ما به يحصلونها من المعارف  
وشكرهم بكل لسان جميل جمعية المعارف واجتهادهم في العلوم الادبية  
ومحاولتها كغيرها من العلوم العربية بالانشاء والتأليف والاملاء  
وال تصنيف حتى حصلوا حسب الطاقة القدر الوافر وخرجوا من ورطة  
الطبع المتنافر ولعمري ان كل ذي لب يستكثر من أولئك ذلك ونشره  
للقوف على حقيقة الدرجة الى هناك والتشويق الى الزيادة من الافادة  
والاستفادة ولقد تردد علينا اناس منهم مشتغلون بالعلم بالازهر المعمور  
هم في غاية التهذيب والنجابة والاستقامة في كل الامور تحسبهم لولا  
انهم كلهم خيلان وخطط الانصار لا السودان بالجملة فالواجب نشر  
مآثرهم بلغت ما بلغت شكرا على تناسي بربريتهم التي لغت في همة



الافواق الحالية بالمهمة الخديوية العالية وهذا اعطى ما ورد للشيخ الامين الموعود به قبل في التبين .

وقد لاحظ احد (١) المؤرخين السودانيين ان تعليق مجلة الوقائع على مقدمة وقصيدة الشيخ الامين الضرير كان ركيكا مما يوضح الفرق الهائل بينه وبين اسلوب القصيدة ومقدمتها .

### الشيخ ابراهيم عبد الدافع :

وهو احد علماء السودان النابهين - كان فقيها وشاعرا ومؤرخا وفي القضاء وعين مفتيا للسودان في حوالي ( ١٨٤٠ - ١٨٥٤ م ) ويقال انه اشترك في تنقيح مخطوطة الشيخ احمد كاتب الشونة في تاريخ السودان مع الشيخ الامين الضرير والوزير عبد القادر الزين المعروف بالوزير ود ضوه وتعتبر تلك المخطوطة مصدرا رئيسيا في تاريخ السودان في عهد سلطنة سنار والفتح التركي للبلاد وقد طبعت اليوم وحققها العالمان الدكتور مكى شميكة السوداني والشاطر البصيلي المصري .

ومن شعر الشيخ ابراهيم عبد الدافع قصيدته في رثاء العالم محمد نور ضيف الله صاحب كتاب الطبقات التي جاء فيها :

دع الامين تبسكى دهرها بتوجد  
على غيش بحروكان بالعلم مزبدا  
هو الخير نجسل الخير ضيف الهنا  
لقد حاز فخرنا في الانام وسؤدا  
هو العالم المشهور والنام واللى  
يرشد الهادي الى مسبل الهى  
كريم طباع ثم سمع شسمائل  
باملافة القاضين فى ذلك اقتدى

كذلك قصيدته في رثاء الشيخ احمد الطيب البشير قطب الطريقة السمانية المتوفى عام ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٤ م .

ومطلعها : -

(١) محمد عبد الرحيم - لغات اليراع ص ٨٠ .

عـرج بركبك حـادى الاظمان  
واحطط وحالك مبتغى العرفان

وله قصيدة أخرى فى رثاء كبار العلماء ويبنى على سنار وعهدهما  
حيث بدأها بقوله :

اليوم أصبح دكن الدين منهدما  
بموت اخواننا فى الله والعلما  
ديسارنا بعسدا كانت معمرة  
منهم غدت مسكن الطامعين والفلما  
كنا زمانا يجبن الركب من بعد  
الى العلوم وللقسرآن والحكما  
صرنا طعاما بلا ملح يلد به  
تعافه عين الراثى ومن طعما  
كاننا قتل ما كان يلدتنا  
نقرر العلم جهرا ليس منكنا  
والدهر فى غفلة عنا ويحسدنا  
على الذى عندنا الجيران والنصما  
فمن الى العلم فى الآفاق ينشره  
ومن يقوم بحكم الشرع ملتزما

الشيخ يحيى السلاوى :

ولد فى الخرطوم عام ١٨٤٦ وهو حفيد الشيخ أحمد السلاوى  
العالم المالكي الذى رافق اسماعيل باشا عندما فتح السودان عام ١٨٢١  
وعين الشيخ أحمد قاضيا لقضاة السودان كما ذكرنا .

سافر الشيخ يحيى لمصر واشترك فى الثورة العرابية وله قصيدة  
يناصر فيها الثورة ويقال ان عرابى نفسه طلب من الشاعر أن ينظم قصيدة  
تطبع وتنتشر فى القطر المصرى وفعلا نظمها باثية من ٩٩ بيتا وقد لقيت  
تلك القصيدة التى طبعت بماء الذهب رواجاً عظيماً فى مصر وبيعت كل  
نسخة منها فى شوارع القاهرة بجنيه ذهباً .

والقصيدة تدعو لمناصرة الثورة مستثيرة همم المصريين وحميتهم

ومثنية على كل من ناصر الثورة من رجال العلم وشيوخ الطرق الصوفية  
والنصار وغيرهم وقل ان تجد أدبياً سوردانيا لا يحفظ مطاعها -

تقول أبيات القصيدة :

تسفل العلى بتشتت الأحزاب  
والله ناصرنا بسيف عسراي  
والقطر فيه من الرجال كثافة  
للحادثات فهم أولو الالباب  
وحمية الاسلام تافى بالونا  
حتمسا على كل امرئ اواب  
هيا بنا يا اهل مصر الى الرضا  
والأور في العقبى بغير حساب  
انتم أولو الهمم التي بسهامها  
كم من عدو آب شر ايساب  
انتم ولاة المجد اربساب النهى  
والحر يظهر عند مسلم مصاب  
لاشغلنكم الحياة فانها  
ذال لمن يرضى بهتك جنساب

لقد درجت الجوانب والوقائع المصرية على النيل من السودانيين  
لتثبت ما أصابه السودان من تقدم يعزى الى سياسة محمد علي باشا  
وأسرته فقد جاء في افتتاحية الرقائع في عددها الثاني عشر ١٢٤٤ هـ /  
١٨٢٩ م تصف أهل السودان بأنهم « خالون من العلم والعمل عارون من  
« معرفة النفع والضر يضارعون الوحوش حالة » -

● متخرجو الأزهر  
في الثورة المهدية  
( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م )

وتنسب الى قائدها الامام محمد احمد المهدي وكان عالما سودانيا فقيها صوفيا مقائرا بالمتصوف الكبير محي الدين بن عربي وكان في فترة شبابه ينوي الذهاب الى مصر لمواصلة الدراسة في الأزهر .

تفرد الامام المهدي بمذهب اجتهادي خاص فابطل العمل بالمذاهب الاربعة وامر باحراق كل الكتب الدينية ولم يبق غير القرآن والصحيحين واحياء علوم الدين للامام الغزالي وقال عن الائمة الاربعة : -

« جزاهم الله خيرا فهم رجال ونحن رجال لو أدركونا لاتبعونا ، ان مذهبنا الكتاب والسنة » .

كان القانون الذي تارت عليه دولة المهدية هو الكتاب والسنة والمنشورات النورية التي كان يصدرها الامام المهدي والتي كانت تعالج مسائل قانونية وقضائية .

كانت منشورات الامام المهدي وخطبه تهاجم ما سماهم بالتسرك والمقصود بها الاوروبيون والاجانب الذين يحكمون بغير الشريعة الإسلامية ولم يقصد بها المصريين اطلاقا كما لم تكن ثورته وحروباته نزاعا بين السودانيين والمصريين بل كانت بين من آمن بمهديته ومن انكرها واتبع حكومة الترك وكانت أهدافه هي تخليص الشعبين السوداني والمصري من ظلم الترك والفرنج الذين حكموا السودان ومصر .

كان المهدي كغيره من قادة المسلمين في ذلك العصر - ابن عبد الوهاب ومحمد السنوسي وجمال الدين الأفغاني كان يرمى الى ايجساد

عالم اسلامي بعد أن يقضى على ما سمي بالجاهلية السوداء التي رانت عليه .  
ولذلك لم تكن دعوة المهدي تقتصر على تحرير السودان بل مصر والبلاد  
الاسلامية من حكم الترك والعودة الى حكم الكتاب والسنة .

لقد جاءت دعوة المهدي مخالفة لما كان سايرا في السودان ومصر  
وخطورتها على الخلافة العثمانية والاستعمار في مصر اصدر السلطان  
العثماني نشرة رسمية كذب فيها المهدي ونشرها في جميع البلاد الاسلامية  
كذلك رجال الدين في مصر والسودان فقد اصدر الازهر فتوى ببطلان  
الدعوة ، هذا الى جانب نشرات ورسائل لبعض علماء الاسلام في السودان  
اشرت اليها آنفا .

لم يكن هناك والحالة هذه اتصال بين السودان والازهر في مدي  
الثلاثة عشر عاما من حكم المهدي ومع ذلك انضم الى الثورة المهدية فقهاء  
وعلماء مسوائيون من متخرجي الازهر واسهموا في نجاحها وشغلوا  
مناصب هامة خاصة في القضاء الشرعي نذكر منهم :

#### القاضي احمد جبارة :

وهو من متخرجي الازهر بايع الامام المهدي قائم الثورة السودانية  
ضد الحكم التركي ( ١٨٨٢ - ١٨٩٨ م ) وعين قاضيا للاسلام وهو اكبر  
منصب قضائي آنذاك قتل عام ١٨٨٢ عند حصار الامام المهدي لمدينة  
الابيض في غرب السودان .

#### الشيخ الحسين ابراهيم الزهراني :

ولد عام ١٨٢٣ .

وهو من متخرجي الازهر الذين ينسار اليهم بالبنان وكان عالما  
فقيها وشاعرا ويقال انه كان ندا للامام محمد عبده - عاد الى بلاده وأنشأ  
مدرسة في قرينته أم عظام في الجزيرة ثم التحق بالامام محمد المهدي قائد  
الثورة المهدية وولى القضاء ثم أصبح قاضيا للاسلام في السودان ولكنه  
عزل من منصبه ومات سجيناً عام ١٨٩٢م . وله قصيدة معروفة من مائة  
واثنى عشر بيتاً يمدح فيها المهدي ويناشد له ليولي مناصب الحكم للعلماء  
جاء فيها : -

برج الغضا ما الحق فيه خفاء  
وتسالت الآيات والأنبياء

جهل الولاة أمان دين محمد  
 وأهلوه قد ماتوا وهم أحياء  
 وفراكت ظلماتهم بين الدوى  
 لما أظلمت لهم ودام ولا  
 ما بي استهانوا بل بشرع محمد  
 فعليه من أثر الدمار حياء  
 فتناولته من اللثام وأعطه  
 صنف الكرام فأهله العامة  
 واشرك عليهم ما أردت من الهدى  
 يعطوا العهود لأنهم أمنساء  
 ووقف مرة أمام ضريح سيدنا الحسين في القاهرة وأشد قصيدة  
 يخاطبه فيها استهلها بقوله :  
 حسين يا حسين أتى اليك منيبا  
 وأنت تحسى الحسن والحسينا

الشيخ محمد البدوي :

هو متخرج في الأزهر ودرس على الشيخين العالمين المعروفين عيش  
 وحسن العدوي وكان قاضيا في المهديّة ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م ) مارس  
 القضاء بنزاهة وصدق وعين شيخا للعلماء في عهد الحكم البريطاني وعندما  
 توفي عام ١٩١١ م لم يخف الحاكم البريطاني سعادته بموته فقد كان  
 يعتبره من المعوقين للسياسة البريطانية في السودان ويصفه أحد  
 الأدباء (١) السودانيين النابيين بقوله : -

« كان الشيخ محمد البدوي من الأئمة المتهجين والعلماء المحافظين  
 على التقاليد المذهبية فهو من مدرسة الشيخ عيش وأمثاله فلم تعرف  
 عنه آراء تجديدية في الفقه الإسلامي ترجع محدثات العصر إلى منابع  
 التشريع الأصلية وأصوله المنة الثابتة كما فعل الأماهان الجليلان  
 الأفغاني ومحمد عبده ولكنه عرف بنحزبه لخرقية النصوص من فقه أمام  
 دار الهجرة مالك بن أنس والحديث الشريف ولكنه أمام عصره فقد تفقه  
 عليه حفنة من العلماء وكانوا الشعلة التي أذاحت ظلمات الجهل في ذلك

(١) عبد القادر الشيخ ادريس ( أبو مالة ) في كتابه وثقات مع العباسي ص ١٠٣ .

والعهد الجائر الجاهل وكانوا اللجنة الاولى لهذه المؤسسة العلمية الشامخة  
- المعهد العلمي - التي بدأت تشق طريقها في العهد الحديث وبفضل  
جهود علمائها المتصلة الى جامعة اسلامية .

### الشيخ المصطفى عبد الرحمن :

ولد حوالي عام ١٨٥٧ م وهو من ذرية العالم الاسلامي المعروف  
الشيخ اديس ود الارباب ماجر الى الازهر بعد ان درس على الشيخ  
الحسين الزهراني في الجزيرة ثم عاد الى البلاد فاقام مدرسة في كركوج في  
أعلى النيل الأزرق ثم التحق بالامام المهدي في قدير في غرب السودان  
واسهم في حصار الخرطوم ولكن بعد نجاح الثورة المهدية لم يرض على  
بعض أعمال الخليفة عبد الله خليفة المهدي ورجع الى مصر ووصل دراسته  
في الازهر مرة أخرى حتى تال الشهادة العالمية ثم عاد بعد هزيمة المهدية  
وقيام الحكم البريطاني وعين قاضيا لمديرية دنقلا في شمال السودان .  
وكان شاعرا واديبا مرموقا المكانة .

توفي في قرية العليفون على النيل الأزرق عام ١٨٩٩ وكان عالما  
أديبا رشح لأن يكون قاضيا لقضاة السودان غير ان الاتفاق قد تم بين  
بريطانيا ومصر بأن يشغل ذلك المنصب قاض مصري وفصلا استمر  
القضاة المصريون في ذلك المنصب عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٤٧ م حيث تولاه  
قضاة سودانيون .

### الشيخ محمد عمر البنا :

ولد عام ١٨٤٨ وبعد ان حفظ القرآن نزع الى الازهر حيث تخرج  
فيه وعندما عاد الى السودان انخرط في سلك الثورة المهدية وبايع  
المهدي ، وشغل منصبا قضائيا ومستشارا للخليفة عبد الله . وعندما  
هزمت المهدية عين مفتشا للمحاكم الشرعية في فترة الحكم البريطاني  
وتوفي عام ١٩١٩ م وهو شاعر مطبوع وله قصيدة مشهورة خاطب بها  
توار المهدية بعد هزيمة جيش هكس البريطاني في غرب السودان في  
نوفمبر عام ١٨٨٢ وصف فيها شجاعة المحاربين واستحثهم للزحف على  
الخرطوم عاصمة الحكم التركي حيث يقبع غردون الحاكم البريطاني باسم  
الحيوى وقد جرت القصيدة على كل لسان وجاء فيها :

الحرب صبر والنفس ثبات      والموت في ثمان ايام حياة  
ان الجهاد فضيلة مرضية      شهادت بمعكم اجرها الآيات

قوم اذا حمى الوطيس رايتهم  
ولباسهم سرور الحديد وباسهم  
فى السلام تراهم ركعا ساجدا  
وتخالهم يوم اللقاء خرافها  
يامسيدا وسمع الانام بعلمه  
فالفض الى القرواوم ان بسوجه  
نبدوا الشريعة من وراء ظهورهم  
خذ جيشك المنصور لا تحفل بهم  
فتسودوا لهم الخنادق والفلوا

شمس الجبال وللضعف حماة  
شبهت به يوم اللقاء الفارات  
اثر السجود عليهم ومسحات  
اسمدا واسمل رماحهم لحابات  
واسمططرتهم بالهدى يركات  
اهل الخواية والملاسمد بانسوا  
عن دينهم شغلهم الشهوات  
ولتقمن امهه الراسيات  
فعل الصحابة اذا انت غزوات

### الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني :

وهو حفيد الشيخ اسماعيل التولى فى كردفان وقد التحق بالأزهر  
وهو طالب صغير اذ رافق خاله الشيخ أحمد الأزهرى الى هناك حيث اتم  
تعليمه ومنحه علماء الأزهر اجازات علمية تشبهه بنبوغة ومنهم العلامة  
المصرى حسن الطويل كبير علماء الأزهر آنذاك .

تولى الشيخ اسماعيل التدريس فى الأزهر وقتا ثم عاد الى البلاد  
وعين مفتيا لدير كردفان وكان يقوم بالتدريس أيضا بجانب وظيفته فى  
القضاء وقد تخرج على يديه علماء كثيرون وكان أدبيا وشاعرا نال الجائزة  
الأولى فى مسابقة شعرية نظمتها مجلة الجوائب المصرية وعندما قامت  
الثورة المهدية وحكومتها فى السودان ( ١٨٨٢ - ١٨٩٨ م ) التحق بالهدى  
وعمل فى سلك القضاء وله مؤلف فى تاريخ المهدي سماه « سعادة  
المستهدى بسيرة المهدي » حققه العلامة السودانى الدكتور محمد ابراهيم  
أبو سليم وكتب له مقدمة ضافية ووصف الكتاب بأنه مصدر هام من  
مصادر تاريخ المهدية . كما سبق مؤرخ عربى ان اعتبر الشيخ اسماعيل  
بمنزلة ابن الاثير وأبى الفدا وابن خلدون والمقرئى - لقد توفي الشيخ  
اسماعيل ساجينا فى منفاه فى جنوب السودان . ومن شعر الشيخ  
اسماعيل قصيدة انشدها عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ یرئى الامام المهدي  
ويصف القبة التى دفن فيها المهدي جاء فى القصيدة :

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا  
وقد نظم زهر النجوم قلاندا  
ولاحت بانوار الهداية شمسها

ونيطت بها الجوزاء عقد منضدا  
لحميد علاها حاز السبق مفردا  
فاشرق منها الكون وانقشع الردى



قلله منهاها ومحسبكم منعمها  
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث  
خلاصة صفو المجد من آل هاشم  
امام له في كل مجد ومسؤود  
محمد المهدي بشرى محمد  
به الله احسانا واظهر دينه  
وقد أحرز الدين الحنيفي بالقلب  
والأدعاء الله جل جلاله  
أجاب النسا فالقلب بعد فراقه

وروضتها الزهراء بالفضل والندی  
لغير الوری طه الشافع احسنا  
وأفضل من في الخير راح او اغتنى  
مآثر فضيل ما اجسل وامجنا  
شفيح الوری في الحشر من طاب محتنا  
وأولاه أفضالا ونصرا مؤيدنا  
ودمر جببنا طفی وتمبردا  
لدار بهنا الفوز العظيم مخلصنا  
يدوب آسى والصبر عز وابعدنا

الشيخ ابراهيم شريف الدولاى :

وهو من أسرة الدواليب المروغة في كردفان في غرب السودان درس  
على جده ودوليب ثم هاجر الى مصر والتحق بالأزهر ولما عاد الى السودان  
كانت الثورة المهدية قد نشبت ضد الحكم التركي فرافق المهدي الى  
الابيض عاصمة كردفان عام ١٨٨٢ م . وكان شاعرا أيضا وقد رثا المهدي  
بقصيدة جاء فيها :

كيف التثام فسؤاى الخطـور  
أم كيف ينفك القنى عن مهجة  
أسف على المهدي من مهد الصبـا  
لا زال في كنف العناية يفتدى  
حتى انتهى لقامه الأعسلى الذى  
واقامه المختار عنه خليفة  
ورقى الى كرسية متسنا  
تاقت الى الذات العلية روحه  
فمضى وأودع كل قلب حسرة  
تبكى المساجد والمحارب فقده

ورقوء دمع محاسرى المنجسـور  
أحشاؤها تصلى على نور  
قد كان معصوما عن المنظـور  
بدقائق التبصير واكتنويـر  
عنه انتهى فى حيرة وقصـور  
خلعت عليه سلاسل من نور  
فى مشهد بالأوليا معصـور  
وسعت المقصد مبدؤها المسخـور  
وحشسا الحشى ببلابل وسعير  
ومواطن الأذكار والتسـدكير

ومن قاضيا شرعيا في عهد الحكم البريطانى على السودان وعضوا  
في مشيخة العلماء .

الشيخ عمر الأزهرى :

ولد عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م في قرية الصوفى بالقرب من مدينة  
القضارف في شرق السودان حيث حفظ القرآن ودرس قسرا من الفقه

واللغة العربية ثم رحل الى مصر للدراسة في الأزهر وعندما عاد قام بتدريس مواظنيه وكان شاعرا وله قصيدة نالت إحدى جوائز مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق في الاستانة ثم نقلت الى القاهرة وكان مطلعها :

سلوا عن فؤادي مسيلات الذوائب      فقد ضاع من بين القلوب الذوائب  
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت      ولا كان جفن دمعته غير ساكب

عين قاضيا في المهديّة وكذلك في عهد الحكم البريطاني في السودان وتوفي عام ١٩١٥ م وهو والد الشيخ الصديق الأزهرى العالم العامل المعروف لى مدينة رفاعة عاصمة مديرية الجزيرة .

## ● فقهاء متصوفون

سلك أغلب الرواد السودانيين من متخرجي الأزهر أن لم يكونوا كلهم طريق التصوف متأثرين بأساتذتهم في الأزهر وبمن درسوا مؤلفاتهم من الفقهاء ... والمتصوفين . لم يكن طريق الصوفية في بادئ أمرهم سهلا معبدا فقد تصدى لهم الفقهاء وقام الخسلاف بينهما حتى اضحي عداء مستحكما وصفه العلامة أحمد أمين بنكية النكبات ومصيبة كبرى ولقى المتصوفون أذى وحربا عنيفة الى أن انتصر لهم الامام الغزالي في أواخر القرن الخامس الهجري بكتابه احياء علوم الدين واستطاع أن يسلك طريقا حبيب الفقهاء وأهل السنة في التصوف حيث دعا للحفاظ على الشريعة الظاهرة مدعمة بالنية الحسنة وتطهير الظاهر كتطهير الباطن - لقد كان للامام الغزالي فضل في إزالة العداء بين الفقهاء والصوفية وهذا يعتبر نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر الاسلامي .

وقامت الطرق الصوفية بعد موت الغزالي ١٠٥٩ - ١١١١ م وانتشرت بدرجة كبرى مستمدة قونها من اتجاهاته ونزعته السنية وأسست زواياها وروابطها ومراكز العلم في البلاد الاسلامية كما فعل هو نفسه في بلاده .

كانت الطريقتان الصوفيتان اللتان تسيطران على المجتمع الاسلامي آنذاك هي القادرية ( الجيلانية ) وتنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م والمدفون في بغداد . لقد كان فقيها درس عليه تلاميذه التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول

والبحر وكان يفتي على مذهبي الشافعي وابن حنبل وكانت فتواه تعرض  
على الفقهاء في بغداد فتعجبهم كل الاعجاب .

والطريقة الثانية هي الشاذلية وتنسب الى الشيخ أبي الحسن  
الشاذلي الذي توفي في صحراء عيذاب عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وهو  
في طريقه الى الحج ، كان الشيخ الشاذلي فقيها مالكيا اشتغل بالعلوم  
الشرعية حتى أتقنها كتابة وسنة وتفسيرا وكان يخاطب أتباعه بقوله :

« اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع  
الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى قد ضمن له العظمة في الكتاب  
والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة » .

لقد كان المجتمع المصري يمعج بالفقهاء المتصوفين في عهدي المماليك  
( ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م الى ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م آل عثمان ٩٢٢ هـ /  
١٥١٧ م الى ١٢٥٠ هـ / ١٨٠٥ م ومن قبيل المثال نذكر بعضا من  
النايين (١) منهم ممن كان لهم أثر على المجتمع المصري والسوداني فيما  
بعد وهم الشيوخ :

### تاريخ الوفاة

٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م	عز الدين عبد السلام ويسى بسطان العلماء
٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م	محي الدين النووي
٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م	الإمام البيهقي صاحب البردة
٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م	ابن عطاء الله السكندري
٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م	تقي الدين السبكي
٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م	سراج الدين أبو حفص عمر الملقب
٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م	السراج البلقيني ويعتبر عالم المائة الثامنة
٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م	شهاب الدين بن حجر العسقلاني
٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م	بدر الدين العيني
٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م	جلال الدين السيوطي
٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م	عبد الوهاب الشعراني
١٠٤٠ هـ / ١٦٣٦ م	أبراهيم اللقاني
١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م	أبو عبد الله الخرتي أول شيخ للأزهر

(١) راجع جريدة الأدياء - الجزء الثاني للسيد محمود أبو الفيض وكذلك عصر  
سلاطين المماليك المجلد الثالث تأليف محمود رزق سليم .

وكان هؤلاء جميعهم فقهاء متصوفين . أما أهم الفقهاء الصوفيين (١) الذين درس عليهم أولئك الرواد من متخرجي الازهر ابان الحكم العثماني وتأثروا بهم وحذوا حذوهم عند عدد منهم لبلادهم فهم :

### تاريخ الوفاة

الشيخ زكريا الانصارى ويعتبر خاتمة فقهاء العصر ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م  
الملوكى

شمس الدين اللقانى

ناصر الدين اللقانى

عبد الرحمن الاجهورى

محمّد البنوفرى ٩٩٨ هـ / ١٥٩٠ م

أحمد محمد العدوى الملقب بالدردير كان شيخا ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م

للمالكية ويوصف بأنه امام وقته وعصره

الشيخ الامير ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م

وهناك فقهاء متصوفون درس عليهم السودانيون فى الازهر فى العصر الحديث الذى تلا الحكم العثمانى نذكر منهم مفتى المالكية الشيخ محمد عيش والشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الازهر ومصطفى الحصاوى وغيرهم .

لقد كان أولئك الرواد كاساتذتهم فى الازهر فقهاء صوفيين يتبعون للطريقة الشاذلية أساسا ويرى أن الطريقة الشاذلية كانت أول طريقة دخلت السودان على يد الشريف حمد أبى دثانه صهر محمد بن سليمان الجزولى داعية الطريقة الشاذلية فى المغرب والمتوفى ( من حوالى ١٤٦٥ م ) وذلك قبل قيام سلطنة سنار الإسلامية ١٥٠٤ م وهى بذلك قد سبقته الطريقة القادرية (الجيلانية) التى دخلت السودان على يد الشيخ تاج الدين البهارى الذى قدم السودان فى حوالى ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م .

ويقينى أن الطريقة الشاذلية انتشرت فى السودان أساسا بفضل أولئك الرواد من الفقهاء الذين درسوا فى الازهر وإذا رجعنا الى كتاب

(١) راجع جبهة الأوفياء الجزء الثانى للسيد محمود أبو الفيض وكذلك

عصر سلاطين الماليك المجلد الثالث تأليف محمود رزق سليم .

طبقات ود ضيف الله توجدها في سير كثير من الفقهاء ما يدل على انهم كانوا ينتسبون الى الطريقة الشاذلية . ومهما يكن من أمر ، فقد عرفنا عن الطريقتين الشاذلية والقادرية ( الجيلانية ) انهما تسييران على هدى الكتاب والسنة ولهذا كان أثر أولئك الرواد الفقهاء المتصوفين واضحا على المواطنين اذ انهم ارسوا قواعد التصوف التي ، التي تدعو له الشاذلية والقادرية وكانوا بذلك واضعي هذا التقليد السليم الذي لم يدع مجالا للمعوضة او النصب والعداء بين الفقهاء والمتصوفين كما هو الحال في بعض البلاد الاسلامية .

لقد انشا الشيخ محمود العركي عدة مدارس على النيسل الأبيض في النصف الأول من القرن السادس عشر على غرار الزوايا والروابط التي يقيمها المتصوفون حتى اضحى النيل الأبيض كعبة لطلاب العلم والدرس ولكنها دمرت جميعها في عام ١٦٨٤ على يد قبائل الشلوكة الجنوبية والشيخ محمود كان أول سوداني تذكره الوثائق درس في الأزهر على نحو ما ذكرنا وكان فقيها صوفيا وقد درس على أساتذة صوفيين في الأزهر . كذلك كان أولاد جابر أقطابا وأولياء وهذه هي الغاية الصوفية ولعل الإحادة التي منحها الشيخ عبد الرحمن بن جابر لتلميذه إبراهيم ولد رابعة وما حوته من نعمت والقب تشير بوضوح الى الأثر الصوفي والطريق الذي كان يسلكه الشيخ عبد الرحمن وما كان يطلبه من تلميذه أن يكون مربيا للمريدين وقبوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين .

انني لا أشك مطلقا بان الشيوخ الفقهاء محمود العركي وأولاد جابر كانوا صوفيين ينتسبون الى الطريقة الشاذلية على نحو ما كان عليه أساتذتهم في الأزهر .

كذلك كان الشيخ عبد الله العركي ( ١٥٧٠ م ) شيخ الطريقة القادرية ( الجيلانية ) في السودان وعميد أسرة العركيين المعروفة في الجزيرة في الاقليم الأوسط عالما صوفيا وكان ينشر للطريقة القادرية بروح العالم الفقيه وكان ينادي في قومه واتباعه ويحذرهم الا يخوضوا في مسائل التصوف دون دراية الا بعد أن ينالوا قدرا كبيرا من العلم وكان يتخذ لنفسه طريقا مرضيا لأهل الفقه والتصوف اذ كان ينأى بنفسه عن شطحات بعض المتصوفين ويعتبر الشيخ عبد الله العركي أحد الذين ارسوا قواعد التصوف السني ونجد أثر ذلك الاتجاه عند قومه العركيين المتصوفين اذ يشترطون على اتباعهم أن من لا يحفظ مختصر

خليل عن ظهر قلب لا يولى شيخة الطريقة القادرية . والشيخ عبد الله سافر الى الحجاز وأخذ يدرس لطلاب في مقام الامام مالك عدة سنين ثم عاد الى بلاده بناء على رغبة أهله ، ثم تقف رسالة هذه البيوتات الدينية على نشر الاسلام وتعليم الناس امور دينهم بل كانوا موثلا للفقهاء والضعفاء وكان يستجيب بهم الناس وقت الشدة والضيق كما عملوا على توحيد الناس وتآلفهم وأصبح كل فرد في الطريقة أخا للأخر مما أضعف الرابطة القبلية الهمجية التي أثرت على العلاقات بين الناس. وقللت من حدة الصراع والخلاف بين القبائل فيما بينها وربطت الناس على أسس دينية قومية أوسع وأشمل من القبيلة .

وتكن ران على السودان في أواخر عهد سلطنة سنار جيسو من الاضطراب والفوضى فنشبت الحروب والغارات القبلية وانفرط عقد الأمن وأصبح الطريق الى مصر وعرا لا يأمن المسافر فيه على نفسه وسدت بذلك أمام المواطنين منافذ الهواء النقي الصالح الذي يأتيها من مصر ومع ما نتج من حالة البؤس والفقر نفى الدجل والشعوذة .

ورغم أن ذلك ووسط ذلك الجو المضطرب كانت مدارس العلم التي أنشأها أولاد جابر أولئك الرواد من متخرجي الأزهر تقوم بدورها خير قيام وقد شهد بذلك الرحالة السويسري بوركهاردت (١) ( ١٧٨٤ - ١٨١٧ ) الذي زار السودان عام ١٩١٣ ولاحظ كيف كان الأهالي في منطقة الشايقية يقبلون على تلك المدارس وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والرياضيات والفلك كما لاحظ أن كثيرا من أبناء القبائل المجاورة يفدون الى تلك المدارس حيث يقضون فيها هناك عشر سنوات أو أكثر في تحصيل العلم ويقوم المواطنون هناك بإيوائهم وإطعامهم كما لاحظ ما كان يلقاه العلماء من احترام وتجلة من مواطنيهم وأن كثيرا من الأهالي يعرفون القراءة والكتابة .

كذلك لاحظ عندما سافر جنوبا الى بربر والدامر أن طلابا كثيرين من دارفور وكردفان وسنار يقصدونها لتلقى العلم في مدارسها وتوسع في ملاحظاته عن الدامر حيث (٢) أعجب بمعاملة أهلها ونظامهم وطباعتهم ووصف الدامر بأنها بلدة نظيفة ذات شوارع منظمة يسودها الأمن والطمأنينة ولم يحاول أحد أن يجبي منه اقاوة أو أن يرهقه في بيع أو

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٣٣ .

(٢) عبد المجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٦٢ .

شراء ورأى البلدة يسودها جو من التقوى والصلاح وعلم أن الفضل في ذلك يرجع إلى أن الرئاسة والسيادة في الدامر لرجسال الدين الذين ينتمون جميعا إلى أسرة المجاذيب نسبة إلى الشيخ حمد بن محمد المحذوب. وكان علماء المجاذيب قد تلقوا تعليمهم إما في الأزهر أو مسكة وهم ينتسبون إلى الطريقة الشاذلية المجدوبية .

وكذلك كانت بقية الخلاوي والمدارس في توتي والعليفون والجزيرة والنيل الأبيض حيث كان على رأسها علماء متصوفون ينشئون على نفقتهم أو يشترك معهم في الاتفاق عليها أهل البلدة جميعا ولذلك لم يكن التعليم الديني في السودان منذ عهد سلطنتي سنار ودارفور إلى العهد التركي وإلى ما بعد ذلك تحت إشراف السلطة الحاكمة أو أي إدارة نظامية وإنما كان يقوم به الفقهاء أو الجماعات تطوعا وإحسانا وكتفى ملاطين سنار وولاية العهد التركي من بعدهم بتقديم بعض من التسهيلات واقطاع الفقهاء اقطاعيات لهم للعيشة والمأوى .

وعندما قامت المهديّة ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ) أحرقت الكتب ولم تبق إلا على القرآن والصحيحين وأحياء علوم الدين للغزالي وكتب الشعراني وتفسير البيضاوي والجلال السيوطي وأبطلت بطبيعة الحال الطرق الصوفية .

وعلى الرغم من أن فترة المهديّة كانت فترة حروب وجهاد إلا أن خليفة المهدي عبد الله شدد على الناس لحفظ القرآن أو ذلك القدر من سورة ما يؤدون بها الصلاة وعكف الناس على القراءة والكتابة وحفظ القرآن حيث كان الجدد يدرس مع حفيده وأولده مسج أبيه وانتشرت مدارس القرآن في كل أنحاء البلاد وبلغ عددها في أم درمان عاصمة البلاد وحدها آنذاك ثمانمائة (١) .

وعندما سقطت دولة المهديّة في عام ١٨٩٨ واستتب الأمر لبريطانيا أعادت الطرق الصوفية إلى ما كانت عليه وشجعت قيامها مثل ما فعل محمد علي باشا قبل ذلك فقد شجع بعضا من الطرق الصوفية للنزوح إلى السودان كالطريقة السعدية والرحمانية والبرهانية . وأخذت تقضي



رويدا رويدا على نظام الخلاوى والمدارس الدينية باعتبارها مؤسسات  
لدعو للتعصب الدينى وحلت محلها الكتاتيب والمدارس النظامية والتي  
لم يقبل الطلاب عليها فى بادئ الأمر بل كانوا ينظرون اليها كمراكز  
للتبشير وكان بعض من الأهالى يرفضون فتح مدرسة فى بلدتهم بسبب  
يعتبرونها كنيسة (١) لا مدرسة ونسوق مثالا لذلك أهالى جزيرة مقرات  
فى شمال السودان •

---

(١) نفس المصدر - ص ٨٣ •

## ● المرأة السودانية والتعليم الدينى قديما

أما عن تعليم المرأة فقد حرص أولئك الرواد من علماء السودان على تعليم البنات أسوة بالولد وكانت خيلاوى القرآن فى الشمال والجزيرة وسواكن وأرض البجا وكردفان ودارفور تجمع بين البنات والولد تعليما مختلطا ويروى أن أكثر تلاميذ العالم السودانى الشيخ حمد بن محمد بن على المشيخى المعروف بـ «أم مريوم» (١) (١٠٥٥ هـ - ١٦٤٥ م) والمتوفى ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م - من النساء حيث أن أتباعه يذكرون فى مدحه أنه علم نساء قبيلة فزارة وجعل منهن عالمات وفقهات فى الدين . وكان فى مقدمة الدارسين أولاد وبنات أولئك العلماء حيث نجد كل نساء البيوتات الدينية يحفظن قدرا من القرآن إن لم يكن كله ويعرفن شئون دينهن معرفة تامة ومنهن من تعمقت فيه وظل هذا التقليد معمولاً به منذ ذلك العهد .

ويسجل التاريخ أسماء نساء كثيرات فتحن المدارس وأخذ العلم عليهن كثير من الناشئة بنين وبنات وتسوق مثالا لذلك :

فاطمة بنت جابر أخت أولاد جابر العلماء الأربعة الذين درسوا فى الأزهر والذين كان لهم أثر واضح فى الحياة الدينية فى السودان كما ذكرنا آنفا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى وتوصفت فاطمة هذه بأنها كانت نظيرة لأخوتها فى العلم والدين وقد حفظت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة وكانت تقوم بتعليم الصبيان فى مسجدتها بالدفار فى دنقلا

وتنفق عليهم من مالها وقد ولدت العالم السوداني محمد بن سرحان المعروف بصيغريون والذي هاجر من دنقلا جنوبا فأنشأ مدينة علمية بالقرب من شندى عرفت بقوز العلم والتي أصبحت منارة للعلوم الإسلامية في منطقة الجعليين كذلك كانت بنتها آمنة وكانت عالمة كأماها كما كانت لآمنة ابنة عالمة أيضا اسمها قوته وكلهن مارسن تعليم الصبيان والبنات وتخرج على أيديهن من ذريتهن علماء نابهن فعضوا برسالة العلم في دنقلا وشندى وإقليم الجزيرة .

وهناك أيضا عائشة بنت محمد القدال بن إبراهيم المعروف بالغرضي وقد درس جدها الغرضي على عبد الرحمن حمدتو الذي درس في الأزهر على الشيخ البنوفري . وكان والدها وجدها عالمان يشار إليهما بالبنان .

لقد كانت لعائشة هذه مدرسة على النيل الأبيض لتعليم الصبيان بنانا وأولادا ومن بين من درس عليها الشيخ خوجلي العالم السوداني المعروف المتوفى عام ١١٥٥ هـ - ١٧٤٢ م والذي ورد ذكره وذكر أبيه الشيخ عبد الرحمن الذي درس على الشيخ علي الاحمدي في مصر .

ونذكر أيضا بقول الطيشة (١) والدة الشيخ هجو وأخت الشيخ يعقوب جد أسرة اليعقوباب المشهورة بالعلم والتصوف وهو تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذي درس في الأزهر على الشيخ البنوفري وكانت لها مدرستها الخاصة بها في سنار لتعليم الصبيان وعرف عنها حفظها للقرآن وتجويده كما كانت ناسخة ماهرة للكتب مما زاد من شهرتها وعلو صيتها وكان في البلاد علماء وبيوتات تضطلع بمهمة نسخ الكتب بغرض البيع أو التبرك .

كما ظهر نساء أخريات في أوقات متفاوتة نذكر منهن أمونة (٢) بنت عبود في دنقلا التي تحدث عنها العلامة رفاعة رافع الطهطاوي وذكر أنها كانت تقوم بإقراء القرآن الشريف والمنتون وإدارة مكتبتين أحدهما للعلمان والثاني للبنات وكانت تنفق من كسبها بغزل القطن وتشغيله وكان منزلها كالتكية للمفقرات والقاصدين بيت الله الحرام .

وكان في قرية شريكه في كردفان سيدتان هما عائشة (٣) وآمنة -

---

(١) من مقال للاستاذ الطيب محمد الطيب - نساء سودانيات شاركن في صنع

التاريخ - الكواكب المصرية .

(٢) و (٣) د - عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان - ٢ ص ٤٦

انقطعتا لتعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم في مسجد انشأناه خصيصا  
لهذا الغرض .

وفي قرية البشاقرة غرب على بعد حوالي ٥٠ ميلا جنوب الخرطوم  
كان بعض نساء القرية يعلمن الناشئة القرآن الكريم وقد لبغت منهن  
الجاز بنت اسماعيل حفيدة الفقيه محمد راد الله متخرج الأزهر وهو حفيد  
الشيخ العالم أرباب بن عون المعروف بأرباب العقائد مؤسس مدينة  
الخرطوم وكانت تحفظ القرآن ومختصر خليل وتقرأ للفقيه المحدث التابع  
ابن سيرين .

وكانت هناك في أرض الخلاوين بالجزيرة أم كلثوم بنت القرشي ابنة  
القرشي ولد الزين شيخ الامام المهدي وكانت تقيم داخلية لايواء البنات  
الطالبات حيث لا تغادر البنت الداخلية الا بعد ان تحفظ القرآن .

لقد ازدهرت خلاوى القرآن على طول السودان الشمالى وعرضه  
وكان للنساء نصيب كبير في نشر العلم في ربوع البلاد كما ذكرنا وما  
يجدر ذكره ان مدارس القرآن في السودان عرفت التعليم المختلط منذ  
عهد بعيد فقد كان الصبيان ... بنين وبنات ... يدرسون جنبا الى جنب  
ثم يتفرون بعد ذلك لمواصلة التعليم عندما يبلغون سن المراهقة .

## ❶ الشعر السوداني

### ١ - في عهد سلطنة سنار :

بدأ الشعر العربي في السودان صوفي النزعة والإنجاء فقد كان ذلك « الشعر (١) في بواكيره وليد بيئة صوفية متدينة ذات حظ غير كبير من التنوع الثقافي » وكانت تغلب عليه اللغة العامية ولكنه في مضمونه اكتملت فيه كل عناصر الشعر الصوفي من حيث المديح في الرسول ووصف مناقبه ومكارم أخلاقه وغزواته والدعوة إلى الزهد والتقشف والتحل بالآخلاق الحميدة وكان شعراء ذلك العهد - عهد سلطنة سنار - هم رجال الدين والتصوف أنفسهم ومهما يكن من شيء « فادباء (٢) الصوفية هم الذين رجموا تاريخ الأدب العربي من تلك الوصمة وصمة التزلف بالمديح إلى الملوك والرؤساء والأمراء .. وهم الذين جعلوا السلامة من باب السلطان كالسلامة من باب الطبيب وكانت عندهم سلامة الأرواح فوق سلامة الأبدان ... وهم الذين عطروا الأدب العربي بأريج الكرامة والعزة والصيانة والعفاف وهم الذين وصلوا المشرق بالمغرب وحفظوا الاسلام بأذاعة المعاني الروحية والنوقية ... » .

ولم يبق لنا من شعر ذلك العهد الشيء الكثير الا قصيدة العالم الصوفي الشيخ فرح ود تكتوك المتوفى عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤ م والتي تحمل نفس تلك المعاني السامية التي تبعد الناس عن التزلف والتمسح بالسلطين وقد بدأها بقوله :

(١) د. احسان عباس - الشعر السوداني - نظرة تقييمية نقلا عن أصول الشعر

السوداني - عبد الهادي حديق ص ٨٠ .

(٢) نقلا عن التصوف الاسلامي ، د- دكي مبارك ج ١ ص ٣٢٨ .

يا واقفا عند أبواب السلاطين      ارفق بنفسك من هم وتحزين  
تأتي بنفسك في ذل ومكنسة      وكسر نفس وتخفيض وتهوين  
إذا كنت تطلب عزاً لا فناء له      فلا تقف عند أبواب السلاطين

ثم أخذ شعر المديح يرتقى وتطلب عليه العامة في آخر العهد  
التركي والمهدية وظهر شعراء نوابغ مثل قنوره وود تميم واب كساوى  
وحاج اساحى وود سمسد واب شريعة وغيرهم وكانت مدائحهم حافلة  
بالفردات والكلمة المعبرة والمادة التاريخية والفقهية مما يبرهن على  
علو كمهم في العلم والدين والتاريخ الاسلامى كمن سبقوهم في هذا  
المضمار ابن العارض والنايسى والبرعى .

## ٢ - في العهد التركى

أما الشعر في العهد التركى فيمثل بداية لمرحلة جديدة لشعر  
عربى فصيح ذى اتجاه دينى صوفى ينصرف فى الغالب الى المديح النبوى  
وشعراء هذه الفترة من العلماء الذين تلقوا تعليمهم فى الازهر الشريف  
وعادوا الى السودان للعمل بالتدريس والقضاء الشرعى . لقد كانت  
بداية الشعر العربى الفصيح فى السودان على يد هذه الفئة من العلماء  
الذين تلقوا تعليماً دينياً ولغوياً فى الازهر ويؤرخ أحمد الأدباء (١)  
السودانيين ان بداية الشعر الفصيح تلك تقع ما بين عام ١٨٦٠ الى  
بداية الحرب العالمية الأولى أى بعد أربعين سنة من قيام الحكم التركى  
فى السودان ولم تكن اللغة العربية حتى ذلك الوقت لغة مصر الرسمية  
الى أن أصدر الخديوى اسماعيل قراراً بأن تصبح اللغة العربية لغة البلاد  
الرسمية بدلاً من اللغة التركية فى شوال ١٢٨١ هـ / ١٨٧٠ م وقد  
كان هذا القرار ذا مغزى سياسى فى مصر والسودان بل والعالم العربى  
من الوجهتين الأدبية والاجتماعية وفتح منافذ للغة العربية لتنمو وتنتشر .

لقد علق أحد الأدباء السودانيين على الشعر فى العهد التركى  
بقوله :

\* فشعر (٢) العلماء اذن وهو بداية الشعر الفصيح فى السودان  
لم يكن تطوراً طبيعياً للشعر الشعبى شعر البطولة والغروسية الى التعبير

(١) د. محمد ابراهيم الشوش - الشعر الحديث فى السودان .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

باللغة الفصحى وإنما هو شعر أفراد قلائل هيأت لهم ظروفهم الفردية اتصالاً بالخارج وتعلماً ازهرياً دينياً مكنهم كل ذلك من نظم هذا الشعر وهو شعر فقهي وليس فيه من مظاهر القومية إلا تلك المسحة الصوفية التي أشرنا إليها . . .

إن الشعر (١) السياسي في هذه الحقبة قليل ومع قلته يصور الأحداث الشيرة داخل السودان ولكنه أعرب إلى حد ما عن رضاء العلماء من الحكومة وشاطر مصر الشقيقة في ثورتها العراقية فوضع اللبنة الأولى للكفاح المشترك بين الشعبين السوداني والمصري وهذا الشعر القليل يحمل خصائص لم يعرفها شعرونا من قبل .

لقد ارتفع (٢) الشعر في ذلك العهد في مستواه عن شعر سلطنة سنار إذ تحققت فيه طرد كبير سلامة اللغة وصحت التراكيب وارتقى عن أسبقته من حيث العبارة والفكرة والتسم في مجمله باستقامة الموسيقى وإن لم يخل من اضطراب .

### الشعر في المهديّة :

تطور الشعر في هذه الفترة الوجيهة وكان أبرز شعرائها هم من متخرجي الأزهر الذين وردت أسماؤهم آنفاً في دراستنا عن سيرهم وقد ذكرنا نماذج من أشعارهم لتلقى ضوءاً على ما كان عليه الشعر آنذاك حيث كان بطبيعة الحال شعر حرب ولوعة وحماسة وبطولة ومدح للمهدي وقواده وظهرت شخصية الشاعر السوداني مستقلة متفردة ولعله من المناسب أن نذكر هنا أبياتاً من قصيدة للعالم السوداني الشيخ محمد الطاهر المجذوب وهو من أسرة المجاذيب ذات الأثر الكبير في السودان لذيوع صيتها آنذاك ولأنها تصف بعضاً من معارك الثورة المهدية في هندوب وهشيم وسواكن في شرق السودان وتتغنى بانتصاراتهم على الجيش البريطاني ويقال أنه ارتجلها ارتجالاً .

(١) محمد محمد علي - الشعر السوداني في المارك السياسية ٩٨ -

(٢) عز الدين الأمين - تراث الشعر السوداني ص ٧٦ .

كيف ارتكبتنسا للمصائب  
 كيف أدعنا للمصائب  
 صيد الغنم للثعالب  
 كالرعد اذا ما المزن صائب  
 انا لدى الهيجا نفسارب  
 وقع الصواعق في الضارب  
 نبلى العجائب والغرائب  
 كالليث اذ نشب الخسائب  
 منها العساكر والكتائب  
 بل يسرة من كل جانب  
 ترى بهم رمى الثواقب  
 فوق العمائم والعصائب  
 بين مصر تكتبها الجوائب  
 في شانه تلقى المعاطب

هندوب تعرف صبرنسا  
 وهشيم تشهد عزمنا  
 يا طسالا صدنا بها  
 جيشنا يرون سلاحه  
 وسواكن تدرى ينسا  
 بالشرقى كأنه  
 زمنا وصدنا نحسوها  
 وتسير في أرجائنا  
 ولطانا برزت لنا  
 من كل فج يهنة  
 فتجساذبتهم خيلنا  
 والبيض تلعب فيهم  
 حتى أتت أخسارنا  
 نحى لسدين الله بسلا

ويلاحظ هناك إشارة في قصيدته الى مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق في مصر وقد كانت تعنى كثيرا بأخبار السودان وكانت تنشر مقالات وقصائد لهم وكان مكاتبها في السودان الشيخ محمد عثمان حاج خالد وهو من أسرة العراب المعروفة وحفيد الشيخ حامد بن الفقيه سليمان المعروف باللين وهو أول من أحضر من مصر شرح عبد الباقي على خليل والشرابخي على العشماوية والشيخ محمد عثمان والد الاستاذ الدرديري القاضي أحد أقطاب الحركة الوطنية في السودان وعضو مجلس السيادة التي حل محل الحاكم العام البريطاني وقد أرسل الخليفة عبد الله الشيخ محمد عثمان سفيراً له لدى الامبراطور منليك عاهل الحبشة آنذاك واستطاع ان يبرم اتفاقية دفاعية بين السودان والحبشة عام ١٩١٥ / ١٨٨٩ م .



## ● فيروز الأزهري أبان الحكم البريطاني ( ١٨٩٨ - ١٩٥٥ م )

كانت بريطانيا منذ ان جشمت علي صدر مصر عام ١٨٨٢ م تعسف  
العدة لاحتلال السودان ليكتمل به مخططها وليكون تحت قبضتها الطريق  
ممتدا من مصر الي الكاب في جنوب افريقيا - كان الخديوي توفيق قد سد  
سرح الجيش المصري في ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ بأمر الغزاة البريطانيين  
وذلك بعد ستة أيام من معركة التل الكبير التي هزم فيها الثوار المصريون  
وكون جيشا مصرية جديدا يدربه ويقوده ضباط بريطانيون . وأمام الصراع  
الدولي المحموم والسباق نحو استعمار افريقيا وخوفا على الا يؤدي احتلال  
السودان الي مضاعفات ومشاكل دولية بين بريطانيا ومنافسيتها القسوية  
فرنسا بالذات سمرت بريطانيا حملة لغزو السودان باسم مصر باعتبار  
السودان كان جزءا من ممتلكات الخديوي - وسميت « حملة استرجاع  
السودان » وكان السودان انذاك يخضع لحكم الثورة المهدية  
( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م ) وعين القائد العام للجيش المصري الجنرال البريطاني  
السير هيربرت كتشنر قائدا لحملة الغزو يعاونه ضباط بريطانيون كبار  
وآخرون مصريون وسودانيون وكانوا جميعهم يعتبرون تابعين لخديوي  
مصر وكان الجنود كلهم مصريين مع فرقتين سودانيتين دربتا في مصر  
خصيصا لهذه الحملة .

وكان كلما تم للجيش الفاتح احتلال مدينة أو منطقة يرفع عليها  
العلم المصري واستمرت الحملة بطيشة عامين من الزمان وفي المعركة  
النهائية الفاصلة في أم درمان عاصمة البلاد الحقت فرق بريطانية بالحملة

وفي ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ تم لها النصر النهائي على حكومة الثورة السودانية عقب معركة فاصلة وبعد مقاومة شهد التاريخ قليلا مثلها مما سجله الضباط البريطانيون الذين اشتركوا في المعركة او المراسلون الحربيون المرافقون للجيش الفاتح وكان النصر حقيقة حليفا للسلاح الفتاك الذي استخدم واخترع ليستعمل خصيصا في هذه الموقعة وهو مدفع المكسيم السريع الطلقات .

توجه قائد الفتح الجنرال كيتشنر الى الخرطوم ورفع العلم طائى والمصرى ولأول مرة على أنقاض السراى الذى كان يحكم <sup>سدان</sup> غردون باشا البريطانى الجنسية باسم حديوى مصر قبل ثلاث سنين عاما منذ ذلك الوقت وكان الثوار السودانيون قد قتلوا غردون هذا عندما سقطت الخرطوم في أيديهم فجر ٢٦ يناير ١٨٨٥ .

أملت بريطانيا على مصر اتفاقية في يناير ١٨٩٩ ليحكم بمقتضاها السودان عرفت باتفاقية الحكم الثنائى - بريطانيا قسلا ومصر اسما : وكان قد ابتدع فكرتها اللورد كرومر ( ايفلن بيرنج ) معتمد بريطانيا وقنصلها العام في مصر والذي كان يحكم قبضته على الادارة في مصر وهو من عائلة بيرنج البريطانية ذات الثراء والجاه العريض في بريطانيا - وعرف السودان منذ ذلك الوقت بالسودان الانجليزى المصرى وعين كيتشنر قائده حملة الفتح حاكما مطلقا على السودان .

لقد لقيت تلك الاتفاقية معارضة شديدة في مصر باعتبار السودان أرضا مصرية وليس لبريطانيا حق في المشاركة في حكمه وخرجت جريدة اللواء بمقال صارخ لمصطفى كامل في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٠٠ يعرب فيه عن سخطه وسخط طبقة على الاتفاقية ونظراته للسودان باعتباره جزءا من ممتلكات مصر ويرد اللورد كرومر (١) مبتدع الاتفاقية بقوله : -

انجلترا وليست مصر هي التى قامت فعلا بفتح هذه البلاد - صحيح ان خزانة مصر تحملت الجزء الاكبر من عبء مصروفات الغزو وان القوات المصرية بقيادة الضباط البريطانيين ساهمت بجزء مشرف من مجهود الحملة - الا انه من الصحيح أيضا انه خلال فترة الاعداد وتنفيذ السياسة كانت القيادة الاعلى والطولى لبريطانيا ولذلك فاته من السخط الارعاء

(١) محمد عمر بشير - تاريخ الحركة الوطنية في السودان ص ٢٩ .

بأنه كان يمكن للحكومة المصرية إعادة فتح السودان دون مساعدة بريطانية بالرجال والمال والقيادة العامة ومن ثم فإن ضم الأراضي المستعمرة لـإنجلترا له ما يبرره إلى حد ما .

وكان الخديوي عباس حلمي (٢) قد زار السودان وفي احتفال كبير أعد له في الخرطوم مساء ٤ ديسمبر ١٩٠١ ألقى كلمة قصيرة يرد فيها على كلمة ترحيب من الحاكم البريطاني وقائد الجيش المصري جاء فيها : - « .. العلمان الانجليزي والمصري اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما إشارة إلى الحكومة المشتركة التي أخذت على عاتقها حماية الأهالي من الوقوع في شرك أهل الظلم والفساد وابتداء عصر هدوء وسعادة في هذه الديار » .

لم تعط الاتفاقية بريطانيا حق مشاركة مصر في حكم السودان بل أعطتها كل الوصاية على السودان فانفردت بحكمة واعترفت لمصر بحقوق اسمى في السيادة على السودان . وهكذا أصبح كل وادي النيل مصر والسودان في قبضة بريطانيا تحكمه عن طريق المعتمد البريطاني في مصر والذي كان حاكم السودان البريطاني مستولا لديه . . . . .

وانتقل الجيش المصري بكامل هيئته إلى السودان وقائده العام هو حاكم السودان العام البريطاني واستمر الحال على ذلك حتى عام ١٩٢٤م حيث اغتيل في مصر السير لي ستاك حاكم السودان وقائد الجيش المصري وتحركت بريطانيا لتملي على مصر شروطا قاسية على رأسها طرد الجيش المصري والمصريين من السودان .

عكفت الإدارة البريطانية الاستعمارية تبني أجهزتها وكان على رأسها حاكم بريطاني منحه الاتفاقية سلطات مطلقة في حكم البلاد يعاونه شلة من البريطانيين في كل المراكز الكبرى ويعمل تحت أمرتهم ضباط وموظفون مصريون .

كانت الإدارة الاستعمارية تعلم عام اليقين ان البلاد التي ستحكمها ذات نزعة دينية شديدة وفجرت ثورة فريدة في التاريخ الحديث ووقف أهلها يبايعون المهدي قائد الثورة على ترك الدنيا للآخرة وأقاموا حكما ثيوقراطيا مدة ثلاثة عشر عاما ولذلك كانت حذره كل الحذر ألا تقع

---

(٢) تدمم شفيق - جغرافية وتاريخ السودان - بيروت ص ١٢٢٨ .

فيما يمس عواطف الناس ومشاعرهم الدينية ولكنها كانت تضرب بكل قسوة أى تجمع ديني ينهض مناوئاً لهم .

لقد أتت الآثار الاستعمارية لتقيم دولة علمانية بدلاً من الدولة البشوقراطية التي كانت قائمة آنذاك فُلجأت إلى سن القوانين المدنية وإقامة المحاكم المدنية إلى جانب المحاكم الشرعية التي تختص في نصرة قضايا الأحوال الشخصية .

ومى التعليم تركت الخلاوى والزوايا الدينية كما هي وفتحت المدارس النظامية ليدرس فيها التلاميذ المواد العلمية كالحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم العامة مع قليل من سور القرآن والعلوم الدينية لتصبح غلبة التعليم العلماني على الديني هو أساس التعليم في السودان فقد كان النوردر كرومر صاحب القبضة الحديدية على وادي النيل آنذاك يخشى أن ذلك النوع من التعليم الذي كان يقوم أساساً على دراسة القرآن من شأنه أن (١) يثير الحماس الديني .

استعانت الإدارة البريطانية في السودان في مجال القوانين بخبرتها وتجاربها في الهند وبنظام التعليم بما كان يجري في مصر وتركت مهام التدريس والقضاء الشرعي للمصريين كما كونت لجنة استشارية من علماء السودان لتقدم لها النصيح في كل ما يتعلق بالشئون الدينية والتعليم الديني في البلاد وهنا في مجال التدريس والقضاء الشرعي يتجلى أثر العلماء المصريين من متخرجي الأزهر ودورهم المحدود المقدر في وضع أسس النهضة العلمية في البلاد وكذلك دور رفقاتهم من العلماء السودانيين في اللجنة الاستشارية التي كونها الحاكم البريطاني كما ترى في الفصول القادمة وتبدأ بكلية غردون التذكارية وهي المؤسسة التعليمية الرئيسية التي تخرج فيها قادة السودان فيما بعد .

### كلية غردون التذكارية :

كان كشمير قائد حملة الغزو وسردار ( القائد العام ) الجيش المصري قد توجه للشعب البريطاني لإنشاء كلية علمية تحمل اسم

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان من ٦٥ -

الجنرال البريطاني غردون الذى كان يحكم السودان باسم الخديوى تخليدا له كأحد بناء الامبراطورية البريطانية وكشهيد ضحى بدمه من أجل بريطانيا اذ قتله ثوار السودان فى الخرطوم فى صبيحة ٢٦ يناير ١٨٨٥ وتوالت التبرعات من شتى الأصقاع ووضع اللورد كرومر معتمد بريطانيا فى مصر وحاكمها الفعلى حجر أساس الكلية فى الخرطوم باسم الملكة فكتوريا فى يناير ١٩٠٠ وافتتح مبانيها اللورد كتشتر رسميا عام ١٩٠٢ وأطلق عليها كلية غردون التذكارية وتبنى أن يركز عليها التعليم النظامى فى السودان الذى من شأنه أن يلبي حاجات السودانيين تحت اشراف بريطانيين لخلق طبقة منهم ترتبط فكريا ببريطانيا كما كان يرى أن قيام هذه الكلية سيعطى بريطانيا المركز الأول فى أفريقيا كقوة حضارية .

كذلك أفصح اللورد سالسيورى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك فى الاجتماع الكبير الذى عقد لاختيار لجنة تنفيذية تشرف على تنفيذ مشروع الكلية بقوله :

« ان هذا المشروع فرضته علينا التزاماتنا الامبراطورية فهو محاولة لازالة ما بين الشعوب من حواجز واقامة رابطة من المعاونة الفكرية ونشر الثقافة الانسانية » .

وهكذا اكتملت لبريطانيا فى السودان كل مقومات الحكم وقيام ادارة حديثة قوانينها مستمدة من قوانين الهند ذرة انتاج البريطانى كما كانوا يطلقون عليها كما وضعت أسس التعليم فى خدمة النظام وكان على رأس الادارة نخبة متمرسة من الضباط البريطانيين فى أول الأمر استبدلوا بأخرين مدنيين فيما بعد .

غير أن الارتباط التاريخى الأبدى والروحى الذى يربط السودان ومصر كان له اثر أكبر وأقوى من تلك المخططات والنوايا فعاملى النغسة العربية والدين والتاريخ المشترك جعل من الشعبين أخوة وذوى قرى هذا فضلا عن ان الشعبين كانا يقعان تحت وطأة الحكم الاستعمارى البريطانى ولذلك فإن كل محاولات بريطانيا وسياستها التى كانت تقوم على أساس التفرقة بين السودان ومصر قد باءت بالفشل التام .

لقد استأثرت بريطانيا بكل شئ فى حكمها السودان فشغل البريطانيون كل الوظائف الكبرى وتركوا لمصر وظائف المأمير الذين يعملون

تحت امره رؤساء بريطانيين وكذلك القضاء الشرعي وتدرّس اللغة العربية والدين في المدارس النظامية وكلية غردون بالذات .

وكان من حسن التوفيق ان الامام محمد عبده ذلك المصنح الديني والوطني الكبير قد عاد الى مصر من منفاه عام ١٨٨٩ بعد اشتراكه في الثورة العرابية وعين مفتيا للديار المصرية وقد اعتمدت عليه الادارة الاجنبية في السودان لاختيار قضاء الشرع والمعلمين المصريين للسودان .

وتقتضي الأمانة التاريخية ان نقل ماكتبه (١) اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة عن الامام محمد عبده مقارنة به مع آخرين من علماء مصر آنذاك .

• كان الشيخ محمد عبده عالما من نوع آخر واني لأضيف نوعا متميزا عن زملائه الذين وصفتهم آنفا . كان الشيخ محمد عبده أحد القوى القائدة في حركة عرابي وعندما اتيت الى مصر عام ١٨٨٣ م كان في محنة ومثلوم الصيت ولكن توفيقا ذا الطبع السمج عفا عنه أثر ضغط بريطانيا فعين قاضيا وادى مهمته تلك باقتدار ونزاهة . كان الشيخ محمد عبده صاحب أفكار عريضة متنورة وكان يعترف بالتجاوزات التي نشأت في ظل الحكومات الشرقية وكان يدرك ضرورة المساعدة الأوروبية لعملية الإصلاح بيد أنه لم يكن لينتمى لذلك النوع من المصريين المتفرنجين الذين كان يرى فيهم صورة سيئة للأصل . كان ضد الحديوي وضد الباشوات وليس معنى هذا أنه كان يعترض على رتبة الباشوية ولكنه من خلال تجربته لم يلتق الا بعدد ضئيل من الباشوات الكرام أصلا وفي الواقع كان الشيخ محمد عبده خياليا وغير عملي ولكنه كان وطنيا مصريا قحيا وربما كان من مصالحة القضية الوطنية المصرية اذا توفر عدد من أمثاله . . .

ثم يستطرد اللورد

• ان الأهمية السياسية لحياة الشيخ محمد عبده تكمن فيما يمكن وصفه بأنه مؤسس مدرسة فكرية في مصر شبيهة جدا بتلك التي أنشأها في الهند السيد أحمد خان مؤسس (٢) جامعة عليكره - ان الهدف المعلن لأولئك الذين ينتمون الى هذه المدرسة هو أن يبرروا طرق الاسلام للانسان أي للانسان المسلم وهم جيرونديو الحركة الوطنية المصرية وهم يوصمون

(١) لورد كرومر - مصر الحديثة جزء ٢ من ١٨٠ / ١٨١ .

(٢) ومن روادها زعماء الهند من المسلمين الذين أمشوا دولة الباكستان . انظر

ومحمد علي جناح وغيرهم .

كثيرا بتهمة الهرطقة لدرجة الاعتقاد بانهم يعجزون من ان يستوعبوا معهم  
ولمدي بعيد المسلم المحافظ الآمن وفي الناحية الأخرى فهم ليسوا متفرنجين  
بالقدر الذي يشك اليهم تعاطف المقلدين المصريين للأسلوب الأوربي فهم  
فيما يختص باسلامهم دون المسلم المتزعم بالعقيدة كما وبالنسبة لتفرنجهم  
دون المصريين المغالين في التفرنج ولذلك تصبح ملامتهم باللغة الصعوبة  
غير انهم يستحقون كل التشجيع والتأييد الممكن فمنهم الخلفاء الطبيعيون  
للمصلح الأوربي .

ان الوطنيين المصريين سيجدون في نجاح مؤيدي محمد عبده الأمل  
المرجو اذ يمكنهم أن يتغذوا شيئا فشيئا برنامجهم في خلق مصر المستقلة  
ذاتيا حقا .

وفي هامش نفس الصفحة يقول اللورد كرومر : كنت أمتح الشيخ  
محمد عبده لعدة سنوات كل تأييد في مقدوري بيد أن ذلك كان عملا عسيرا  
اذ انه فضلا عن الخصومة الشديدة التي كان يراجهها من المسلمين كان  
أيضا لسوء الحظ في عداة مع الحديوي وقد استطاع أن يحتفظ بمنصبه  
كمفتي باستناده على التأييد البريطاني القوي .

وفي تقاريرى السنوية تحدثت مرارا عنه مشيدا به وليس هناك من  
أسلف يصدق على وفاته المبكرة أكثر منى .

### الامام محمد عبده وعلاقة قديمة بالسودان :

لم يكن الامام محمد عبده بعيدا عن الأحوال في السودان منذ ان كان  
مع أستاذه الثائر الإسلامى جمال الدين الأفغانى يلهبان الشعور الدينى  
والوطنى ضد الاستعمار البريطانى وكانا يكتبان فى مجلة العروة الوثقى  
التي كانا يصدرانها فى باريس دفاعا عن الثائر محمد أحمد المهدي والثورة  
السودانية ويروى أنهما كانا ينويان السفر سرا الى السودان لمساعدة  
المهدي وتنظيم سير الثورة فيه .

وفي تحقيق صحفى أجراه مندوب صحيفة بول مول (١) الانجليزية

---

(١) نشر الحديث فى عددها الصادر يوم ١٧/٨/١٨٨٤ نقلا عن التوبة فى السودان

جزء ٢ ص ٩٧ للدكتور عبد العزيز عبد المجيد .

مع الإمام محمد عبده في أحد زياراته للندن وكانت الشرارة المهدية في السودان في عثفوانها سأل مندوب الصحيفة الإمام محمد عبده :

« اليس السودانيون قوما متعصبين ؟ » وكان رد الإمام « ليس السودانيون أكثر تعصبا مني فحينما كنت أعلم الفلسفة في القاهرة كان الكثيرون من الطلاب المصريين يخطون حضور دروسى بينما كان هناك أربعة وثلاثون طالبا من السودان يحضرون جميعا ليستأهروا الى • انهم ليسوا متعصبين • »

وكان مع الإمام محمد عبده عدد من السودانيين يدرسون معه في مصر على جمال الدين الأفغانى في الأزهر منهم الشيخ البشير ود نعمة العالم السوداني المعروف في رفاعة على النيل الأزرق والذي كان نابغة في الفلسفة •

ويروى ان الإمام محمد عبده كان قد اقترح (١) على أستاذه جمال الدين الأفغانى في باريس أن ينشأ مدرسة يختاران لها التلاميذ من نجباء الناشئة في الأقطار الاسلامية ومن يتوسسان فيهم الخير ثم يربيانهم على منهج قوييم ويعدها لهم للزعامة والاصلاح وبعد عشر سنين تخرج المدرسة عددا من التلاميذ المستعدين لترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الاصلاح المطلوب ولكن الاقتراح لم يرق لجمال الدين فرفضه • ولما عاد الإمام محمد عبده الى مصر من منفاه وأصبح مفتيا لمصر وجد الجو ملائما لتنفيذ رأيه ذلك وفعلا استطاعت مدرسة محمد عبده أن تقرض وجودها ونسبهم مساهمة ايجابية بطريقة وأخرى في الحركة الوطنية فيما بعد أي بعد وفاته عام ١٩٠٥ ومن ذلك المدرسة على سبيل المثال محمد قريد وسعد زغللول وعدلى يكن وعلى شعراوي ولطفى السيد وطه حسين ومصطفى عبد الرازق ومصطفى المراغى ومنصور فهمى ومصطفى صادق الرافعى ومحمد شاكر ومصطفى المنفلوطى وعبد الوهاب النجار ومحمد الحضرى وكلهم لعبوا دورا مرموقا في الحياة السياسية أو الاجتماعية في مصر •

### الإمام محمد عبده واختيار علمه للسودان :

أما عن السودان فقد خصه الإمام محمد عبده برعايته واهتمامه بعد

---

(١) محمد سعيد عبد المجيد ( سعيد الأفغانى ) - نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ص ٥٥ نقلا عن كتاب رشيد رضا لإبراهيم المدوى ص ٦٩ سلسلة اعلام العرب •



أن أصبح مفتيا لمصر فاختر له المخلصين والناهين من تلامذته أو من تأثروا به ليعملوا في سلك القضاء الشرعي والتدريس .

يقول السيد محمد رشيد رضا أحد تلاميذ الامام محمد عبد المقريين « كانت حكومة السودان تعتمد على الأستاذ الامام في اختيار قضاة الشرع له من علماء مصر ولا سيما قاضي القضاة فيختار لها خير قضاة الشرع علما وأخلاقا وإدارة ومعرفة بحال الزمان كأصحاب الفضية الأساتذة الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد هارون والشيخ محمد مصطفى المراغي .

ومن حسن المصادفة أن هؤلاء الثلاثة الذين تولوا منصب قاضي القضاة في السودان كانوا على أتم المودة والمداقة ولبعضهم وشيعة رحم مع بعض ) والشيخ اسماعيل خليل وكذلك كان سائر القضاة الشرعيين وبعض أساتذة مدرسة غردون من مريديه كالشيخ محمد الحضرى والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من خواص الأساتذة الشرعيين المصريين المتبين لطريقته في الإصلاح .

أما عن وظائف تدريس اللغة العربية والدين فقد تولاهما أساتذة الأزهيون ما زالت ذكراهم العطرة خالدة لأن اختارهم الامام محمد عبد من خيرة تلاميذه منهم محمد الحضرى مدرس التاريخ الاسلامى وعبد الوهاب النجار الأديب والفقوى المعروف وقد اختيرا للتدريس في الجامعة المصرية بعد عودتهما لمصر كما نذكر الشيخ محمد الجداوى العالم الأزهرى الذى ألف في الفقه والميراث وفيهم العالم العلامة وحجة اللغة العربية الشيخ عبد الرؤوف سلام ومنهم الشيخ ماضى أبو العزائم المتصوف والمتخصص في التفسير والحديث وغيرهم من رجالات الأزهر الذين بلغوا قرابة الخمسين معلما وتخرج عليهم الرعيل الأول من السودانيين والذين كانوا قد حفظوا القرآن ودرسوا بعضا من أصول اللغة والأدب العربى في خلاوى ومساجد مناطقهم .

لم ترض الارساليات المسيحية عن نشاط أولئك العلماء الأزهرين والدور الذى قاموا به في تدريس الطلاب السودانيين في كلية غردون فقد نشر بحث في مجلة الارساليات العالمية تقول فيه احسدى (١) الارساليات : -

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٩٢ نقلا عن بحث نشر بمجلة الارساليات ١٩٠٧ عن الجنرال غردون والتعليم في السودان .

« ان كلية غردون التذكارية ياسرها يجب القضاء عليها بوصفها كلية اسلامية لحما ودعا من ناحية دينية . . . . ومن المؤكد ان اسم كلية غردون اسم على غير مسمى ولا يمكن الا أن يكون سبيلا لخداع الشعب المسيحي في بريطانيا العظمى وأن الجنرال غردون لم يخلد له ذكر في هذه الكلية بل خلد النبي محمد »

ولعل تسمية الكلية مدرسة محمد الروحية في أعالي النيل تكون انسب لأنها بكل تأكيد تقوم بتدريس الشريعة والقرآن أكثر من أي علم آخر . . .

واستطرد كاتب البحث يهاجم تعيين الأساتذة المصريين للمدارس النظامية وكلية غردون لأنهم من متخرجي الأزهر الذي يقول عنه أنه « معروف في جميع أرجاء العالم ليس بأنه أكبر معهد ديني وحسب بل من أعظم وأشد المعاهد الدينية تعصبا للإسلام » .

اختار الامام محمد عبده الشيخ محمد شاكر عام ١٩٠٠ ليكون أول قاض للقضاة في السودان وهو من تلاميذه ويعتبر من النخبة الممتازة التي تخرجت في الأزهر وبعد عودته لمصر من السودان عين وكيلا للأزهر وعضوا في هيئة كبار علماء مصر وقد قطع شوطا في طريق اصلاح الأزهر مترسما خطى الشيخ محمد عبده ثم أسكتت الحماية (١) البريطانيه التي فرصت على مصر ابان الحرب العالمية الأولى صوت الاصلاح الذي كان ينادى به الشيخ شاكر حتى جهر به مرة أخرى فيما بعد الشيخ مصطفى المراغى الذي أصبح شيخا على الأزهر عام ١٩٢٨ - لقد ناصر الشيخ محمد شاكر الحركة الوطنية أيام سعد زغلول وله مؤلفات وبحوث عدة .

وللشيخ شاكر (٢) يعود الفضل في وضع أسس القضاء الشرعى في السودان فهو الذي وضع لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التي تناولت بالتفصيل شروط اختيار القضاة والموظفين لهذه المحاكم واختصاصاتها وتقسيمها الى غير ذلك من المسائل التنظيمية كما وضع اللائحة النظامية للمحاكم وهي تتناول بعض المسائل الاجرائية التي تتعلق بالسير في الدعاوى ولائحة الرسوم وقد أدمجت لائحة الترتيب والنظام عندما تولى الشيخ مصطفى المراغى منصب قاضى القضاة . والشيخ محمد شاكر هو

(١) عبد الحليم الجندي سلسلة اعلام الاسلام الامام محمد عبده ص ١٦٩ .

(٢) د . خليفة بايكر العمن - بحث عن الشريعة الاسلامية والنظام القانوني في السودان نشر في مكتب الاسلام في السودان .

الذي اقترح انشاء مدرسة القضاء الشرعى بكلية غردون والتي تخرج فيها  
القضاة السودانيون واصبح عميدها العالم السوداني الشيخ هاشم  
ابو القاسم من متخرجي الأزهر واستمر الشيخ شاكر يخدم العلم في  
السودان حتى بعد عودته الى مصر فقد استعان به وبآرائه الشيخ  
ابو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء في انشاء معهد علمي في السودان  
على غرار الأزهر الشريف وظل علماء السودان يحفظون له هذه اليد حتى  
وفاتهم وقد اطلقوا على لائحة تنظيم معهد أم درمان العلمي لائحة الشيخ  
شاكر .

ثم اختار محمد عبده الشيخ مصطفى المراغي ليكون قاضيا في  
مديرية دنقلا في السودان عام ١٩٠٤ ثم اصبح قاضيا للقضاة منذ عام  
١٩٠٨ الى ١٩١٩ . والشيخ المراغي درس على الامام محمد عبده فنون  
الحكمة وقروع الفلسفة ويعد من أنجب وألهم تلاميذه به كما يعتبر  
الشيخ المراغي أحد قادة الإصلاح الديني في الأزهر .

كان للشيخ المراغي دور كبير في تطور المعهد العلمي في أم درمان  
فقد كان وثيق الصلة بالشيخ أبي القاسم مؤسس المعهد الذي استعان به  
مرارا في كثير مما يهم المعهد في طوره الأول وعندما ترك الشيخ المراغي  
السودان عائدا لمصر كان يمثل بقول القائل : -

خليل بالسوبة عوجا فلا أرى بها منزلا الا جديب المقيد  
تلق برد نجد بعدما لعبت بنا تهامة في جهامها المتفسد

ولم تنقطع صلته بالسودان وعلمائه الى ان توفاه الله . كذلك  
كان لكل اصحاب الفضيلة من العلماء المصريين الذين شغلوا منصب  
قاضي القضاة دور ملحوظ في تطور المعهد وتقديمه منفل نشأته الى أن  
استوى جامعة اسلامية .

وفي عام ١٩٠٥ زار الامام (١) محمد عبده السودان قبل وفاته  
بقليل ليرى بنفسه ويقف على مجهود تلاميذه من العلماء وما غرموه  
في نفوس الطلاب السودانيين . فدخل فصول الدراسة في كلية غردون  
وشهد طرفا من القضايا الشرعية في المحاكم وأصدر بعض الفتاوى

---

(١) السيد محمد رشيد رضا - تاديع الشيخ محمد عبده .

واتصل ببعض علماء السودان وناقشهم وناقشوه وعاد الى مصر واضيا مرضيا حيث توفي في نفس العام .

وهكذا وضع الشيخ محمد عبده تقليدا سليما بأن يختار للسودان قضاة مصريين من علماء مصر النابهين من متخرجي الأزهر واستمر هذا التقليد معمولاً به قرابة نصف قرن الى عام ١٩٤٧ م حيث تولى اول سوداني من الدين درسوا على العلماء المصريين ذلك المنصب وهو الشيخ احمد الطاهر .

ونذكر من اولئك القضاة الشيخ محمد الأمين قراعة من أسرة قراعة المعروفة في مصر والذي أصبح عضوا في المحكمة الشرعية العليا في مصر بعد عودته من السودان . ومنهم الشيخ محمد نعمان الجارم وقد وضعه أحد العلماء السودانيين في قصيدة احتفاء بشقيقه على الجار عند زيارته عام ١٩٣٧ بقوله :

ومنه حظينا بأبي الفقه محمد الجارم نعمانه  
اياس الدكاء شريح القضاء على البيان وسحبانه

ومن القضاة المصريين الذين شغلوا منصب قاضي القضاة نذكر الشيخ حسن مأمون الذي أصبح شيخا للأزهر فيما بعد وقد أسهم في تطوير المعهد العلمي في أم درمان وفي إنشاء المعاهد الاقليمية في القطر .

لقد قدم اولئك القضاة الى السودان علومهم وسعد وكانوا كلهم يؤدون رسالتهم باخلاص وصدق وأسهموا مساهمة تامة في وضع نظام القضاء الشرعي وترقيته في السودان باعتبارهم سلطة التشريع العليا في المحاكم الشرعية كما ساهموا في كثير من أوجه الحياة العلمية في البلاد .

تولى منصب قاضي القضاة في السودان من المصريين أصحاب القضيلة :

- الشيخ محمد شاكر من ١٩٠٠ الى ١٩٠٤
- » محمد هارون من ١٩٠٤ الى ١٩٠٨
- » مصطفى المراغي من ١٩٠٨ الى ١٩١٩
- » محمد أمين قراعة من ١٩١٩ الى ١٩٣٢
- » محمد نعمان الجارم من ١٩٣٢ الى ١٩٤٠
- » حسن مأمون من ١٩٤٠ الى ١٩٤٧ م .

« لقد حظيت كلية (١) غردون بنخبة ممتازة من الأساتذة المصريين الذين جمعوا بين الوطنية والعلم غشاركوا في تعليم السودانيين واذكاء الروح الوثابة المتطلعة الى العلم والحرية كانوا سندا لحركة الوعي الوطني التي كان الطلبة السودانيون في كلية غردون من طلابها بما نالوا من معرفة فتحت امامهم باب الأمل في التقدم واللاحاق بركب الأمم المتحضرة ولعل هؤلاء الأساتذة لم يحاضروا أولئك الطلبة في علم السياسة ولم يلقوا عليهم دروسا في الوطنية أو القومية ولم يحدثوهم عن مسألة تقرير المصير مباشرة في تلك الفترة المبكرة من الزمن ولكنهم دون شك اذكوا روحا شابة وبعثوا عزيمة وزادوا نار الثورة ضد الاستعمار خطبا جعل الجذوة مشتعلة حمل المشعل فيها السودانيون وكان هؤلاء الأساتذة يصمدون من شيء يجدونه في مصر منذ العقيد الأول من هذا القرن وكان عدد هؤلاء الاساتذة كبيرا في الكلية فقصده بلغ خمسين مدرسا أو يزيده وكان أول ناظر لكلية غردون الأستاذ أحمد هدايت » .

لقد أصبحت كلية غردون صرحا شامخا ومنازة كبرى للعلم في السودان وأخذ طلابها ينهلون من الثقافة الغربية على أساتذة بريطانيين يفوضون في نفائس الثقافة العربية وأدائها بفضل الأساتذة المصريين من متخرجي الأزهر الذين فتحو لهم تلك الآفاق وأخرجوهم من العزلة الفكرية التي كانوا يعانون منها في دراساتهم السابقة وعلموهم أن دعوة الاسلام لا تتعارض مع التعليم العلماني ومفاهيم الحياة العصرية وهذا هو جوهر تعاليم الامام محمد عبيد كما كانوا لهم القدوة الحسنة بما تحلوا به من صفات العلماء وما كانوا عليه من تفقه في العلم وسمو في الأخلاق فأحبوهم وأكرمهم وظلت ألسنتهم تلهج بشكرهم وفضلهم الى أن رحلوا عن الدنيا وخرج جيل من بعدهم مزودا بالعلم ومتأثرا ومتفاعلا بما كان يجري في مصر والعالم من نهضة فكرية وكان منهم قادة الحركة الوطنية الذين حققوا للبلاد استقلالها وسيادتها الوطنية ولم تكن كلية غردون اذا كما أراد لها واضعوها ومؤسسوها من دهاقنة الاستعمار البريطاني وبناء الامبراطورية البريطانية مثل أخواتها في المؤسسات العلمية الأفريقية التي أنشئت لنفس الغرض وتخرج فيها فئة من المثقمين الأفريقيين الذين ارتبطوا ببريطانيا وجنانيا وفكريا واتخذوا من رجالها مثلهم الأعلى » .

(١) نقلا عن الرباط الثنائي بين مصر والسودان ص ١٠٧ للدكتور ابراهيم الحادلو .

## • الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي

لم يقصر أساتذة كلية غردون وكانوا أساس من المصريين الأزهريين رسالتهم في محيط التدريس والقضاء الشرعي بل قاموا بنشاط محمود في الحياة العامة بين المواطنين وقد برز ذلك النشاط بوجه خاص في الصحافة السودانية على صغرها ورغم ما كانت تفرضه الإدارة الأجنبية • من قيود ورقابة على مواد الصحافة •

لقد كانت هناك مجلة الرائد التي أنشأها تاجر اغريقي عام ١٩١١م استجابة لراي بعض متخرجي كلية غردون وكان يحرسه اصحفي لبناني هو عبد الرحيم قليلات وكان يسهم في تحريرها (١) أساتذة كلية غردون وخاصة الشيخ عبد الرؤوف سلام المصري وفؤاد الخطيب السوري وكانا يدرسان الأدب العربي في كلية غردون •

كان هؤلاء الأساتذة يوجهون الصحافة نحو العالم الاسلامي تأكيداً لتبعية السودان للخلافة العثمانية كما كانوا يعملون لربط السودان بالعالم العربي بعد أن ظهرت أهداف السياسة البريطانية ليمزول السودان عن العالم الاسلامي العربي ولذلك كانوا يشجعون الكتاب على السير في هذا الاتجاه ويفسحون المجال لمجاراة فحول الشعراء العرب وتسطير وتخمين قصصائدهم وينتهزون أي فرصة مواتية لاستغلالها في هذا الاتجاه مثال ذلك عندما هبطت الطائرة التركية لدرميد أرض مصر عام ١٩١٤ وكان يقودها للمرة الأولى في تاريخ المسلمين شابان مسلمان من الترك ... لقد كان هذا حدثاً هاماً في مصر

والسودان والبلاد الإسلامية آنذاك فأهابت صحيفة الرائد بإحضار  
من هؤلاء الأساتذة بالشعراء السودانيين لتشطير بيني شسوقي في  
استقباله للطائرة ونخليدا لتلك المناسبة يقول شوقي :

يا أدرميد الأطيرى مبلغه  
رسائل الشوقي من عمرو إلى عمر  
إلى الذي خلقت في الأرض رأيته  
واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وقد أسرع السودانيون للاستجابة للنداء مدفوعين بعتيدتهم  
الدينية وخطرتهم للسلطان العثماني كخليفة لكافة المسلمين مما توجب  
طاعته تباروا في تشطير البيتين وفاز بالمرتبة الأولى الشيخ محمد عمر  
البناء متخرج الأزهر بقوله :

« يا أدرميد الأطيرى مبلغه »  
خليفة الله عنا أصدق الخبر  
بلغيسه من الإسلام قاطية  
رسائل الشوق من عمرو إلى عمر  
إلى الذي خلقت في الأرض رأيته  
وعزركها مسيوق الله بالظفر  
سدت على الأرض ظلالا تعادله  
واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وفاز بالمرتبة الثانية الأستاذ أحمد محمد صالح من الرعيل الأول من  
متخرجي كلية غردون إذ يقول في تشطير البيتين :

(( يا أدرميد الأطيرى مبلغه ))  
خليفة الله عنا أصدق الخبر  
حييت سابعة في الجو حاملة  
(رسائل الشوق من عمرو إلى عمر)  
(إلى الذي خلقت في الأرض رأيته  
وها بها الخلق من بنو ومن حضر  
أعلامه خلقت في المشرقين معا  
(واليوم تخفق فوق الشمس والقمر))

وفاز بالمرتبة الثالثة الشيخ حسن عثمان بدرى وهو يقسول في  
تشطيره :

« يا أدوميد الأطسيري مبلغه »  
روح ابن فرناس ما أوتيت من ظفر  
ورفر في قوى نجم السعد حسامة  
« رسائل الشوق من عمرو الى عمر »  
« الى الذى خلقت في الأرض واينه »  
يحفها النصر من يدو ومن حضر  
ناقت الى القبة الزرقاء فارتفعت  
واليوم تخفق فيرق الشمس والقمر

وظلت « الرائد » تلتزم هذه السياسة والانجساع وأخيرا لم يطلق  
حبر الادارة البريطانية فابعدت رئيس تحريرها قليلات من السودان  
وخلفه في تحريرها أحد خريجي كلية غردون وهو الشيخ حسين  
شريف الذى يمتزج بحق الصحفي السودانى الاول ثم توقفت عن الصدور  
عام ١٩١٩ م لقد كانت الرائد ترسل قيسا من النور ادى الى وعى  
سياسى وبداية للنهضة التى قادها الوطنيون فيما بعد وبنوا عليها  
سودانهم الجديد .

وكما أفاد السودان من بقاء الاساتذة المصريين بين ظهرائهم مرة  
من الوقت نهلوا من فيض علمهم وتأثروا بأرائهم السياسية كذلك  
كان لوجود الضباط المصريين أثر واضح أيضا في غرس بذور النهضة  
الوطنية في السودان منذ أن انتقلوا الى السودان عام ١٨٩٨ م الى أن  
أبعدوا عنه عام ١٩٤٢ م خاصة الذين كانوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية  
المصرية وكان منهم عدد كبير من أنصار الثورة العراقية وأعضاء الحزب  
الوطى وتروى الوثائق السرية أن قيادة الحزب المصرى انتقلت للضباط  
المصريين في السودان بعد رحيل محمد فريد الى أوروبا وكان من قادة  
الحزب في السودان البكباشى فطين والد الدكتور أحمد فطين الطيب  
المصرى المعروف وكان منهم الشاعر حافظ ابراهيم الذى قال عنه  
رصيفه أحمد شوقي في مرثيته له :

(٦) د. حنتر محمد على نخيت - الادارة البريطانية والحركة الوطنية من ٤٣ .



يا مانع السودان شرح شجاعه  
 ووليه في السيل والهيجاه  
 لما نزلت على خمائله نوى  
 نبسج البيسان وراء نبسج المساء  
 قلده السيف الحسام وزدته  
 قلما كصدر الصعدة السمراء

وكان منهم محمد فتوح صديق البطل السوداني على عبداللطيف  
 رئيس جمعية اللواء الأبيض واحد قادة الحركة الوطنية في تاريخ  
 السودان الحديث .

وكان منهم حمدي سيف النصر الذي أصبح وزيرا للدفاع في  
 حكومات الوفد والذي لم تنقطع صلته بالسودان وكان يعتبر أبا (١)  
 للطلاب السودانيين في مصر . وكان منهم عبد الخالق حسن مأمور  
 أم درمان ، وقد توفي فيها فبكاه السودانيون قاطبة لفضله ومواقفه  
 الوطنية والإنسانية دفاعا عنهم ومؤازرة لهم وشيعت جنازته في موكب  
 ضخم انتهى بمظاهرة ضخمة كانت تهتف بحياة مصر وسقوط  
 الاستعمار البريطاني وكانت تلك المظاهرة بمثابة الشرارة للثورة الوطنية  
 عام ١٩٢٤ م .

وكان منهم اللواء محمد فاضل متخرج الأزهر وكان أدبيا وشاعرا  
 ترك اللواء فاضل - أثرا محمودا في انعاش الحركة الأدبية والسياسية  
 في مدينة عطبرة في شمال السودان مقر عمله آنذاك في سلاح المهندسين  
 وعطبرة هي مدينة العمال والموظفين وهؤلاء هم الذين قامت على  
 اكتافهم أول حركة عمالية مرهوبة الجانب كما كانت أحد معاقل مؤتمر  
 الخريجين العام قائد الحركة الوطنية منذ الثلاثينات .

وعندما قام طلاب المدرسة الحربية السودانيون بمظاهرة حربية  
 في الخرطوم في أغسطس عام ١٩٢٤ وقدموا للمحاكمة وقف اللواء  
 فاضل مدافعا عنهم رغم ما كان يشيعه البريطانيون في جو رهيب .

لقد قامت في البلاد بطبيعة الحال حركة وطنية قوامها متخرجو  
 المدارس بما فيهم ضباط الجيش وكانت تتجاوب مع الثورة المصرية

(١) د. إبراهيم الحردلو - الرباط الثقافي بين مصر والسودان ص ١١١ .

فقامت الجمعيات السياسية وحفلت البلاد بمظاهرات في كل مدن السودان وبالذات في الخرطوم تهتف بسقوط الاستعمار وتنادي بوحدة مصر والسودان واعتقل قادة الحركة وعلى رأسهم المناضل الضابط السوداني على عبد اللطيف . وفي ٩ أغسطس تحرك طلاب المدرسة الحربية في مظاهرة مسلحة نحو منزل على عبد اللطيف الذي كان معتقلا آنذاك وأدوا التحية العسكرية على شرفة ثم جاؤا شسوارح الخرطوم وانتهوا الى السجن حيث كان على عبد اللطيف هناك وكانوا يهتفون بحياته وحياة مصر -

لقد كانت الادارة البريطانية تنظر بعين القلق والفرع من نشاط الموظفين والأساتذة والضباط المصريين ونعاطفهم مع الوطنيين السودانيين وكانت تضع خططها لابعادهم جميعا من السودان وأتقها الفرصة مواتية حيثما اغتيل السيل ستاك حاكم السودان البريطاني وقائد الجيش المصري في القاهرة في ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤ . فأملت بريطانيا شروطا قاسية على مصر وأهمها سحب الجيش المصري من السودان في خلال ٢٤ ساعة ثم أسرع اللورد الليني المندوب السامي البريطاني في مصر فابرق حاكم السودان البريطاني لتنفيذ أمر الجلاء ولكن القائم مقام احمد رفعت قائد سلاح المدفعية المصرية رفض الاستجابة للامر وأصر أن يأتيه الأمر من ملك مصر .

وفي مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢٤ تحرك ستة ضباط سودانيين على رأس قوة قوامها ١٢٠ جنديا قاصدين الخرطوم بحري للانضمام لسلاح المدفعية المصري ولكنهم قبل أن يصلوا طوق الجيش البريطاني سلاح المدفعية المصري وفتح جسر النيل الأزرق ليحول دون اتصال القوة السودانية بالمدفعية المصرية وتصدت قوة من الجيش البريطاني لهم وكان يقودها الجيرال هدلستون الذي أصبح حاكم السودان مؤخرا في الأربعينات وطلب من الفرقة السودانية أن تعود أدراجها الى ثكناتها ولكنها رفضت الأمر والتحمت مع القوة البريطانية وأخذتها نارا حامية محتمية بالمستشفى العسكري ولم يستطع الجيش البريطاني أن يقضي على الفرقة السودانية الا بعد أن استعمل الأنوار الكاشفة لمنع المدافع الثقيلة من ثكنات الجيش البريطاني . ولكن المقاتل السوداني كان يهتدى على مكان العدو من حيث أوهضت الأنوار الكاشفة فيقذف رصاصة عليه ويصيب من جنده مقتلا ولكن العدو ذك المستشفى العسكري ذكا ويموت تحت الأنقاض قائد الفرقة السودانية عبد الفضيل

الماط وسلم ما بقي منها بعد أن نفذت ذخيرتها وقد وصف الشاعر حسين منصور تلك المحنة بقصيدة جاء فيها :

وقف الجيش وقفة ليس تنسى  
وأجساد الؤفوف عند اللقاء  
فستحس الموت بينه ساعة الجسر  
وحيا ملوحها بالقضبان  
صائحا للامام مسيحة زهو  
صائحا للسورة في الأعين  
فإذا أومضوا لكشف وميض  
بسم الموت بسمه استهزاء  
ورأى المستجلى الطريق اليهم  
شاكرا أن هدوه بالأضواء  
يألهما ليلسة ويسوما عبوسا  
تركنا الشعب بساخطا لسمه  
يسال الله رحمة ومهيرا  
كاملا في الحقوق حتى البقاء  
عشاش أهل الجنوب أخوة مصر  
في الضحايا وعاش كل فدائي

وفي يوم ٢٨ نوفمبر وصل البكباشي أمين هيمى على طائرة جربية يحمل أوامر الملك فؤاد لقائد المدفعية بالانسحاب من السودان .

وفي ٥ ديسمبر نفذ حكم الاعدام بالقسرب من ثكنات الجيش البريطاني على الضباط حسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وسليمان محمد واستبدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد على الضابط على البنا كما حكم غيايبا على الضابط السيد فرح بالاعدام اذ انهم لم يعثروا عليه ، وكان قد سبج على النهر وسافر متكررا الى مصر مع المدفعية المصرية .

وقد أشار لأولئك الشهداء الشاعر السوداني توفيق صالح جبريل فى قصيدة أرسلها لصديقه توفيق البكرى الذى هرع الى مصر قبيل حوادث ١٩٢٤ مع لقيف من الطلاب السودانيين ليتلقوا العلم هناك جاء فيها :

توفيق : أين بشر (١) ؟ قد ضحيتما  
 وفتحتما السودان خير كفساح  
 هاجرلما والامن غيسر ميسر  
 بريوعنا والعلم غير متساح  
 لا تبئس ان المساتم ان تقس  
 متاملا تشبهة الافسراح  
 اعلمتما ما كان بعدكما وما  
 فعلت ياهئينا يد السساح  
 اودى باربعة (٢) صدور في الوغى  
 يا ويجههم بالقوا صدور رماح  
 وعضوا بسر الغتم (٣) بعد صفيه  
 رب اللواء الابيض الوضاح  
 للسجن للتشريد لا بحرية  
 ما اللود عن اوطانهم بجناح  
 ان خلد التاريخ ذكر بطولة  
 للعاملين فما لهم من ماحي

أما عن المعلمين المصريين والموظفين المدنيين الآخرين فقد أصدر  
 السكرتير الإداري البريطاني وكان بمثابة وزير الداخلية أمرا بطردهم  
 جميعا من الخدمة وإعادهم إلى مصر .  
 ولم يسمح للمعلمين المصريين الدخول للسودان إلا بموافقة سلطات  
 الأمن وبعد أن يكتبوا تعهدا للعمل في المدارس غير الحكومية وكان جل  
 أولئك المسموح لهم من المسيحيين المصريين .  
 لقد كان المعلمون المصريون لا سيما الأزهريون منهم كما وصفهم  
 أحد (٤) المؤرخين السودانيين أعمدة التعليم في السودان .

(١) بشر هو مفسر عبد الرحمن أحد الطلاب السودانيين الذي أتى مصر وتوفيق  
 الكرى والدودي أحمد اسماعيل لتلقي التعليم في مصر .  
 (٢) الأربعة هم الضباط الذين حكم عليهم بالإعدام بعد ملصحتهم العسكرية في  
 نوفمبر ١٩٢٤ وفيهم الضابط الذي قاد المصلحة وقتل فيها .  
 (٣) سر الغتم شقيق الشاعر ورب اللواء هو التناضل على عبد اللطيف .  
 (٤) ضراد صالح طراز - تاريخ السودانيين الحديث ص ٢٢٢ .

## ● التعليم الدينى

### لجنة العلماء السودانين :

فى عام ١٩٠١ أى بعد سنتين من اتفاقية الحكم الثنائى بين بريطانيا ومصر عين الحاكم العام البريطانى لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم استشارية له كما ورد فى الخطاب أدناه الذى أرسله لأعضاء اللجنة .

#### حضرة :

انه نظرا لما أحرزتموه من ثقتنا بكم ووثوقنا بعالميتكم وفضلكم قد ارتبنا الى انتخابكم لتكونوا عضوا للجنة الرئيسية لجماعة العلماء فى جامع أم درمان التى يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف فى الجامع المذكور وللنظر فى تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع وفى شئون الطلبة فيه وتكون أيضا موضع استشارتنا ورؤساء الحكومة السودانية فقط فى الشؤون الدينية وكل ما يختص بالعلم والعلماء دون أن تكون مكلفة بأن تبتكر النظر فى أى موضوع من تلقاء نفسها بل متى عرض عليها من قبلنا أو من أى رؤساء الحكومة أمر من هذا القبيل كان عليها أن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاقتضاء التى لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة وعلى اللجنة الا تهمل احاطة الحكومة السودانية علما بكل ما يحدث من الحوادث التى يهم الحكومة الاطلاع عليها دينية كانت أم علمية على السواء وبالأجمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن تقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم  
أحسن قيام يكون من نتائجها ترقية شأن العلم وطلابيه وصيانة الشعائر  
الدينية فإن ذلك هو الغرض الذي ترمى إليه الحكومة الساعية فيما فيه  
سعادة البلاد وأهلها .

تحريرا في الخرطوم في ١٣ يونيو ١٩٠١ م الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ

### ونجيت

سردار وحاكم السودان العام

وتكوين هذه اللجنة من علماء الإسلام في البلاد والاستعانة بها في  
مهمتها التي انيطت بها يعيد إلى الأذهان ما فعله محمد علي باشا حينما  
أرسل ثلاثة من علماء الأزهر كل يمثل مذهبا من المذاهب الثلاثة المالكي  
والشافعي والحنفي في مقدمة جيشه الذي غزا به السودان كما ذكرنا  
من قبل .

كانت لجنة العلماء تلك التي عينها الحاكم العام لتكون من الشيخ  
محمد البدوي رئيسا لها وقد ورد ذكره سابقا .

ومن أعضائها :

**الشيخ النذير خالد :**

وكان قاضيا للقضاة في آخر حكم المهدي ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م )  
وقد تلقى علومه على الشيخ الأمين العزيز كبير علماء السودان آنذاك  
وعلى العالم الشيخ حسين المجدي الدهياطي متخرج الأزهر .

كان الشيخ أمين قراءة قاضي القضاة المصري في السودان يزور  
الشيخ النذير مرارا ويشهد بعضا من دروسه ويصر على الجلوس مع  
الطلاب ويروي أنه كان يقول « لم أر رجلا عالما مثل الشيخ النذير » .  
اتصل بالامام محمد عبده عند زيارته للسودان وناقشه في كثير من  
المسائل الفقهية .

**الشيخ محمد عبد الماجد :**

درس على عدد من العلماء فقد حفظ القرآن على أبيه الشيخ  
عبد الماجد في سنار ومنهم العالم أحمد بن إبراهيم بن عيسى الأنصاري  
يعن العلامة الشيخ محمد ود الجيل العمراوى اللذين ورد ذكرهما ومنهم

الشيخ عبد الله الخراساني من تلاميذ جمال الدين الأفغاني وكان الشيخ محمد ينوي السفر للأزهر ولكن ظروفًا عائلية حالت دون ذلك .

بنى الشيخ محمد عبد الماجد جامعًا في أم درمان وكان يدرس فيه العلم وتخرج عليه عدد كبير من علماء السودان ولم ينقطع عن التدريس أبداً إلى أن توفي عام ١٩٢٩ . كان يدرس شرح العلامة الدردير على مختصر خليل المالكى وكان يختمه للطلاب مرة كل سنة كما كان يدرس الفية بن مالك في النحو من شرح بن عقيل ويعقبها أحياناً بشرح التلخيص والسموقندية والجواهر المكنون في علم البيان وأحياناً يشرح جمع الخوامع في علم الأصول وبالتهذيب في علم المنطق والكافي في عذى العروض والقوافي ويشرح نظم المقولات للعلامة السباعي وكان يدرس الرسالة بشرح أبي الحسن وتفسير الجلالين بعاشية الصاوي وكان أيضاً يدرس كتباً في فقه الشافعية والحنفية وغيرها واستمر جامعه هذا يتوافد عليه الطلاب إلى يومنا هذا وقد تولى بنوه التدريس فيه من بعده وخاصة ابنه العلامة الراحل الشيخ خليل .

#### الشيخ إبراهيم شريف الدولابي :

الذي سبق ذكره آنفاً .

#### الشيخ محمد الأمين الضرير :

وهو ابن الشيخ الأمين الضرير كبير علماء السودان في آخر فترة الحكم التركي درس الشيخ محمد علي العالم المصري الأزهرى الشيخ حسين المجندى السبياطى في الخرطوم وعلى الشيخ محمد البدوي منخرج الأزهر وشيخ الاسلام في السودان وكان عالماً في الفقه والتفسير والنحو والبلاغة والميراث وكان كثير الشبه بوالده الشيخ الأمين الضرير ويقال انه لو ولد في زمن مضى وعاصر فقهاء المدينة لزاد عددهم به وقد وصله أحد الشعراء (١) في قصيدة منها :

والى محمد انتهى علم الكتاب وكان في كل العلوم اماماً

وقد درس عليه عدد كثير من العلماء منهم ابنه الشيخ الأمين أستاذ

---

(١) إبراهيم عبد الرزاق شيخ الاسلام الفكي الأمين الضرير ص ٦٢ .

الشرية في الجامعة الإسلامية والقاضي يوسف إبراهيم النور أحد علماء السودان الأفاضل .

الشيخ الباهر اسماعيل الوقي .

وقد تلقى تعليمه على والده الشيخ اسماعيل صاحب الأثر المحمود في نشر العلم في غرب السودان وجبال النوبة .

كان كل واحد من هؤلاء العلماء يقيم معهدا في بيته للتدريس مثلما كانت العادة الجارية في السودان منذ عدة قرون وقليل من العلماء من كان يدرس في المسجد .



## ● المعهد العلمى بالسودان

رأت تلك اللجنة المختارة من العلماء أن ترسل بعوثا سودانية الى الأزهر لزيادة حصيلة الطلاب من العلم ليعودوا لبلادهم ويتولوا مهنة التدريس فيها غير أن الحاكم البريطانى والجنرال ونجت لم يكن راضيا على هذا الرأى اعتقادا منه بأن ذهاب السودانيين للأزهر وتلقيهم الدراسة هناك قد يجعلهم يتشربون بأراء وأفكار معادية للإدارة البريطانية فى السودان ولكنه مع ذلك كان يفضل ارسالهم الى الأزهر عسى أن يؤتى بعلماء مصريين من الأزهر للتدريس فى السودان وأخيرا اتفق على حل وسط وهو إعادة تنظيم وتطوير التعليم الدينى بجامع أم درمان الكبير .

وبعد وفاة الشيخ محمد البدوى عام ١٩١١ م خلفه فى شياخه العلماء الشيخ (١) أبو القاسم أحمد هاشم الذى درس فى الخرطوم على العالم الأزهرى المصرى الشيخ حسين المجدى الذى ورد ذكره مرارا آنفا . وعند قيام الثورة المهدية التحق بها ثم عين كاتباً وكاتبا لأسرار قائدها للهدى والخليفة عبد الله من بعده .

وبعد سقوط دولة المهدية وقيام الحكم الثنائى على البلاد عين قاضيا شرعيا وزيادة على ذلك كان يعلم الناس ويدرسهم العلوم الاسلامية فى وقت فراغه وراحته . والشيخ أبو القاسم فضلا عن علمه الجم كان أديبا وشاعرا يشار اليه بالبنان . كان أول عمل قام به الشيخ أبو القاسم

---

(١) عن تاريخ الشيخ أبى القاسم راجع القاسم لى اخبار وآثار شيخ الاسلام أبى القاسم أحمد هاشم لابنه عبد الحميد أبى القاسم .

في منصبه الجديد شيخا للعلماء ان جمع أولئك الذين كانوا يقومون بالتدريس في منازلهم أو في مساجد متفرقة جمعهم في جامع أم درمان الكبير ودعا طلاب العلم لأن يؤهوه ويدرسوا فيه على أولئك المعلمين وأصبح يطلق عليه المعهد العلمي ثم استصدر لائحة لتنظيم الدراسة فيه مقتبسا لها من لائحة الأزهر الشريف ووضع منهج الدراسة على غرارها وبذلك قررت دراسة جميع العلوم التي تدرس في الأزهر في مختلف المراحل وقد استعان الشيخ أبو القاسم بالشيخ محمد شاكر الذي كان قاضيا لقضاة السودان ( ١٩٠٠ - ١٩٠٤ م ) ثم عاد إلى مصر وكيلا للأزهر .

كانت الإدارة البريطانية في السودان تحرم على السودانيين الذهاب إلى مصر لتلقي العلم هناك كما لم تسمح لعلماء الأزهر من المصريين بالتدريس في المعهد العلمي وقد ظل المعهد العلمي منذ انشائه عام ١٩١٢ مغلقا دون الأزهر بالرغم من إلحاح الشيخ أبي القاسم شيخ العلماء ومنشئ المعهد .

ثم خطا الشيخ أبو القاسم خطوة أخرى وهي إنشاء مكتبة عربية للمعهد ولما لم تكن الإدارة البريطانية توافق له بالاتصال مع مصر أو عز لابته مدثر أبي القاسم الطالب بالأزهر آنذاك أن ينشر نداء مذيلا باسمه يهيب بالمصريين خاصة وبالمسلمين عامة للمساهمة في إنشاء المكتبة . وفعلا نشر الطالب مدثر النداء باسمه في مجلة المقطم وسرعان ما تدفقت الكتب النفيسة من الهيئات المصرية والأفراد الكرام . كانت أول دفعة منها ٨٢١ مجلدا بعثت به الجمعية الخيرية المصرية واستمر تدفق الكتب النفيسة للمعهد منذ ذلك الوقت حيث حفلت المكتبة اليوم بمئات المجلدات .

تخرجت أول دفعة من حملة الشهادة العالمية عام ١٩٢٤ في عهد الشيخ أبي القاسم واستمر المعهد العلمي يؤدي رسالته العلمية رغم الصعوبات والمعوقات ويتخرج منه فوج أثر فوج . ثم أنشئت معاهد اقليمية في أنحاء القطر بفضل همة شيخ المعهد آنذاك الشيخ أبي دقن وتعاون قضاة القضاء المصريون فيما بعد وخاصة الشيخ حسن مأمون . لقد بلغ عدد هذه المعاهد اليوم أكثر من مائة معهدا .

في عام ١٩٣٦ بعث طلاب المعهد بملكرة يطالبون فيها باصلاح المناهج الدراسية وارسال البعوث إلى الأزهر والاستعانة بمدرسين

مصريين من الأزهر ليقوموا بمهمة التدريس فيه وبناء أروقة لهم لسكن الطلاب القادمين من الأقاليم ولكن مذكرتهم لم تلق استجابة من قبل السلطات مما دفع الطلاب للقيام باضراب عن الدراسة .

وعندما اشتد ساعد الحركة الوطنية أولى قادتها اهتماما خاصا بالتعليم وحظي التعليم الديني والمعهد العالي بتنصيب كبير من ذلك الاهتمام فقد كان المعهد العلمي في نظر أولئك القادة مركزا اسلاميا كبيرا بل المؤسسة الدينية المركزية لكل القطر .

رفع مؤتمر الخريجين العصام وكان التنظيم السياسي الرئيسي في البلاد مذكرة في يوم ٢٦ أبريل عام ١٩٣٩ نادى فيها باصلاح المناهج ومنح الطلاب شهادة عالمية كشهادة الأزهر والاتصال المتين بالأزهر (١٥) الشريف وتشريد بيت لسكن الطلاب وقيام لجنة عليا لإدارة المعهد وأخيرا اقترحت المذكرة الاتصال بالأزهر ليتولى إدارة المعهد والصرف عليه اذا لم تستطع الحكومة الاستجابة لتلك المطالب - كذلك تحرك طلبة المعهد ومشيعته يؤيدون مذكرة المؤتمر كما بعث علماء السودان بمذكرة تشعل نفس المطالب تقريرا ولم يكن أمام الحكومة الا أن تهتم بتلك المذكرات فقبلت مبدئيا بعض ما جاء فيها كاعادة تنظيم المعهد وتعيين لجنة لإدارته ومضاعفة الميزانية المخصصة له والاستعانة بمدرسين من الأزهر ولكنها رفضت اقتراح بناء بيت للطلاب كما رفضت رفضا باتا أن يكون المعهد العلمي تابعا للأزهر مثلما اقترحت مذكرة المؤتمر .

وفي عام ١٩٤٣ انتدب فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله الأستاذ السوداني في كليات الأزهر للعمل في القسم العالي بالمعهد ولعاونة شيخ علماء السودان على النهوض بالحركة التعليمية فيه . استمر الشيخ محمد المبارك يضطلع بمهمته في مساعدة شيخ العلماء مبتدئا من الأزهر الشريف منذ عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٥٣ وقد ظهر جليا أثر الشيخ المبارك في تقدم المعهد العلمي ونهضته الحديثة .

وفي هذه الفترة من الزمن وعلى أثر مطالب الحركة الوطنية واهتمامها بشئون المعهد العلمي قدمت السودان في أواخر عام ١٩٤٧ بعثة مصر مكونة من خمسة من أوائل الشهبادات الأزهرية وخيرة مدرسيه للعمل بالتدريس في المعهد العلمي . وكانت أول بعثة علمية

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٨٦ .

للمعهد أي بعد أكثر من ثلاثين عاما من انشائه عام ١٩١٢ وانفتح الباب الذي ظل مغلقا أمام اساتذة الأزهر للعمل في السودان فتوالت عليه بعوث الأزهر .

وفي عام ١٩٥٦ أعيد انتخاب الشيخ المبارك من الأزهر إلى المعهد العلمي شيخا للعلماء وفي عهده تطور المعهد وخططا خطوات واسعة في سبيل التقدم ويعتبر الشيخ المبارك ثاني اثنين من علماء السودان الذين لهما الفضل الأكبر في تاريخ المعهد العلمي هذه المؤسسة الدينية الكبرى هما الشيخ أبو القاسم مؤسس المعهد وواضع لبنته والشيخ محمد المبارك عبد الله صاحب اصلاحه وتطوره وشموخته حتى أصبح جامعة اسلامية كبرى .

لقد تولى مشيخة العلماء في السودان أصحاب الفضيلة :

- الشيخ محمد البدوي من عام ١٩٠١ إلى ١٩١١
- « أبو القاسم أحمد هاشم مؤسس المعهد من ١٩١٢ إلى ١٩٢٢
- « أحمد محمد أبو دقن من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٨
- « أحمد الهاشمي دفع الله منتدبا بالانابة من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٣
- « أبو شامة عبد المحمود من ١٩٤٣ إلى ١٩٥١
- « هاشم أبو القاسم من ١٩٥١ إلى ١٩٥٥
- « الأمين محمد الأمين الضريز بالانابة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٦
- « محمد المبارك عبد الله من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٣

وكلهم أما تخرجوا في الأزهر كالشيخين محمد البدوي وهاشم أبي القاسم ومحمد المبارك عبد الله أو ممن درسوا على متخرجين من الأزهر كبقية الشيوخ الأفاضل . وجدير بالذكر كان شيخ العلماء هو في نفس الوقت شيخ المعهد العلمي .

وهكذا أخذ المعهد العلمي ذلك الطور الشامخ يحمل المشعل ويؤدي رسالته العلمية ويتخرج فيه من نوابغ البلاد وعلمائها رجال تبوأوا منزلة كبرى فيها وأسهموا في نهضتها الوطنية والثقافية كالأزهر تماما وليس هذا هو المجال لاحصاء أولئك فمدرسو اللغة العربية والدين في المدارس الثانوية والكثير من مديريها وبعض القضاة الشرعيين وكتبة المحاكم وغيرهم من خريجي المعهد .

وفى كل أطوار تقدم المعهد منذ انشائه كان لأصحاب الفضيلة  
العلماء المصريين الذين شغلوا منصب قاضى القضاة دور ملحوظ خاصة  
الشمسوخ محمد شاكر ومصطفى المراعى وحسن مأمون وظلوا على اتصال  
به حتى بعد مغادرتهم البلاد إذ كانوا يقدمون له كل عون من هناك .

ومن هنا يتضح لنا جليا أثر الأزهر ومتمخريه وبموثه العلمية فى  
تقدم المعهد والحركة الدينية فى السودان واني لا نقل بالحرف الواحد  
ما كتبه العالم (١) السودانى الأزهرى محمد المبارك عبد الله فى كتابه  
« مذكرات وذكريات فى معهد أم درمان العلمى - طالبا واسنادا وشيخا  
للعلماء » عن أثر البحوث الأزهرية فى نهضة المعهد .

... كانوا أهم العوامل فى نهضة المعهد الحديثة وتطويره الى  
جامعة أسهموا فى تعديل المناهج وطرق التدريس ونظام الامتحانات  
وادخلوا الأعمال التحريرية والتطبيقية وانعشوا المعاصرة والخطابة  
والانشاء وأفاد المعهد منهم خيرا كثيرا - وأفاد منهم شباب المدرسين الذين  
آخوهم وأحبوهم وتعاونوا على رفع مستوى الدراسة بالمعهد فضلا عن  
طلاب المعهد كما أفاد المجتمع السودانى منهم ثقافة عامة فى المسارف  
الاسلامية والعربية وتوجيها وتوعية وبصيرة بالدين ومقاصده بما كان  
لهم من محاضرات وندوات فى الاندية وأحاديث ودروس فى الاجتماعات  
الخاصة وبما كان لهم فى الصحافة والاذاعة من مقالات وكلمات ثم توالى  
البحوث بعدهم من الأزهر واتصل المعهد به اتصالا وثيقا .

هذا ولم تقف رسالة المعهد العلمى على السودان وحسب بل وفد  
اليه طلاب العلم من كثير من البلاد الافريقية من الصومال وبوغندا  
والسنغال والسودان الغربى وأثيوبيا وارتريا ودرسوا فيه وارتقوا من  
منهله وعادوا الى بلادهم ينقلون علمهم وخبرتهم لأهلهم هناك وحقيقة  
كان السودان منذ القرن السادس عشر الميلادى قبلة لطلاب العلم فى  
جوامعه وخلويه من البلاد الافريقية المجاورة .

---

(١) محمد المبارك عبد الله . مذكرات ص ٥٠ .

## ● جامعة أم درمان الإسلامية

أخذ معهد أم درمان العلمي يسير خطوة الى الأمام تلو الأخرى منذ إنشائه عام ١٩١٢ كما ذكرنا حتى اكتملت له مراحل الثلاثة — الابتدائية والثانوية والعمالية وكان منذ إنشائه يستوحي الأزهر الشريف ويستمد من قيضه اثر فأصبح برنامج التعليم وما فتىء يعمل على تطوير القسم المالي الى كليات للتخصص في شتى فروع الشريعة الإسلامية فأنشأ عام ١٩٥٧ قسمين ، أحدهما للشريعة الإسلامية وآخر للغة العربية مستعينا بأساتذة أجلاء من علماء الأزهر الشريف وما لبث القسم العالي أن تطور الى كلية إسلامية عام ١٩٦٣ م ثم ارتقى فأصبح جامعة إسلامية وقد حدد قانونها الصادر عام ١٩٧٠ م وظيفتها في الآتي : (١) .

١ — تعمل الجامعة الإسلامية على بناء الذات السودانية بدراسة التراث العربي الإسلامي واثراء الحياة السودانية بمحتويات الحضارة العربية الإسلامية وتوظيف خصائصها لخدمة المجتمع السوداني ودراسة اللغة العربية وعلومها .

٢ — تقوم الجامعة بتدريس الطلاب للقيام بآية واجبات تخصصية في ميادين اللغة والدين والقانون والإدارة وفي الدور التي يخصصه لها المجلس القومي .

---

(١) تدعيم الجامعة الإسلامية .

٣ - تقوم الجامعة في اطار برامج الدولة بالبحث الاكاديمي والنظر في قضايا المجتمع من خلال المنطلقات الفكرية الاسلامية المتفاعلة مع احتياجات البيئة .

٤ - ترمي الجامعة في اطار خط الدولة حركة نشر وحياء التراث الاسلامي في القارة الافريقية وتقيم روابط التعاون مع مختلف المؤسسات النظرية في العالم الاسلامي .

وهكذا قامت جامعة ام درمان الاسلامية وكان للازهر واساتذته فضل واثر لا يجمد وتحققت بذلك الامنية التي كانت تعمل في ضمير الامة والتي كان لول من نادى بها فضيلة الشيخ محمد الامين قراعة قاضي القضاة المصري على السودان ( ١٩١٩ - ١٩٣٢ ) منذ عام ١٩١١ في خطاب أرسله لفضيلة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم عندما عين شيخا لعلماء السودان وكانت تربطه به صداقة ومودة يقول الشيخ قراعة في خطابه :

« اهنئك بالمنصب الذي صادف اهله وكانى انظر اليك في مقبل الايام القريبة وقد انشأت بالسودان جامعة اسلامية على غرار الازهر الشريف تعد هذا البلد بعلماء شربوا من منهل المذهب الصافي وتحلوا باخلاقك أخلاق العلماء (١) »

هذا وقد اختير الدكتور كامل الباقر اول مدير للجامعة الاسلامية وهو حفيد الشيخ اسماعيل الولي ومن أسرة درس اقطابها في الازهر كما ذكرنا وكان وائده مدرسا في معهد ام درمان العلمي ، كما درس هو نفسه في ذلك المعهد وتخرج في كليات الازهر وواصل تعليمه في كليات بريطانيا حيث حصل على الدكتوراه - فقد وضع الدكتور كامل الباقر أسسها وتقاليدها ودفع بها قدما حتى أصبحت اليوم جامعة كبرى مثل مثيلاتها في السودان والبلاد الاخرى .

---

(١) عبد الحميد أبو القاسم - النفائس في اخبار وآثار شيخ الاسلام أبي القاسم

أحمد هاشم .

## ● يد الأزهر البيضاء تمتد الى نيجيريا عبر السودان

### العلماء السودانيون في كاتو

لم يقتصر أثر كلية غردون وفضل أساتذتها المصريين في توجيه الطلاب السودانيين توجيهها علميا صحيحا بانه ليس ثمة تعارض بين الدين والتعليم النظامي العلماني ولا على فتحها لآفاق جديدة نحو الثقافة الاسلامية ولم يقف ذلك الاثر على السودان بل امتد ليستظل بظله المسلمون في نيجيريا .

كان هناك تشابه كبير بين السودان ونيجيريا فالمسلمون اغلبيّة في كلا البلدين ويسكنون مناطق معروفة ثم كان البنّان يرزحان تحت سيطرة الحاكم البريطاني كما شهد تاريخهما ثورات دينية جادة اتخذت طابع الجهاد باسم الدين ففي غرب أفريقيا وشمال نيجيريا قامت ثورة الجهاد التي أعلنها عثمان ذاك فوديو وسلالته من بعده في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كما نشبت ثورة مماثلة في السودان بقيادة محمد أحمد المهدي في آخر القرن التاسع عشر .

وعلى مر الأجيال كانت الصلة قوية بين السودان ونيجيريا وغرب أفريقيا فقد كانت جموع الحجيج تأتي منها هيمة الأراضي المقدسة عبر السودان وكان منهم من أقام في السودان كما كان بعض من العلماء السودانيين من سنار يذهبون الى هنسك يدعو من سلاطينها وحكامها ليعلموا الناس تعليما دينيا ولذلك ظل السودان منذ تاريخه القديم وإلى



يومنا هذا أحد مجارى الثقافة الى غرب أفريقيا وكانت وما زالت الهجرة منه  
واليه وغيره قائمة اما طلبا للعلم أو السفر الى الاراضى المقدسة وغيرها  
من الأسباب .

وعندما وقعت نيجيريا تحت نير الحكم البريطانى قطع (١) الحكم  
المستعمرون عهدا مع المسلمين فى نيجيريا على الا يتدخلوا فى شئونهم  
الدينية وألا يسمحوا للتبشير المسيحى ليقوم بنشاط، فى بلادهم خشية منهم  
ان تنشأ ثورات دينية أخرى وتؤثر مصالح بريطانيا الاستعمارية من  
جرائها وكانوا قد طبقوا عليهم سياسة الحكم غير المباشر التى ابتدعها  
اللورد فردريك لوقارد الذى كان حاكما عاما على نيجيريا .

ولمّا وبعد الاتفاق بين الإدارتين الاستعمارية فى السودان ونيجيريا  
رؤى ان يستفاد من خبرة المعلمين والقضاة السودانيين الذين تخرجوا فى  
كلية غردون فى اللغة العربية فأرسلت أول بعثة من المعلمين وكانت تتكون  
من السادة الأساتذة محمد عثمان ميرغنى وعبد العال حمور ومحمد نور سيد  
أحمد وكان كل هؤلاء الأساتذة من الذين تلقوا علومهم على يد معلمين  
مصريين متخرجين من الأزهر .

اضطلعت تلك البعثة بوضع أسس تعليم نظامى علمانى تدرس فيه  
العلوم العصرية جنبا الى جنب مع دروس اللغة العربية والدين وكان  
المواطنون هناك يدرسون علوما دينية فقط على أيدي مهاجرين أفريقيين  
وعلى أسس بدائية .

عادت البعثة السودانية بعد أن أدت مهمتها بنجاح وقد شددت اليها  
اهتمام السكان فى نيجيريا الذين طالبوا ببعثات أخرى . ثم أرسلت  
بعثات قوامها قضاة شرعيون من السودان منذ عام ١٩٣٤ الى منتصف  
الستينات .

كانت البعثة الأولى تتكون من أصحاب الفضيلة البشير الربيع  
ومحمد صالح سوار الذهب والنور الثنقارى وهؤلاء جميعهم من متخرجي  
مدرسة القضاء الشرعى فى كلية غردون التى اقترح فكرتها فضيلة الشيخ  
محمد شاکر قاضى القضاة المصرى ( ١٩٠٠ - ١٩٠٤ ) وقد درس هؤلاء

---

(١) د. حسين ابراهيم حسن . انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية ص ٢٥٤ نقلا

عن تاريخ نيجيريا لبيروز .

القضاء على أساتذة مصريين من الأزهر هم الشيوخ الجداوى والشرقاوى  
والمراغى أخو الشيخ مصطفى المراغى .

وتولت بعثات القضاء الشرعيين الى شمال نيجيريا وظل الشيخ  
البشير الريح قطبه رحاها منذ عام ١٩٣٤ . وثقة في تلك البعثات واعترافا  
بفضلها اختير أحد أفرادها وهو الشيخ عوض محمد أحمد ليصبح قاض  
لقضاة شمال نيجيريا .

لقد أدت تلك البعثات مهلتها بجد وإخلاص مما جعل سكان شمال  
نيجيريا يلهجون بذكرهم والثناء عليهم مثل ما فعل السودانيون مع  
أساتذتهم المصريين . كما ذكرنا في مجال آخر . لقد فتحوا في مدينة  
كانو مدرسة العلوم العربية تدرس فيها اللغة العربية والشرعية الإسلامية  
والدين ليتخرج منها قضاة للمحاكم الشرعية ومدرسين للغة العربية والدين  
في المدارس الحكومية وأصبح بفضل تلك المدرسة كل قضاة شمال  
نيجيريا ومدرسيها من خريجيها وأوقف تعيين المهاجرين والمعلمين  
المحليين .

لقد أدى المعلمون والقضاة السودانيون الذين درسوا في كلية غردون  
في الخرطوم على أيدي علماء مصريين من الأزهر نفس الدور الذي قام به  
العلماء المصريون في السودان . وهو التوفيق بين الدين ومطالب الحياة  
العصرية وهذا هو جوهر دعوة الامام محمد عبده وغدت بذلك كانو عاصمة  
نيجيريا مركزا من مراكز الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا بعد ان تأهل  
علمائها وتسلموا الأمانة بأنفسهم .

## ● احصائية عديدة من الطلاب السودانيين في الأزهر

أقبل الطلاب المسلمون على الأزهر باعتباره قبلتهم العلمية وكما  
قال شوقي :

ان الذي جعل العتيق مثابه      جعل الكنانى المباركا كوثرا  
العلم فيه منساهلا ومجانيسا      ياتى اليه النزاع يبتغون القرى  
ياختية المعمر سمار حديثكم      نسا بافواه الدروب وعنبرا

لا نعرف على وجه التحقيق تاريخ دخول السودانيين للأزهر حيث  
لا تتوفر أدنى معلومات عنهم وعن غيرهم من الطلاب الوافدين ولكنهم منذ أن  
عرفوا طريق الأزهر وفدوا اليه وجاوروه وكان مما شجع هؤلاء المهاجرين  
وأولئك من البلاد الإسلامية بناء أروقة أعدت لسكن الطلاب البعيدين من  
القاهرة والوافدين من البلاد الأخرى . ولعل أقدم حديث عن أولئك  
الطلاب وأروقتهم ما جاء في خطط المقرئى فى القرن التاسع الهجرى -  
الخامس عشر الميلادى ، فقد ذكر ان عدد الطلاب الفقراء الملازمين للمسجد  
بلغوا فى عهده ٧٥٠ طالبا وهو هنا يشير فقط للفقراء الذين تضطرهم  
ظروفهم للمجاورة فى الأزهر - ثم لا نجد أى معلومات عنهم الا ما ورد فى  
كتاب الذيل للمقرئى تأليف عبد الحميد نافع فى القرن التاسع عشر  
فى معرض ذكره عن الأروقة وعدد طلاب كل رواق والخبر المخصص لكل .

وعن السودان ذكر فى الذيل على المقرئى ان عدد طلابه ٨٥ طالبا  
٥٠ طالبا فى رواق سنار و ٣٥ فى رواق الدكارنة ويقصد دارفور .

لم نستطع الحصول على إحصائية كاملة بعدد الطلاب السودانيين في الأزهر منذ آمد بعيد فقد كانت حلقات الدراسة مفتوحة لكل طالب ولم تكن هناك سجلات تقيّد عدد الطلاب والاحصائيات أدناه توضح عدد الطلاب السودانيين المقيدين في سنوات متفرقة وهي بالرغم من انها لا تحوى سجلا كاملا لعددهم الا انها نلقى ضوءا على كثرتهم مقارنة بالطلاب العرب من البلاد الأخرى .

في عام ١٩٤٣ بلغ عدد الطلاب المقبولين في (١) المدارس المصرية كالآتي :

٣٦	طالبا في الجامعة
٩٥	المدارس الثانوية
٤٦٣	الأزهري

---

٥٩٤ المجموع

وفي عام ١٩٤٥ أسست الحكومة المصرية بيتا لإقامة الطلاب السودانيين في القاهرة مع منحهم إعانات شهرية مما شجع الشباب السوداني للهجرة الى مصر طلبا للعلم وكان عددهم .

٢٩٨	في جامعتي فؤاد وفاروق ( القاهرة والاسكندرية اليوم )
٢٥	المعاهد العليا
٤٦٦	الأزهري

---

٨٧٨ (٢) المجموع

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٦٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٠٧ .

## عدد الطلاب الوافدين على الأزهر الشريف

من البلاد العربية والبلاد الأخرى

نسبة السودانيين	مجموع الوافدين	البلاد الأخرى	البلاد العربية	السودان	العام
٪٣٩ر٢٥	٢٥٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٠٠٠	٥٢/٥١
٪٤٥ر٦٥	٢٨٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٣٠٠	٥٣/٥٢
٪٥٩ر١٦	٤٠٨٢	٧٥٥	٩١٢	٢٤١٥	٥٤/٥٣
٪٥٦ر٨٩	٤٢٩١	٨٣٢	١٠١٨	٢٤٤١	٥٥/٥٤
٪٤٥ر٥٥	٣٢٩٣	٧٨٤	١٠٠٩	١٥٠٠	٥٦/٥٥
٪٤٨ر٨٣	٣٠٧٢	٨١٥	٧٥٧	١٥٠٠	٥٧/٥٦
٪٤١ر١٢	٢٥٢٧	٧٨٨	٦٢٤	١١١٥	٥٨/٥٧
٪٣٧ر٥٥	٢٧٨٨	١٠٠٦	٧٣٥	١٠٤٧	٥٩//٥٨
٪٣٥ر٩٧	٢٩٣٠	١٠٨٢	٧٩٤	١٠٥٤	٦٠/٥٩
٪٣٢ر٣٥	٣٠١٧	١١٨٧	٨٥٤	٩٧٦	٦١/٦٠
٪٢٧ر٥٣	٢٧٢٥	١٢٠٥	٧٨٧	٧٣٣	٦٢/٦١
٪٢٠ر٩٤	٢٨٨٤	١٤٤٤	٨٣٦	٦٠٤	٦٣/٦٢
٪١٨ر٣١	٣٦٣٦	١٩٦٨	٩٩٤	٦٦٤	٦٤/٦٣

ويلاحظ تناقص عدد الطلاب السودانيين منذ عام ٥٧/٥٦ إذ كان عددهم ١٥٠٠ إلى ٦٦٤ في عام ٦٣/٦٤ والسبب في ذلك تحويل بعضهم إلى المعاهد الدينية التي افتتحت في السودان آنذاك .

(١) الأزهر تاريخه وتطوره - الأرنؤف - ص ٥٧٠/٥٧٤ .

## الطلاب السودانيون وغيرهم

### جامعة الأزهر عام ١٩٦٣/١٩٦٤ كلية الشريعة

المجموع	الفرق الدراسية				
	(٤)	(٣)	(٢)	(١)	
٧٦	٢٦	٢٧	١٩	٤	السودان
١٢٦	٢٦	١٦	٤٤	٤٠	الدول العربية
١١٣	٢٣	٣٤	٢١	٣٥	دول أخرى
٣١٥	٧٥	٧٧	٨٤	٧٩	

نسبة الطلاب السودانين لطلاب البلاد العربية = ٦٠٪

نسبة الطلاب السودانين لكل الطلاب الوافدين = ٢٤٪

### كلية الدراسات العربية

٢٢٥	٥٨	٥٢	٧٢	٤٣	السودان
١٤١	١٤	٢٨	٤٨	٥١	الدول العربية
٢٨	٤	٢	٤	١٨	دول أخرى
٢٩٤	٧٦	٨٢	١٢٤	١١٢	

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ١٥٩/٥٠

نسبة الطلاب السودانيين لكل الطلاب الوافدين = ٥٧٪

### كلية أصول الدين

١٩	١٢	٥	١٦	٥٢	السودان
١١	٣	٢	١	١٧	الدول العربية
٢١	١١	١٩	١٥	٦٦	دول أخرى
٥١	٢٦	٢٦	٣٢	١٣٥	

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ٣٠٥/٨

نسبة الطلاب السودانيين للطلاب الوافدين = ٣٨/٥

بلغ عدد الطلاب السودانيين في عام ٨٢/٨٣ في كليات الأزهر -  
عديدة ونظرية - ١٢٤٥ طالبا .

ومن الملاحظ ان عددا كبيرا من الطلاب السودانيين تلقوا ويتلقون العلم في الأزهر منذ القدم والى يومنا هذا ولعله مما يلفت النظر النسبة الكبرى للطلاب السودانيين بالمقارنة مع غيرهم من الطلاب فقد ظل الأزهر كعبة العلم يهاجر اليها الطلاب من السودانيين وظلت مصر كطيمها دائما أبدا تفتح ذراعيها حانية عطوف لهم ولغيرهم في أزهرها ومعاهدها العلمية .

هذا ويخصص الأزهر زيادة على ذلك متعا دراسية للطلاب السودانيين من الجنوب وجبال النوبة وهي المناطق التي يغلب على أهلها الوثنية وقليل منهم المسيحية حيث تقوم الارشائيات المسيحية بنشاط وافر هناك .

والآن ينتظم الطلاب الوافدون بما فيهم السودانيون في الدراسة ويقيمون في مدينة انشئت خصيصا لاقامتهم وانتقالهم من الازوقه العتيقة ولا يخفى على القارئ الأثر الكبير الذي تحدثه هذه المدينة في لم شملهم وتعاونهم وتعارفهم في مجتمع علمي مثالي وبذلك نخدم غرضا اسمى وهو تدعيم الروابط بين الشعوب وتوثيقها .

أقبل الطلاب السودانيون في الأزهر على الدرس والتخصص سبيل  
بجد واجتهاد منذ أن عرفوه والتحقوا به . ووصفت مجلة الوقائع المصرية بعض  
الذين كانوا يترددون عليها فهم بأنهم غاية التهذيب والتجابه والاستقامة .  
وكذلك ما جاء في الانجازات التي منحها لهم أساتذتهم من علماء الأزهر .

كما قال عنهم أستاذ مصري (١) :

« والحق أنه كلما حدث أى اتصال بين أبناء السودان وغيرهم من  
متقفي أبناء العرب كان الأولون سياقين للاستفادة والتعليم . . . . »

هذا وقد تولى بعض منهم مهنة التدريس في الأزهر نذكر منهم على  
مختلف العصور .

الشيخ محمد بن أحمد البدوي (٢) :

وهو حفيد الشيخ عيسى بن بشارة الانصارى الخزرجى عميد الأسرة  
المعروفة في أرض الجزيرة في الاقليم الأوسط في السودان . كان الشيخ  
محمد ووالده الشيخ أحمد البدوي يواصلان دراستهما معا في الأزهر على  
علمائه ونذكر من أولئك العلماء الشيخ ابراهيم الباجورى الشافعى شيخ  
الأزهر المتوفى عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م والشيخ أحمد جبل الحنفى  
والشيخ عيش المالكى المتوفى ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م وقد منح الشيخين  
محمد ووالده أجازات مشتركة من أساتذتهم ما عدا الشيخ عيش فقد  
منح كلا منهما أجازة مستقلة .

وتدل هذه الأجازات ان الشيخ محمد ووالده تفقها في المذاهب  
الثلاثة الشافعى والحنفى والمالكى .

لقد عمل الشيخ محمد مدرسا في الأزهر وظل في وظيفته تلك نحو  
ثمان سنوات حيث توفى في مصر .

ومن السودانيين الذين تولوا مهنة للتدريس في الأزهر الشيخان  
أحمد الأزهري وابن أخته اسماعيل عبد القادر الكردفاني اللذين ورد  
ذكرهما آنفا .

(١) د . عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) عز الدين الأمين - قرية لتراتج وأثرها العلمى في السودان ص ٧٤ .



### ومنهم الشيخ محمد نور الحسن :

ويعرف في الأزهر بالشيخ نور وهو من أسرة دينية معروفة في السودان نزح إلى الأزهر في عام ١٩١٢ وأكمل تعليمه فيه وبرع أساساً في علوم اللغة العربية . وكان زميلاً للشيخين شلتوت وعبد اللطيف دراز في الدراسة -

اختير مدرساً في الأزهر ثم وكيلاً له كما كان عضواً في المجمع اللغوي وتوفي في مصر عام ١٩٧١ ودفن في مصر مع الشيخ شلتوت بناء على وصيته -

### الشيخ محمد المبارك عبد الله :

ولد في أم درمان عام ١٩٠٥ وبعد أن حفظ القرآن في الخلوة في العاشرة والتحق بالمعهد العلمي في أم درمان ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر عام ١٩٢٣ على نحو ما ذكر هو في وصفه لرحلته إلى مصر وحصل على شهادة التخصص القديم في عام ١٩٣١ وهي ما تعادل الدكتوراه -

عين مدرساً في الأزهر وانتدب إلى السودان للتدريس في المعهد العلمي وكلية الدراسات الإسلامية على نحو ما ذكرنا سابقاً .

## ● شعراء السودان يلهجون بذكر أساتذتهم المصريين

حفظ السودانىون ذلك الصنع والعمل الجليل فى قلوبهم بكثير  
من الامتنان وحفظ الجميل وتغنى بذلك الفضل شعراؤهم وكتابهم وانى  
لأسوق مثلا لذلك العرفان بالجميل أبياتا من شعر بعض ممن درسوا على  
أولئك الأساتذة .

يقول الاستاذ عبد الله عبد الرحمن فى قصيدته « العروبة » مشيرا  
الى أساتذته المصريين ذاكرا محاسنهم وفضلهم على بلاده وأثرهم الواضح  
فى رفعتها ونهضتها .

وكانت لنا فى غابر الأمل نهضة  
مباركة لا اللهو منها ولا الدد  
فعبد الرؤوف والخطيب كلاهما  
له بيننا الفضل الذى ليس يجحد  
هما حركتهما النفسوس وانشرا  
علسوما على أضوائها اليوم نصعد  
وظالمنا هزنا النفسوس بطيب  
من القول يرضاه الوليد وأحمد  
ولاحنا على الخرطوم نجمى مصارف  
به وعوادى الدهر اذ ذاك تولسد

وفي اليوم قد شابت وشب وليدها  
 ومارسها منا كسبح وامررد  
 وذلك عهد قد سعدنا بفضله  
 لسوان الكريم الحر في الدهر يسعد  
 فآليت لا انسى له فضيل تعديه  
 على والاحسان متى موجد  
 اولئك الكتاب اساس نهضة  
 وكثر تمسين للثقافة يرشد  
 هم العائشون في نفوس كثيرة  
 وفي كل قطر من صنائعهم بسد  
 تخسيرهم بين الانعام لفضيلهم  
 واكثرهم ان كنت للناس انفسد

كما يقول في قصيدة اخرى .

يانسسيما يختال بين رياضي  
 راويا عن ارجهين اتمسالة  
 قف رويانا واجمع الزهر واحمل  
 لرجال العلوم منى دمسالة  
 لرجال العلوم في ارض مصر  
 واهبى الضاد حسنها والجزالة  
 قبل لهدى الكرام يجمعها النادى  
 بسدورا ويختسرون هالة  
 لسكم السود في البلاد مقيما  
 مما اظن الزمان يطوى ظمالة  
 انما مصر والمروية والسيودان  
 شعب ابي الاله انفسالة

وتقتطف ابياتا من قصيدة للشاعر السوداني عبد الله حسن  
 الكردي يتحدث فيها عن امر المصريين ويحث لقرينهم بعد ان ابعثوا  
 من السودان عام ١٩٢٤ م .



« ولا أدري والله كيف اعتلأرى عندك في تأخير الرد وقد طوقتني .  
 بجملكم وشملتني بفضلكم اذ تذكركم استاذكم على طول العهد وبعد  
 الشقة وانى لاطيب نفسا ان اكون تلميذا لكم في حفظ الجميل ورعاية  
 الود والثبات على العهد ... وقد تفضلتم بإرسال كثير من قصائدكم  
 التي يفوح منها عبير الاخلاص والتي يدل كل حرف فيها على شاعرية  
 مطبوعة تشير كل قافية الى ذوق جميل وكل شطر الى نفس كبيرة  
 وكل بيت الى مجد عامر وكل قصيدة الى حسن متبع من الاخلاق  
 العالية والخصال الرقيقة .. » .

ومن قصائده العديدة في حب مصر والتغنى بفضلها وفضل  
 اساتذته نقتطف بعضا من الأبيات :

واهسا لمصر واوقسات سسعت بها  
 لقد تقضت ولما اقضى من قرب  
 يخونني الصبر ان غالبت دونكم  
 حر اشدياقي ودعسا جدا منسكب  
 عندي لكم يسد فصل لست اجهدها  
 يد الزناتي مصولى العلم والحسب  
 سريت في ضموته حينما يقوم من  
 عودي ويفسح لى من صدره الرحب  
 وفي قصيدة اخرى يقول :

ان يسورى عنكم فما من  
 مذهب الحب والوفاء ان اورى .  
 لو يكون الخيار حكما لا اختوت  
 تزوجا عنكم ولا قيسه تسير  
 ربي قدر لمصر طالع اسعاد  
 وهيب لمصر اصلاح امر  
 ويقول في قصيدة اخرى :

بنو الكنانة ما اشهى الحديث لهم  
 الى النفوس وما اعلاهم قيما  
 زدنى سؤالا اذك اليوم معرفة  
 بهم فما كان ذو جهل بهم علما

هم الكرام فكم فيهم اخو نفسه  
 حلو الشمايل تنسدى كفه . كرمه  
 بشوا المصارف بالسودان فازدهرت  
 به وشادوا منار العدل فانتظمت  
 ولا وربك ما كانسوا لنا ابيسا  
 بقاسطين ولا كنا لهم خسدا  
 عنسدى مهر وللفسر الكرام يد  
 والحر من يات يرعى العهد والدمما

ويقول في قصيدة اخرى :

اسفري بين بهجة ورشاقة  
 وارينسا يا مهر تلك الطسلاقة  
 انت للقلب مستراد وللعين  
 جمال وللشمس يساق  
 انت عنسدى اخيت الجنيفسه  
 ما اسمك ديننا وما اجل اعتناقه  
 انت ذكرتنى ولست بنساق  
 در نسدى رخصت منك فواقه

وفي قصيدة اخرى يقول المباسي :

ولو كان لسي علم ما في غمد  
 لما يعت مهر يسسسودانيه  
 ودعتهم امس لا عين قسسىلى  
 ولم تكن الفس بانسسباليه  
 لها ولا ينسناكها الاكرمين  
 اباد بنابرة اسسبيه  
 بسروحي ولست تهساب الردى  
 كساتعة دونها شساريه  
 فاني من غرس نعمسناها  
 غراس هم الثمر الدانيه

ومما بالقليل انتسباني لها  
 فساني حمادها السراوية  
 بنى مصر حياكموا ذو الجلال  
 بعرف تحياته الزاكية  
 بيسكم غدت اليوم أم اللغات  
 كجستاء في حسلي صافية  
 حملتم بمصر وبالشمرقين  
 وسالة آدابها العالية  
 بلوننا الكرام فكانوا البناء  
 وكنتهم به جسر الزاوية

ومن المناسب أن نذكر تطبيق الدكتور زكي مبارك تحت (١) عنوان  
 جاتبي « نعمة سودانية » مشيراً إلى قصيدة العباسي التي أهداها  
 إليه :

« كان من توفيق الله أن تلتفت إلى الأدب السوداني بعض  
 الالتفات فيه أتيت لي فرصة للتعرف إلى ما هناك من روائع لو  
 نشرت لبهرت شعراء مصر والشام والعراق أقول هذا وأمامي قصيدة  
 للشاعر محمد سعيد العباسي قصيدته خفيفة الروح حن فيها إلى  
 أيامه في مصر فقال :

ولو كان لي علم ما في غد  
 لكما بعث مصر بسودانيه

واسنم في سرد القصيدة كاملة حتى قول العباسي :

بلوننا الكرام فكانوا البناء  
 وكنتهم به جسر الزاوية

ثم استطرد الدكتور زكي مبارك « أيها الشاعر الذي حيا مصر  
 حياك الله وحياك فقد طوقت جيد مصر بقلائد صنعت من حبات القلوب -  
 لهذا شعر أم سحر ؟ - هو غرق الشعر وفروق السحر - هو الهام جاءت  
 به فطرة كريمة الأصل في بلاد أبنائها أصلاء .. »

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٨٢ عام ١٩٤٢ خلا عن وثقات مع العباسي - عبد القادر

والشيخ إدريس أبو حالة ص ٢٠٥ -

وليعرف السودانيون اننا لا نقبل ان يكونوا اوفى منا باى حال  
وسنعارض هذه القصيدة بقصائد وسنريهم ان مصر تجزيهم صدقا  
يصدق واخلاصا باخلاص - آيتها الأرواح الشوارد بأعلى النيل أيها  
الحافظون لامجاد الاسلام بالوادى السحيق هل تعرفون مكانكم فى  
أنفس المصريين .

وهناك ممن اشادوا بفضل مصر على السودان الاستاذ احمد  
محمد صالح الشاعر والمربي الكبير فى كثير من قصائده تذكر بعض  
ابيات من احدى قصائده :

مصر وما مصر ~~سسى~~  
وطن القسورة والأسود  
ومسيرة الأدب الرفيع  
وكهيسة المسلم الميسد  
وزعيمية الشريق الفدى  
فى انجساد وفى الجهود  
هى مولد للمستجير  
ومنهم من عذب السورود  
وعلى جنوب النيل كم  
قاضيت اياديهما بجود  
جنينا وبسبب ضلوعنا  
شوق العميد الى العميد

هذه قطوف مما جادت به قرائح بعض من شعراء السودان الذين  
تلقوا العلم زائسا على معلمهم المصريين فى اللغة والدين ولتذكر جزءا  
يسيرا من قصيدتين لشاعرين من الجيل الثانى الذى نشأ وتثقف على  
سودانيين درسوا على امثلة مصريين بعيد ان ابعد المصريون من  
السودان اثر حوادث عام ١٩٢٤ والشاعران من متخرجى المعهد العلمى  
فى ام درمان بقول التجانى يوسف بشير .

عادنى اليوم من حديثك يا مفرار  
دلى وطسوفت بسى ذكسرى  
وهفنا باسمك الفؤاد ولجت  
بأسسمة على الخسوافر سكرى  
انمسا مصر والشقيق الاخ السودان  
كانا لخفافى النيل صسيرا



حلفنا مجسده القديم وشهادنا  
 منه صبيتنا ورفضنا منه ذكرى  
 افلسنا الفسى هوى جوعتنا  
 سرخسة الفكر فى اواخر اخرى  
 كيف يا قومنا نباعد بين فكري  
 شمسنا وسماننا البعض انذا  
 كيف قولوا بجانب النيل شطيه  
 ويجسرى على شواطئ اخرى  
 كلمنا انكسروا ثقافة مصر  
 كنت من صنعها يراعا وفكسرا  
 جئت فى حدها عسرا فحيا  
 الله مستودع الثقافة مصر  
 نضر (١) الله وجهها فهى ما تزداد  
 الا بمسدا على وعسرا

والابيات الآتية من قصيدة للشاعر الناصر قريب الله يستقبل بها  
 وفدا من الكتافة فى الثلاثينات بعد قطيعة فرضها الاستعمار البريطانى  
 بين مصر والسودان .

قال الشاعر :

هسه الامنيات يساعين قري  
 واسكى الشدو يا براعة شعري  
 فهنا الشعر يستمد قواه  
 من جمسال على ابتسامة نفر  
 يسا شبيب الكنيسة اليوم عيد  
 عباد فى حلتى سرود وبشر  
 عبادنا والقلوب ملأى استياقا  
 لم يدع شوقها مكانا لمسبر  
 فمساعيكم التى غمرتنا  
 لم تعادل لى ثناء شمسكر

(١) كان الشاعر ينوى الممر الى مصر ولكن ظروفه ابعده عن تحقيق مطلبه .

جعلت حبسنا الكثافة فرضنا  
 شمسان كف الندى بقلب حر  
 وبمصر لنا قلوب اقسامت  
 انحنسونا بانحنساء مصر  
 لمصر والسودان مسسنو شقيق  
 وبنا النيل شمساهد حيث يجرى  
 غير ان السودان عاش ربيبا  
 في حماها فنال اطيب ذخرا  
 فاقطعوا السمسن المكائد لنا  
 اخسوه في الهتساء ومس الضسسر  
 عسمة السدين وحسدتنا وما من  
 عسمة السدين وحسدها من معز

## ● هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان

### شعر العلماء :

— وفي العهد التركي ظهرت طبقة العلماء واخذت تلعب دورا هاما في الحياة الثقافية ، فقد شهد الحكم التركي نزوح افراد قلائل الى الأزهر او له ... ولعل من المهم ان نلاحظ ان بداية الشعر العربي الفصيح في السودان كانت على يد هذه الفئة من العلماء الذين تلقوا تعليما دينيا ولغويا في الأزهر وقضوا فترة من حياتهم خارج السودان .

د . محمد ابراهيم الشوش  
في الشعر الحديث في السودان صفحة ( ١٥ )

— اما همق الصلة بين سنار وعلماء الأزهر فامر لا سبيل الى الجدل فيه فان اعظم علماء سنار تخرج في الأزهر الشريف .

محمد محمود علي  
الشعر السوداني في المعارك السياسية  
١٨٢١ - ١٩٢٤ م ، صفحة ( ٢٤ )

— ولاهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم حتى لقد يقصد بعضهم الأزهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم روافق في الأزهر منذ عهد طویل يعرف برواق

السناريين . . . . . وكلهم عادوا الى السودان فأنشأوا فيها مدارس للعلم .

### نصيم شمسقبر جغرافيا وتاريخ السودان صفحة ( ١٦٨ )

— فالمعهد التركي كان من اظلم العهود على السودان ثقافيا ولولا بيونات العلم والدين والافراد انقلازل الذين شقوا طريقهم الى الازهر الشريف وحرصوا على تلك العلوم على ايدي بعض الاساتذة العائدين من الازهر الشريف لما بقى شيء من التراث العربى .

### محمد احمد معجوب الحركة الفكرية في السودان صفحة ( ١٢ )

لقد ظل الازهر الشريف منارا للوعى والاشعاع لاولئك السذجين كان لديهم شعف وتعلق بدراسة قواعد الدين الحنيف والفقه الاسلامى اكثر من التعلق بالروحانيات وعلم الباطن والكشف ومن ثم فان من الخطأ الزعم بان السودان كان معزولا عن العالم الخارجى او عن مصر بصفة خاصة .

### محمد عمر بشمسى — تاريخ الحركة الوطنية في السودان صفحة ( ١٥ )

ولعل اول ما بدأ من علاقة ثقافية بين مصر والسودان يشكل واضح لا يخطئ كل مطلع على تاريخ هذه العلاقة كان فى العهد السنارى من مملكة الفونج الاسلامية منذ اوائل القرن السادس عشر الميلادى فى هذا العهد نجد الوفود من السودانيين ترد مصر قاصدة موردها العذب ذلك هو الازهر الذى أصبح جامعة اسلامية فيهلون من العلم ما أمكنتهم ظروفهم وما وسعت قدراتهم — ثم نجد وفودا من العلماء المصريين يفسدون الى السودان على طول الطريق وبعده متجشمين الصعاب فيقيمون في السودان متخذين لهم تلاميذ ومعجبين من الدراسين يحيطون وياخذون عنهم العلوم ربما يأخذون عنهم معارف اخرى عن الحياة فى مصر ولايد ان هؤلاء العلماء كانوا يشجعون تلاميذهم على الهجرة الى مصر ليأخذوا العلم

من مصدره ويردوا الحوض الروى فى مكانه فلما هم الا سواقى على شاطئ  
البحر .

• ابراهيم الحارثي  
الرباط الثاني بين مصر والسودان  
صفحة ( ٥ )

الذى يهمنا قبل الدخول الى الطرق الصوفية ان نذكر ان اثر مصر  
كان علميا اكثر منه صوفيا خالصا فكان من يذهب من السودان الى الأزهر  
يعود بحصيلة ممتازة من الفقه والتوحيد واللغة وكان من يهاجر من مصر  
الى السودان فقيها قبل ان يكون متصوفا أو فقيها متصوفا لا متصوفا فقيها  
فى حين ان الطابع الصوفى كان يغلب على من جاءوا من المغرب أو العراق  
أو الحجاز . . .

الدكتور عبد القادر محمود  
العوائف الصوفية فى السودان  
صفحة ( ٩ )

دارفور :

كان الفور ولا يزالون من أكثر سكان السودان حماسا لدينهم وكانوا  
فى تاريخهم الطويل اصلب المسلمين عودا أمام هجمات الفزاة وضربات  
الفاطحيين ولم تكن قناتهم قط أو تقتصر عزائمهم أبدا بل كانوا دائما رجال  
صبر وجهاد فى دين الله ودفاع عن حياض الوطن وكانوا قلعة حصينة  
تفرف عليها راية الاسلام وانه من تقرير الحقيقة ان نذكر هنا ان دارفور  
كانت دائما أول من يشور على الظلم والطغيان وآخر من يستسلم لجيوش  
الفاطحيين ويصدق ذلك فى جميع العهود دون استثناء ولكن لابد لهذا من  
سبب - كل ذلك كان بفضل القيادة الرشيدة والترجيح المخلص الذى  
كان يبذله علماء دارفور من خريجي الأزهر وانتشار الوعي الدينى بين  
طبقات العامة .

محبوب زياتة  
الاسلام فى السودان صفحة ( ٨٧ )

كان بعض السودانين يذهبون الى الازهر ثم يعودون بعد تحصيل العلم والاحظ ان الأثر المصرى فى نشر الثقافة الاسلامية فى السودان قد يتميز بعض الشيء عن غيره بأنه ذو طابع علمى فى معظمه ، أعنى ان الذين تأثروا بالثقافة المصرية فى ذلك العهد اتجهوا الى تعليم الناس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم .

• عبد المجيد عابدين

تأريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٥٩ ( ٥٩ )

ولا تغفل فى مجال الحديث عن الحياة الفكرية فى هذا العصر ان نذكر متعلمى الازهر وخريجيه من السودانين ومنهم من حصل على اعظم الاجازات العلمية .

عز الدين الأمين

تراث الشعر السودانى

صفحة ( ٤٤ )

كذلك تطلع الفونج ( حكام سنار ) الى الازهر فكان الملك بادى الاول ( ١٦١١ - ١٦١٦ م ) على صلة بعلماء الازهر وكان يرسل اليهم الهدايا والصissلات وكان السودانىون يلتحقون بالازهر ثم يعودون الى بلادهم يعلمون اللغة والتوحيد والفقه حتى لقد أصبحت مملكة سنار المركز العلمى لشرقى السودان وغربه .

• حسن ابراهيم حسن

انتشار الاسلام فى الآفة الأفريقية صفحة ( ٢٢٩ )

ان التعليم الدينى فى السودان وصلته الكلية قمته فى حصيلته وتفصيله وفى نشأته وإدراكه قبض من الازهر فالسودانىون أخذوا يفتدون على الازهر يجددون العهد لمصادر معارفهم ويلتحقون بمركز الثقافة الاسلامية الشامخ التى انتهت اليه عليها ليعودوا يعلمون العقائد والفقه والتفسير والحديث والعلوم العربية - فمنهم من كان الشاعل بعبد ان عادوا من شمال الوادى عملا بقوله تعالى : لولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

الآية ١٢٢ من سورة التوبة .....

ومنهم من أثر البقاء في القساسة ليقوم بالتدريس والتعليم بعد  
ان تعلم . . .

ان كلية الدراسات العربية والاسلامية لن تنسى الفضل الذي  
اوليتموها حين تفضلتم بالموافقة على اعارة صنف من أساتذة جامعة  
الأزهر ومعاهده وحين تفضلتم فوافقتم على منح طلابها ست منح للدراسات  
العليا بكلية البنات الاسلامية وهي ترجو دوام هذه الرعاية الكريمة ومواصلة  
المدد في اعارة الجهازة من علماء الأزهر ومنح نوابغ الخريجين فيها منحا  
للكليات العليا بجامعة الأزهر وستكون لزيارتكم هذه أعظم الأثر في  
تقوية الروابط الثقافية الازلية الابدية ان شاء الله .

واذا كان النيل المبارك قد دأب يحمل في مسيرته من الجنوب الحبيب  
والرخاء والحياة الى الشمال فقد دأب الشمال ممثلا بصفة خاصة في الأزهر  
الشريف ان يجزى الجنوب ما يعادل الحياة من المعارف الانسانية السامية  
والثقافية الاسلامية العالية .

لقد أشرق على السودانيين في مطلع هذا القرن وجه الامام الشيخ  
محمد عبده وقد أخذ الاستعمار يحكم عليهم القيود المرحقة فأوحى اليهم  
بالعزة الاسلامية وكانت زيارته شرارة الحركات التحريرية فيما بعد  
فلتكن زيارتك الكريمة بعثا لروح الاصلاح الديني الذي عمل له وامتاز به  
الامام محمد عبده ودعما لنهضة التعليم الديني في السودان وعونا على  
احياء التراث الاسلامي والحفاظ على القيم الاسلامية .

من كلمة الأستاذ محمد المبارك غير الله .

شيخ علماء السودان ومدير كلية الدراسات العربية والاسلامية -  
تعيضة للامام الأكبر محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عند زيارته  
للسودان .

## خاتمة

في مستهل القرن السادس عشر للميلاد وعلى وجه التحديد عام ١٥٠٤ قامت في السودان دولة سنار وكان أصحابها يطلقون عليها السلطنة الزرقاء (١) كذلك سميت سلطنة الفونج الى الاسرة الحاكمة .

قامت دولة سنار بفضل تحالف القبائل العربية النازحة التي استوطنت السودان مع أسرة سودانية حاكمة كانت تقطن في الجزء الجنوبي الشرقي على حدود اثيوبيا ويزعم شيوخ تلك الاسر انهم ينتمون اصلا الى بني أمية تركوا ديارهم بعد سقوط دولتهم وقيام دولة بني العباس. واختلف المؤرخون في أصلهم هذا ولكن السائد صحة زعمهم بأنهم يرجعون الى بني أمية لقد قضى ذلك التحالف على الدولة المسيحية في السودان وأصبحت البلاد جميعها تدين بدين الدولة الجديدة وهو الاسلام والسودان الجنوبي بالطبع لا يدخل في هذا النطاق اذ لم يستكشف الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الجهد التركي على السودان .

لقد قامت دولة سنار الاسلامية قبل أقل من خمسة قرون وما يقرب من ألف عام من قيام الدولة - الاسلامية في مصر وهذا تاريخ حديث بالنسبة لدخول الاسلام في مصر أو أي بلد عربي آخر ولذلك يمكننا القول ان بلدنا حديث عهد بالاسلام .

---

(١) الزرقاء يقصد بها السوداء .



ظهرت الدولة السودانية الإسلامية الى حيز الوجود بعد ما حلت بالمالم الإسلامي كوارث عدة على رأسها سقوط بغداد في المشرق وقرطبة والاندلس في المغرب وبعضه ان تمزق الى دويلات ثم بضم الحكم التركي العثماني على صدره وسمى سلاطين آل عثمان ليتولوا زعامة الأمة الإسلامية ويروى ان السلطان سليم القائد التركي بعد ان تم له فتح مصر قدم الى سواكن وهم يفزو سنار (١) خاطب ملكها عمارة دونقس يدعو الى الطاعة فرد عليه بما مفاده ( اني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادى فان كان لأجل تأييد الإسلام فاني وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وإن كان لغرض مادي فاعلم أن أكثر مملكتي عرب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية مستوية ) وأرسل له مع الكتاب انساب قبائل العرب الذين في مملكته جمعه له الامام السمرقندي أحد علماء سنار ويقال ان السلطان سليم عدل عن غزو سنار بعد ان وصله الكتاب والانساب وأخذها معه ولا تزال في خزانة اسطنبول .

استمرت دولة سنار أكثر من ثلاثة قرون شهدت فيها وعاصرت أحداثا جساما حيث انتقل مركز الثقل الحضارى الى أوروبا بعد عصر النهضة وما صاحبه من تطور كبير في ميزان السياسة والثقافة والفكر وتسلمت أوروبا مقود السياسة الدولية بعد ان ظل قرونا عند المسلمين .

ان تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في بلادنا جزء لا يتجزأ من تاريخها في البلاد العربية الإسلامية الأخرى ولعل من أبرز ظواهر الحضارة العربية انها لم تنقطع بل ظلت تواصل سيرها على مدى عدة قرون في ثلاث قارات آسيا أفريقيا وأوروبا وفي تبادل ثقافي إسلامي متصل فكانت الكتب تنسخ وتنتقل من المشرق الى المغرب والى السودان في أفريقيا وكان العلماء والعقهاء يتنقلون من بلد عربي وإسلامي لآخر يؤدون دورهم ورثة الانبياء وينشرون العلم في كل بلد رحلوا اليها وكان المسلمون وهم مدفعون بتعاليم القرآن وحديث الرسول صلعم يهاجرون من بلادهم طلبا للعلم كان الدرب مطروحا وممهدا دون حواجز سياسية أو دينية أو لغوية من فارس والعراق الى الشام ومصر والاندلس وأصبحت للثقافة الإسلامية وللغة العربية مكانتها وسيادتها وأضحى الإسلام دين العقل ووسيلة لتوحيد تلك الشعوب

(١) يوم شقير - تاريخ وجغرافية السودان جبعة بيروت ص ٢٨٩ -

وائتلافها وأساس حضارة تقدمية نهل منها الغرب وتفتحت عيونه ومداركة عليها .

ازدهرت الثقافة الإسلامية في السودان بفضل هؤلاء العلماء الوافدين اليه من الأزهر أساسا والبلاد العربية الأخرى وبفضل العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر وأنباعهم وتلاميذهم الذين أخذوا العلم منهم وأصبح السودان موئلا لكثير من العلماء والمواطنين العرب الذين تركوا ديارهم في المشرق لتعصف الحكام وفهرهم ومن المغرب خاصة تحت سيطرة المسيحيين الكاثوليك على الأندلس وتكنيلهم بالمسلمين وإجبارهم على اعتناق المسيحية وطرد ما يقرب من نصف المليون الذين أثروا أن يظلوا على دينهم وهاجر كثير من هؤلاء أولئك إلى البلاد العربية ومنها السودان ولقوا من المعاملة الكريمة وحسن الوفادة مما جعلهم يتخذونهم مستقرا لهم .

لقد شيدت في البلاد مساجد كبرى وخلاوى وزوايا في الشمال وأرض الجزيرة والنيل الأبيض يؤمها الطلاب وقد تفرغ أولئك الرواد من العلماء والفقهاء وانقطعوا لتعليم الناس وارشادهم وكانوا قد عرفوا علم الكلام والمنطق وأصول الفقه على مذهب مالك وبعضهم على مذهبى مالك والشافعى كما وقفوا على الكتب المتداولة لكبار العلماء الإسلاميين في زمانهم ومن سبقوهم كان الطالب يبدأ بحفظ القرآن أولا حفظا جيدا مجودا ثم يتجه لدراسة علوم الفقه على مذهب مالك وعلم التوحيد واللغة العربية واللغة العربية وأدبها بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالرياضيات والعمك والتاريخ الإسلامى ومنهم من لم يكتف بذلك بل ينسب إلى مصر لينهل من أزهرها الشريف ثم يعود عالما مرموقا .

وكان العلماء يؤلفون الكتب في العقائد والشروح والحواشى وكانوا ينسخون الكتب الكبرى ويوزعونها لتعم الفائدة وقد لاحظ الرحالة السويسرى بيركهاردت الذى زار السودان عام ١٨٦٣ أنهم ينسخون الكتب فى خط انيق لا يقل روعة عن المخطوطات التى رآها فى القاهرة غير أن كتبهم التى ألفوها أو نسخوها أو احتفظوا بها فى خزائنهم فقدت أما فى حملة الدكتور دار الدموية المسورة على طول البلاد وعرضها انتقاما لمقتل اسماعيل باشا قائد الجيش التركى الذى فتح البلاد عام ١٨٢٢ م وقمعا للثورة التى أشعلت البلاد ضد الحكم التركى الجديد حيث ترك الناس ديارهم وتفرقوا أبدى سببا أو بسبب تآكل الكتب وتلفها حتى أتت الثورة المهديّة ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ) فقضت على البقية الباقية من الكتب وأحرقت بأمر الأمام المهدي .

وحرق الكتب هذا ليس جديداً في التاريخ الإسلامي فقد أحرق المالكية في اشبيلية والأندلس مكتبة ابن حزم الأندلسي في القرن العاشر للميلاد بل حتى أحياء علوم الدين لتغزالي أحرق في قرطبة .

لقد ظهر علماء سودانيون علاصيتهم في الداخل والخارج وقصدهم طلاب العلم من شرق أفريقيا وغربها ومنهم من ذهب إلى غرب أفريقيا يعلم الناس هناك وأصبحت سنار مركزاً رئيسياً للعلم في أفريقيا وكانوا على اتصال مع وصفائهم في الأزهر يجادلونهم ويعرضون عليهم بعض القضايا التي يختلفون عليها .

لقد خلعت البلاد بحركة علمية عظيمة بلغت أوجها في القرن السابع عشر وكان الملوك والسلاطين يقدون على العلماء ويجزلونهم العطاء ويستجيبون لكل مطالبهم وقامت تلك البيوتات الدينية بنشر العلم والثقافة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة تحافظ عليها هذا ومازال كثير من تلك البيوتات الدينية تضطلع بذلك الدور إلى يومنا هذا ثم شهدت بلادنا علاقة أوثق بمصر بعد أن خضعت البلاد لحكم محمد علي وأسرته وأصبح الطريق إلى الأزهر سهلاً مطروقا وحل ببلادنا مصريون أزهريون منهم من حظى بالسفر إلى أوروبا ضمن بعوث محمد علي باشا إلى هناك ودخل ما يسمى بالتعليم النظامي الذي كان يحمل طابعا حضاريا وثقافة جديدة على أسس ما كان يجري في أوروبا وسار ذلك التعليم جنباً إلى جنب مع التعليم الديني .

ثم قامت الثورة المهدية متائرة بما كان يجري في العالم الإسلامي من ثورات ودعوة إلى العودة إلى منابع الإسلام الأولى ونظرة اجتهادية إلى إقامة مجتمع إسلامي معاف وانخرط في صفوفها كثير من العلماء - السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر وشغلوا فيها مناصب كبرى كما أيدها وساندها الأمامان جمال الدين الأفغاني - ومحمد عبده وعطف عليها كثير من علماء الأزهر وقتل في سبيلها والدعوة لها أحد علماء الأزهر الذي نفي إلى الخرطوم بعد اشتراكه في الثورة العربية وهو العالم الأزهرى أحمد العوام ولكن الثورة المهدية لم تسر إلى غايتها التي من أجلها قامت ولقيت نحبها أمام الاضطبوط الاستعماري البريطاني .

لقد أتى الحكم البريطاني على السودان بعد معركة كررى المعروفة في سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

أتى يحمل معه ثقافتين متباينتين ثقافة هي نتاج الثورة الصناعية

الأوربية وأخذ يفرضها على الناس بطرق شتى فيها الترغيب وفيها الترهيب وثقافة شرقية دينية حملها الاساتذة المصريون على نحو ما ذكرنا وتعلق السودانيون في بادئ الأمر بثقافتهم الاسلامية الموروثة ولكن شيئا فشيئا وأثر السيطرة الأوربية على الدول المستعمرة وفرض لغة الحاكم سيطرت الثقافة الأوربية على مصر والبلاد العربية وكانت مصر دائماً أبدا نافذة السودان للفكر والثقافة العالمية وخرجت المطابع تقذف كتبها ومؤلفاتها وظهر في مصر مثقفون درسوا في الأزهر أساساً يعجبون بالثقافة الأوربية الجديدة كطه حسين وأحمد الزيات وزكى مبارك والمتفعلوطى والكثير غيرهم وكان هناك الكاتب الكبير عباسي محمود العقاد وتأثر جيل من السودانين بهم وساروا في خطاهم مقلدين لا مجددين . وأقبلوا على التهام الكتب الانجليزية والمترجمة من اللغات الأخرى ووجدوا بذلك موردا ثقافيا آخر غير ما ألفه آباؤهم .

ولعلنى التهز هذه الفرصة لأقول لكم بالحرف الواحد بعضاً من مقدمة الأستاذ محمد فريد أبى حديد عام ١٩٤٨ لديوان الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي مما يوضح ثقافة السودان ولغته العربية الخالصة التي تلقاها عبر مجار محددة أولها وأساسها الأزهر الشريف .

**يقول الأستاذ ابو حديد :**

وكنيت قد رأيت نخبة من فضلاء أدباء السودان وقرأت لهم وسمعت منهم وكنيت في كل مرة أزداد ايمانا أن الصور التي تلمع في شعرهم تبعت عن فن أصيل ومن نبع فياض بل لقد ذهب بي الخاطر أحيانا الى أن الملع في شاعر السودان أديبا أبعد أصلا في العروبة من سائر الأدباء .

لقد سمعت في شعر السودان البدوي وفي أمازيجه الشعبية من صيغ الألفاظ ومن صور التعبير ما لا يتوفر الا لقوم لهم لسان عربي أصيل من أرومة بدوية عريقة . لقد سمعت في السودان من شعراء الشعب قوما ينطقون لغة الناس بما لا يدركه في غير السودان الا المتأدب المتوفر على دراسة اللغة فهو ينشد للناس بلغة عامية متحدثا عن الشبان والاسد والرحال والمنارب وما أظن عامة شعب عربي آخر تدرك لهذه الألفاظ معنى من ذلك ذهب بي الخاطر أحيانا الى أن أهل السودان العربي انما ينطقون بلسان قديم ويغترفون العربية من أصل أصيل عبر البحر الأحمر .

## ملاحق

### الاجازات العلمية

#### الاجازة الاولى : (١)

منحها العالم السوداني الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذي درس على الشيخ البنوغري في مصر لتلميذه الشيخ ابراهيم بن أم رابعة .

« . . . أما بعد فإن الأخ الفقيه الصالح المتأدب المتواضع الشيخ ابراهيم بن أم رابعة استحق السيادة والامامة عندي فجعلته قطبا في مكانه ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه ومريسا للمريدين وقنوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين مظهرا شمس المعارف بعد غروبها فاذنته في كل ما حقق نقله وسمعه مني أن يفشييه ويعلمه الناس مخلصا وقد اذنت له باشهارها واشهار ما فيها وتشجيع ما أثمرنا اليه . . . . . تاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية (٢) »

#### الاجازة الثانية : (٣)

أجازها الشيخ على الاجهوري شيخ الاسلام بمصر آنذاك لطالبه الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم والد العالم السوداني المعروف الشيخ خوجلي وقد جاء في الاجازة .

« . . . أما بعد فقد قرأ على الشاب الفاضل والتحرير الكامل الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي ملاح الكباني نسبا والبري بلدا عقيدتي التي ألفتها في أصول الدين والتصوف وشرحها قراءة جيدة نافعة إن شاء الله وحضر قراءتي في مختصر العلامة الشيخ خليل في فقه المالكية في نحو نصف الكتاب المذكور قراءة بحث وتحقيق دلت على نباهته وفقهه

(١) و د . شيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق ص ٣٣ .

(٢) التواتر ١٥٧٤ م .

(٣) و د . شيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق ص ١٦٦ .

بالكتاب المذكور وقد استخرت الله واجزته بما ذكر وبجميع ما يجوز لروايته بشرطه سائلا منه ألا ينساني من الدعاء بسعادة الدارين والدعاء بالرحمة لامواتنا وأموات المسلمين جعله الله من العلماء العاقلين ووفقه لما يحبه ويرضاه في القول والعمل وجعله من عباده المخلصين ونفع بعلمه المسلمين بسجاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

• كُتِبَ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ خَتَامَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ بَعْدَ الْآلْفِ • (١)

### الاجازة الثالثة : (٢)

منحها الشيخ محمد عlish للشيخ أحمد البدوي وكان الشيخ عlish شيوخا على المالكية بالازهر . وقد ناصر الثورة المرابية حيث مات سجيناً عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م = يقول الشيخ عlish .

« ... قد من الله على بصحبة الشيخ المبارك أحمد بن الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد بن الشيخ عيسى السناري المشهورين بالعلم والصلاح والبركة مدة عديدة وشاركني في كتب عديدة في فنون من العلوم الشرعية وآلاتها ولما أراد العود إلى وطنه التمس مني الاجازة طناً منه اني من أهل ذلك وأنا متيقن اني لست ممن سلك تلك المسالك ولكن جبر خاطره ورجاء بركته حملاني على اجابته فقلت أجبت أخي المذكور بما سمعته مني وغيره مما اجازني به أشياخي ضاعف الله لهم الأجور موصياً له بملازمة التقوى فانها للفلاح السبب الاقوى والا ينساني من صالح دعواته في جلواته وخلواته ضارعا للمولى الكريم ان يمن علينا بالخير العظيم وان ينجينا من الفتن والأهوال وان يصلح لنا ولاخواننا الأحوال وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يجعلنا ممن لهم الحسنی وزيادة الذين دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » .

وقد حصل هذا العالم السوداني على اجازتين أخريين واحدة في الفقه الشافعي من الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الازهر المتوفى عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ والاخرى من الشيخ أحمد حلي الحنفى .

(١) الموافق ١٦٢٢ م .

(٢) عز الدين الامين - قرية كنرانج واثرها العلمي على السودان ص ٧٦ .

## المراجع

### اللغة العربية

- ١ - الاسلام والحضارة - محمد كرد علي
- ٢ - التمدن الاسلامي  
الجزءين - الرابع والخامس - جرجي زيدان  
مطابع مؤسسة دار الهلال  
١٩٦٨
- ٣ - الازهر تاريخه وتطوره - وزارة الاوقاف المصرية  
الاتحاد الاشتراكي العربي  
دار مطابع الشعب
- ٤ - تاريخ الازهر في الف عام - منيه قراعه  
مكتب الصحافة النوى  
يوليو ١٩٦٨
- ٥ - عصر الاسلامية - محمد عبد الله عنان  
مطبعة لجنة التأليف  
١٩٦٩ - الناشر  
مكتبة الخانجي القاهرة
- ٦ - مصر في فجر الاسلام - سيده كاشف
- ٧ - تاريخ الجامع الازهر - محمد عبد الله عنان
- ٨ - كتاب الطبقات - للفقير محمد ضيف الله  
نسخة ابراهيم صديق  
المكتبة الثقافية  
بيروت

٩ - كتاب الطبقات بجامعة الخرطوم - للفقير محمد ضيف الله - تحقيق وتقديم د . يوسف فضل

دار الطباعة للتأليف والنشر  
جامعة الخرطوم ١٩٧١

١٠ - تاريخ السلطنة السنارية - تقديم وتحقيق الشاطر بصيلي  
والادارة المصرية - مخطوطة  
أحمد بن علي كاتب الشونة  
وزارة الثقافة والارشاد  
المصري - ١٩٦١

١١ - جغرافية وتاريخ السودان - نعوم شقير  
دار الثقافة - بيروت

١٢ - مشيخة العيدلاب - محمد محي الدين

١٣ - التربية في السودان - د . عبد العزيز عبد المجيد  
ج (٢) و (٣) - المطبعة الاميرية  
القاهرة - ١٩٤٩

١٤ - السودان في قرن - د . مكي شبيكة

١٥ - النداء في دفع الافتراء - محمد عبد الرحيم

١٦ - السودان بين يدي - ابراهيم فوزي  
غردون وكشمير

١٧ - تاريخ السودان الحديث - ضرار صالح ضرار  
١٩٦٤

١٨ - تاريخ السودان وادي النيل - د . شوقي الجمل  
ج (٢) مكتبة الانجلو المصرية  
١٩٦٩

١٩ - حركة الترجمة في مصر في - جاك تاجر  
القرن التاسع عشر

٢٠ - مناهج الالباب المصرية في مناهج الادارة العصرية - طبعة ثانية  
١٣٣٠هـ / ١٩١٢ م رفاة رافع الطهطاوي

٢١ - تطور القضاء في السودان - حسين سيد أحمد المفتي



- ٢٢ - قرية كترانج وأثرها العلمي - عز الدين الامين  
على السودان - دار الطباعة  
جامعة الخرطوم - ١٣٩٥/١٩٧٥ م
- ٢٣ - جهاد في سبيل الله - اعداد عبد الله محمد احمد  
الخرطوم ١٩٦٥
- ٢٤ - شيوخ الاسلام - ابراهيم عبد الرزاق  
الفكي الامين الضمير  
مكتب النشر - الخرطوم
- ٢٥ - نفقات اليراع - محمد عبد الرحيم
- ٢٦ - وقفات مع العباسي - عبد القادر الشيخ ادريس  
دار الفكر السودانية ١٩٧٠ ( ابر هالة )
- ٢٧ - تطور التعليم في السودان - محمد عمر بشير  
مترجم عن الانجليزية - دار الثقافة  
بيروت - ١٩٧٠
- ٢٨ - تاريخ الثقافة العربية - د . عبد المجيد عابدين  
في السودان - دار الثقافة  
بيروت - ١٩٦٧
- ٢٩ - اصول الشعر السوداني - عبد الهادي الصديق  
المجلس القومي لرعاية الآداب  
والفنون - الخرطوم
- ٣٠ - التصوف الاسلامي - د . زكي مبارك  
ج (١) و (٢) - المكتبة العصرية  
صيدا - بيروت
- ٣١ - الشعر الحديث في السودان - د . محمد ابراهيم الشوش  
معهد الدراسات العربية -  
جامعة الدول العربية ١٩٦٢
- ٣٢ - تراث الشعر السوداني - عز الدين الامين  
معهد البحوث والدراسات العربية  
جامعة الدول العربية ١٩٦٩

٣٣ - الشعر السوداني في المعارك السياسية - محمد محمد علي  
١٨٢١ - ١٩٢٤ - مكتبة الكليات الأزهرية - مطبعة النهضة  
القاهرة ١٩٦٩

٣٤ - تاريخ الحركة الوطنية في السودان - محمد عمر بشير  
الدار السودانية للكتب  
١٩٧٨ - مترجم عن الانجليزية

٣٥ - نافذة الشرق - السيد جمال الدين الأفغاني - محمد سعيد  
عبد المجيد دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ( سعيد الأفغاني )  
القاهرة - ١٩٦٧ م - ١٣٨٦ هـ

٣٦ - الامام محمد عبده - سلسلة اعلام الاسلام - عبد الحليم الجندى  
دار المعارف

٣٧ - الاسلام في السودان - وزارة الشؤون الدينية  
مكتبة الثقافة الاسلامية والاعراف - جمهورية السودان

٣٨ - الادارة البريطانية والحركة - د . جعفر محمد علي بخيت  
الوطنية في السودان  
مترجم عن الانجليزية  
دار الثقافة - بيروت - ٧٢

٣٩ - تاريخ الشيخ محمد عبده - السيد محمد رشيد رضا

٤٠ - الرباط الثقافي بين مصر والسودان - د . ابراهيم الحارثي  
دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٧ -

٤١ - التفائس في أخبار وآثار - عبد الحميد أبو القاسم  
شيخ الاسلام أبو القاسم أحمد هاشم  
دار جامعة الخرطوم للنشر  
مطبعة جامعة الخرطوم

٤٢ - مذكرات وذكريات - محمد المبارك عبد الله  
مطبعة محمد علي صبيح ١٩٧٢  
الجزء الاول

- ٤٣ - انتشار الاسلام في - د . حسن ابراهيم حسن  
القارة الافريقية  
مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣
- ٤٤ - الحركة الفكرية في السودان - محمد احمد محجوب
- ٤٥ - الطوائف الصوفية في - د . عبد القادر محمود  
السودان - مطبعة مصر ( السودان )  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١
- ٤٦ - مع التعليم الديني في السودان - محمد المبارك عبد الله  
الجزء الثالث - المجلس الاعلى .  
للمسئون الدينية والاداريات  
الخرطوم - رجب ١٤٠٠ هـ - يونيو ١٩٨٠
- ٤٧ - دراسات في تاريخ السودان جـ (١) - د . يوسف فضل  
دار التأليف والترجمة والنشر -  
جامعة الخرطوم - ١٩٧٥
- ٤٨ - مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في  
العصور الوسطى - حلقها وكتب حواشيها د . مصطفى محمد  
مسعد  
مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم  
١٩٧٣
- ٤٩ - امتداد الاسلام والعروبة - د . مصطفى محمد مسعد  
الى وادي النيل الاوسط - مستخرج من  
مجلة الدراسات التاريخية - الجمعية المصرية العدد الثامن ١٩٥٩
- ٥٠ - اولاد جابر - د . سراجتم عثمان
- ٥١ - العربية في السودان - عبد الله عبد الرحمن  
دار الكاتب اللبناني  
بيروت ١٩٦٧
- ٥٢ - الاسلام في السودان - محجوب زياده  
سلسلة اقرا -

٥٢ - سعادة المستهدى بسيرة -  
المهدى - للشيخ اسماعيل عبد القادر د . محمد ابراهيم أبو سليم  
الكردياني

٥٤ - جبهة الاولياء ج (١) و (٢) - السيد محمود أبو الفيض  
مؤسسة الحلبي وشركاه  
١٢٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

٥٥ - مصر سلاطين الماليك - محمود رزق سليم  
وتناجه السلمي والأديبي - المجلد  
الثالث - المطبعة النموذجية  
الحلبيه الجديدة ١٩٤٩ - الناشر  
مكتبة الآداب بالجواميز

٥٦ - ديوان قوفيق صالح جبريل

٥٧ - الشعر القومي في السودان - د . عز الدين اسماعيل  
دار العودة - بيروت

٥٨ - الدعوة الى الاسلام -  
سير توماس ارنولد  
مكتبة النهضة المصرية  
١٩٧٠ واسماعيل النعراوى  
ترجمة الى العربية وعلق عليه  
د . حسن ابراهيم حسن  
و د . عبد المجيد عابدين

٥٩ - البيان - مجلة ثقافية  
العدد العاشر ١٩٧٨  
وزارة الشؤون الدينية  
والاوقاف السودانية  
عدد خاص عن القرآن الكريم

٦٠ - صانعو التاريخ العربى -  
فيليب حتى - دار الثقافة -  
بيروت ١٩٦٩

٦١ - مملكة الفرنج الاسلامية - د . مكى شبكه  
معهد الدراسات العربية  
جامعة الدول العربية  
١٩٦٣ / ١٩٦٤

٦٢ - تاريخ اللغة العربية في مصر - د . أحمد مختار عمر  
الهيئة المصرية العامة للكتاب  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

٦٣ - السمالات العربية في السودان - التيجاني عامر  
دار الفكر - الدار السودانية

٦٤ - ديوان العباسي  
مطبعة الكيلاني الصغير - مصر - للشاعر محمد سعيد العباسي  
١٩٤٨

#### الـلـفـة الـانـجـليـزـيـة :

- Islam in the Sudan — J. S. Trimingham Frank Cass dcofia., 1965.
- The Influence of J. S. Trimingham Islam Upon Africa, (Longman) — 1968.
- A History of Islam :  
In West Africa — J. S. Trimingham (Oxford Paper lacks).  
Oxford University Press 1970.
- The Arabs in History : Arrow Books — — Prof Beranard  
Lewis Anchor Press 1954.
- Modern Egypt — Earl of Cromer Vol. 11.  
McMillan and Colta, 1908.
- A History of The Arabs. H.A. MacMichael in The Sudan,  
Vol. 1 and 11.  
Frank Cass and Co Ltd.
- A Biographical Dictionary — of The Sudan. Richard Hill.  
F. Cass and Colla — 1967.
- Travels in Nubia - John Lewis Burckhardt London - 1819.



# الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
العرب ووادي النيل	٥
السودان وبداية انتشار الاسلام	١١
نواة التعليم الدينى المنتظم	١٩
الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر	٢٦
العلماء المصريون الأزهريون فى السودان	٣٢
مؤلفات العلماء السودانيين	٣٤
الأزهر والقضاء والفتاوى فى سلطنة منار	٤١
سلطنة دارفور والأزهر	٤٤
الحكم التركى فى السودان ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )	٤٩
القتال اسماعيل باشا	٥١
الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر متخرجو الأزهر السودانيون فى العهد التركى ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )	٥٨
مدرسة الخرطوم الابتدائية	٦٣
احتفال مدرسة الخرطوم فى الوقائع المصرية	٧٠
القضاء فى العهد التركى	٧٢
علماء سودانيون نوابغ درسوا على متخرجى الأزهر	٧٥
متخرجى الأزهر فى الثورة المصرية [ ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ]	٨٢
فقهاء متصوفون	٨٩
المراة السودانية والتعليم الدينى قديما	٩٦

الموضوع	الصفحة
الشعب السوداني	٩٩ . . . . .
دور الأزهر إبان الحكم البريطاني [ ١٨٨٩ - ١٩٥٥ م ]	١٠٣ . . . . .
الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي	١١٦ . . . . .
التعليم الديني	١٢٣ . . . . .
المعهد العلمي بالسودان	١٢٧ . . . . .
جامعة أم درمان الإسلامية	١٣٢ . . . . .
يد الأزهر البيضاء تمتد الى نيجيريا عبر السودان	١٣٤ . . . . .
احصائية عديدة عن الطلاب السودانيين في الأزهر	١٣٧ . . . . .
شعراء السودان يلهجون بذكر أساتذتهم المصريين	١٤٤ . . . . .
هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان	١٥٣ . . . . .
خاتمة	١٥٨ . . . . .
الملاحق	١٦٣ . . . . .
المراجع العربية	١٦٥ . . . . .
المراجع الأجنبية	١٧١ . . . . .



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٨٨٠٣

ISBN ٢ - ٥١١ - ٠١ - ٩٧٧ -





هذا الكتاب الأول من نوعه يصدر عن دور الأزهر الشريف في قطر  
شقيق - السودان الأمر الذي ظل خافيا على كثير من المواطنين في وادي  
النيل والبلاد العربية .

والكتاب تسجيل مبدئي لما قام به العلماء الأزهريون - سودانيون  
ومصريون - في نشر الثقافة الإسلامية في السودان .

ولعل مما يلفت النظر الإشادة الطيبة والثناء المستطاب الذي ظل  
الأدباء والشعراء السودانيون يؤكدونه لهم أساتذتهم الأزهريين اعترافاً منهم  
بجميل صنعهم منذ الزمن الغابر وإلى يومنا هذا .

